المُقتَبَسُ

في أخبار بلَدِ الأندلس

لأبي مروان حيّان بن خلف
ابن حيّان الأندلسي

شرحه واعتنى به
الدكتور صلاح الدين الهواري

المكتبة العصرية
صيدا - بيروت

المُقتَبَس

في أخبارِ بلدِ الأندلُس

لأبي مروان حيّان بن خلف بن حيّان الأندلسيّ

شرحه واعتنى به

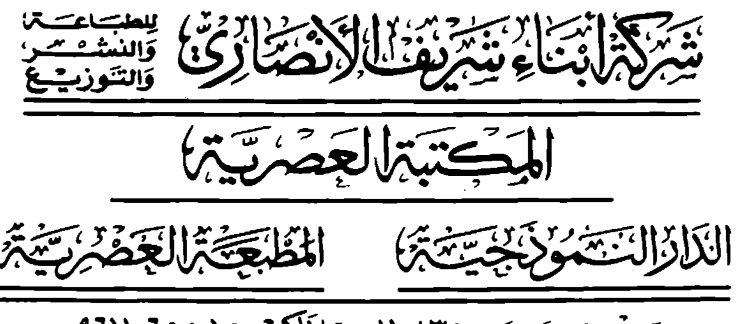
الدكتور صلاح الدّين الهوّاري



الطبعة الأولى

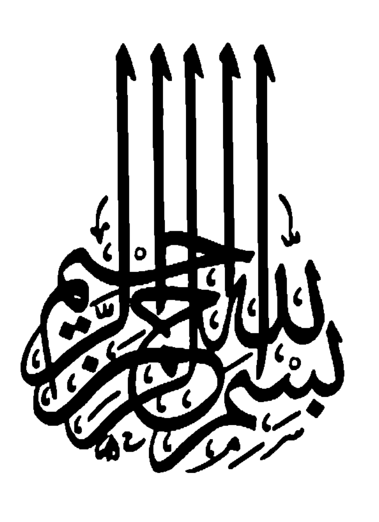
١٤٢٦ هـ - 2006 م

موقعنا على الإنترنت:
www.almaktaba-alassrya.com



بيروت - ص.ب ١١ - ٨٣٥٥ - تلفاكس ٠٠٩٦١١ ٦٥٥٠١٥
صيدا - ص.ب ٢٢١ - تلفاكس ٠٠٩٦١٧ ٧٢٠٣١٧
E-mail: alassrya@terra.net.lb - alassrya@cyberia.net.lb

ISBN 9953-34-444-2





مقدمة

عُنِيَ العرب والمسلمون منذ بداية عهدهم بالتدوين، بكتابة تاريخهم بما اشتمل عليه من وقائع وأحداث، وما تخلله من انتصارات وهزائم وفتوحات، وما حفل به من علوم وآداب، وفنون وعمران.

وقد تنوعت اتجاهات المُصنِّفين في هذا المجال؛ فمنهم من دوَّن تاريخ دولة أو مدينة، ومنهم من اختص بتاريخ خليفة أو أمير. وتناول بعضهم حقبة زمنية طويلة، تضمَّنت أخبار عددٍ من الممالك والأمراء والمدن. فكان من ثمار تلك الجهود في بلاد المشرق: كتاب «تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ/ ١٠٧٢م) الذي أرَّخ لبغداد بأحداثها وأمرائها وعلمائها وأدبائها وشعرائها، وأهل النباهة والفن والصناعة من أبنائها. و«تاريخ دمشق» لابن عساكر الدمشقي (ت ٥٧١هـ/ ١١٧٦م) الذي جاء على غرار سابقه بموضوعاته وأخباره. وكتاب «أخبار الرسل والملوك» لابن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ/ ٩٢٣م)، ويبدأ بآدم عليه السلام، ويقف عند حدود سنة ٣٠٢هـ/ ٩١٤م. وكتاب «البداية والنهاية» لابن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٣م) الذي تناول تاريخ البشرية منذ بداية الخلق، إلى أواسط القرن السابع الهجري، وغير ذلك الكثير من الكتب والموسوعات.

وحذا الأندلسيون حذو المشارقة في كتابة تاريخ بلادهم، فأكثروا واستفاضوا، حتى كادت كُتبهم التاريخية تفوق سائر مصنفاتهم الأخرى عدداً وتنوعاً وشمولاً.

ومما وقعنا عليه من تلك المؤلفات: كتاب «تاريخ علماء الأندلس» لابن الفرضي (ت ٤٠٣هـ/ ١٠١٣م)، وكتاب «تاريخ القضاة في الأندلس» لأبي الحسن النباهي (ت بعد ٧٩٢هـ/ ١٣٩٠م)، وكتاب «جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس» لأبي عبد الله الحميدي (ت ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م)، وكتاب «بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس» لأحمد بن يحيى الضَّبِّي (ت ٥٩٩هـ/ ١٢٠٣م)، وكتاب «المعجب في تلخيص أخبار المغرب» لعبد الواحد المراكشي (ت ٦٤٧هـ/ ١٢٥٠م)، وكتاب «الصلة في تاريخ علماء الأندلس» لابن بشكوال (ت ٥٧٨هـ/ ١١٨٣م)،

وكتاب «الإحاطة في تاريخ غرناطة» للسان الدين بن الخطيب (ت ٧٧٦هـ/ ١٣٧٥م)، وغيرها.

أما كتاب «المقتبس في تاريخ الأندلس» لابن حيَّان الأندلسي (ت ٤٦٩هـ/ ١٠٧٦م)، فمن أنفس كتب التاريخ الأندلسية، ومن أفضلها جودة وإتقاناً، فهو كتاب ضخم، يقع في عشرة أجزاء، تضمَّنت تاريخ الأندلس من لدن افتتاحها على يدي طارق بن زياد، إلى زمان المؤلف. وعلى هذا الكتاب تقوم شهرة ابن حيّان، وبه عُرِف للناس مؤرخاً بَزَّ أقرانه، بسعة إحاطته، ودقة وصفه، وأصالة رأيه، ونزاهة حكمه.

لكن لسوء حَظِّ الباحثين في تاريخ الأندلس أن قسماً كبيراً من هذا الكتاب قد فُقِدَ، ولم يَظْهَر منه حتى الآن إلّا أربعة أجزاء، عَتَا عليها الزمن، فأتلف عدداً من صفحاتها، الأمر الذي أساء إلى بعض الحقائق التاريخية، وأحدث شرخاً في تتابع الأحداث وتكاملها.

وقد ورد اسم «المقتبس» في كتب التراجم والسير بأشكالٍ عدَّة، فهو «المقتبس في تاريخ الأندلس»، وفقاً للزركلي، في (الأعلام: ٢/ ٢٨٩)، وعمر كحالة في (معجم المؤلفين: ٤/ ٨٨)، و«المقتبس في تاريخ رجال الأندلس»، كما أورده فيليب حتِّي في (تاريخ العرب: ٦٧٢)، و«المقتبس من أنباء أهل الأندلس»، استناداً إلى ابن الأبار، في «الحلة السيراء: ١/ ٢٩٠).

والجزء الذي نقدمه للقرّاء اليوم، يحمل اسم «المقتبس في أخبار بلد الأندلس»، وهو الاسم الذي وضعه ابن حيَّان في الصفحة الأخيرة من مخطوطة هذا الجزء الأصلية، الموجودة في مكتبة الأكاديمية التاريخية بمدريد، وبه ظهر منشوراً لأول مرّة في بيروت عام ١٩٦٥م. وقد أبقينا هذا الاسم على حاله من دون تغيير أو تعديل، حرصاً على الحقيقة العلمية، ومنعاً للإلتباس والتشويش.

ولمَّا كان هذا الكتاب جزءاً من مُصنَّفٍ ضخم ـ لم يَتبيَّن لنا رقمه أو موقعه فيه ـ فقد خلا من مقدمةٍ، يُحدّد فيها المؤلف منهجهُ، أو دافعه إلى تأليفه، على غرار معاصريه من الكُتَّاب والمصنفين.

لكن من خلال قراءتنا المتأنية للكتاب، اتَّضح لنا الآتي:

- امتياز أسلوب المؤلف بالسلاسة، وسهولة العبارات، ومتانة الألفاظ.
- تَجَنُّبه اسْتِخْدام المحسنات اللفظية والتنميق والتزويق.
- حِرْصُه على الدقة والتفصيل وحسن الإحاطة بما يورده من أخبار وروايات وأحداث.

ـ التِزَامُهُ بالنزاهة والأمانة العلمية في ما كان يرويه أو ينقله عن غيره من العلماء والمؤرخين.

ـ حِفَاظُه على الرصانة والاتزان في ما كان يطلقه من آراء، أو يصدره من أحكام.

ـ اضْطِرارُهُ ـ تَحَرِّيًا للدقة ـ إلى التكرار في بعض مواطن الكتاب، وخصوصاً في وصفه لمجالس الحكم المستنصر في المناسبات والأعياد.

ـ تَزْيِينُه الكتاب ببعض القصائد التي كانت تُلْقَى في مجالس الحكم المستنصر، في إشارةٍ إلى اهتمام خلفاء الأندلس بالشعر والأدب، وتقريبهم لمن نبغ من الشعراء في بلادهم.

ـ إيرَادُهُ الأخبار مُرتَّبةً على السنين، فهو يُحدِّد السنة، ثم يسرد ما جرى فيها من أحداث، وما ازدحم فيها من مناسبات، واحتفالات، وتعيينات، وتقلبات، وغيرها.

ـ اسْتِطْرَادُه وهو يروي الأخبار إلى ذكر أحوالٍ اجتماعية لافتة في حياة الأندلسيين، كذكره خبر الصبي المتفاوت الخلق، الذي خالف نمو جسمه وعقله ما هو مألوف في حياة البشر، وذكره تكفّل الخليفة بالإنفاق عليه، وعلى ذويه.

ويقوم عملنا في هذا الكتاب وفقاً للخطة الآتية:

ـ تصدير الكتاب بمقدمة تشتمل على حياة المؤلف أبي مروان، حيّان بن خلف بن حيّان الأندلسي، وآثاره، ومنزلته، ومنهجه في تأليف الكتاب.

ـ ضبط أسماء الأعلام والأماكن والبلدان.

ـ ضبط الشواهد الشعرية، وشرحها، وتعيين بحورها.

ـ التعريف بالأعلام والمدن الواردة في الكتاب ما أمكن.

ـ ضبط وشرح كل ما غَمُضَ أو صَعُبَ من عبارات الكتاب وألفاظه.

ـ تزويد الكتاب بمجموعة من الفهارس الفنية التي تساعد القارىء، وتُمكِّنه من الرجوع إلى موادّ الكتاب بسهولةٍ ويُسْر.

واللّه سبحانه وتعالى نسأل أن يَمُدَّنا بالعزيمة والسَّداد والثبات، لنتابع مسيرتنا العلمية، ونُوفَّق في خدمة تراثنا الثقافي، وبلورة تاريخنا المجيد، إنه سميع مجيب، وبالإجابة جدير.

صلاح الدين الهواري
٥ حزيران ٢٠٠٥م
٢٨ ربيع الثاني ١٤٢٦هـ

ترجمة المؤلف

ـ حياته:

هو أبو مروان، حيّان بن خلف بن حسين بن حيّان بن مُحمَّد بن حيَّان بن وهب بن حيَّان مولى الأمير عبد الرَّحْمٰن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان، الشهير بـ «ابن حيَّان»[١]: مُؤرِّخ، أديب، بحّاثة، من أهل قرطبة. ولد سنة ٣٧٧هـ/ ٩٨٧م[٢]، وتتلمذ على أبيه[٣]، وعلى عددٍ من شيوخ الأندلس وعلمائها الكبار، كالشيخ أبي عمر أحمد بن عبد العزيز بن فرج بن أبي الحُباب النحوي (ت ٤٠٠هـ/ ١٠١٠م)، وأبي العلاء صاعد بن الحسن الرَّبَعيّ اللغوي (ت نحو ٤١٠هـ/ نحو ١٠٢٠م)، الذي لزمه، وأخذ عنه كتابه المسمى بـ «الفصوص»، والشيخ أبي حفص، عمر بن حسين بن محمد بن نابل (ت ٤٠١هـ/ ١٠١١م) الذي أخذ عنه الحديث النبوي الشريف[٤].

ولم يذكر الذين ترجموا[٥] لابن حيَّان أنه تَنقَّل في مدن الأندلس، أو غادرها إلى بلاد المشرق، كغيره من العلماء والأدباء. ولم يذكروا أنه اتَّصل بملوك الأندلس وأمرائها، بالرغم من تَفرُّغه لكتابة تواريخهم، ورصد أخبارهم، ووصف ممالكهم، خلا آنخل بلانثيا، الذي ذكر في كتابه «تاريخ الفكر الأندلسي» أن ابن حيَّان بعد تَفقُّهِهِ وتأدُّبِهِ، انتظم في سلك وظائف الدولة، وشغل وظيفة صاحب الشرطة في قرطبة زماناً، وأنه كان من كتَّاب المنصور بن أبي عامر[٦] (ت ٣٩٢هـ/ ١٠٠٢م).

---

(١) الصلة في تاريخ علماء الأندلس، ابن بشكوال: ١٣٨؛ وفيات الأعيان، ابن خلكان: ٢/ ٢١٨.

(٢) الأعلام، الزركلي: ٢/ ٢٨٩؛ معجم المؤلفين، عمر كحالة: ٤/ ٨٨.

(٣) تاريخ الفكر الأندلسي، آنخل بلانثيا: ٢٠٨.

(٤) الصلة، ابن بشكوال: ١٣٨؛ وفيات الأعيان، ابن خلكان: ٢/ ٢١٨.

(٥) تُراجع ترجمته في: بغية الملتمس، الضبي: ٢٧٥؛ الصلة، ابن بشكوال: ١٣٨؛ جذوة المقتبس، الحميدي: ١٩٦؛ وفيات الأعيان، ابن خلكان: ٢/ ٢١٨؛ هدية العارفين، البغدادي: ٥/ ٣٤١؛ البداية والنهاية، ابن كثير: ١٢/ ١٢٤؛ شذرات الذهب، ابن العماد الحنبلي: ٣/ ٣٣٣؛ كشف الظنون، حاجي خليفة: ١٤٥٦؛ وغيرها.

(٦) تاريخ الفكر الأندلسي، آنخل بلانثيا: ٢٠٨.

وكانت وفاة ابن حيَّان في ربيع الأول سنة ٤٦٩هـ/ تشرين الأول سنة ١٠٧٦م.

ـ آثاره:

ترك ابن حيَّان مؤلفاتٍ كثيرة في التاريخ، وغيره، قاربت الخمسين مؤلفاً، فُقِد معظمها، ولم يَبْقَ منها إلّا اليسير. وأهم تلك المؤلفات:

- المقتبس في تاريخ الأندلس، ويقع في عشرة أجزاء.
- كتاب «المتين»(١)، ويقع في ستين جزءاً.
- كتاب «البطشة الكبرى»، وهو كتاب يُعنى بأخبار الدولة العامرية(٢).
- انتخاب من أخبار القضاة.
- كتاب في «تراجم الصحابة».
- كتاب تاريخ فقهاء قرطبة.

ولم يصلنا من مؤلفات ابن حيَّان غير أربعة أجزاء من كتاب «المقتبس في تاريخ الأندلس»، تناول أحدها عصر الأمير عبد اللّه بن محمد، وقام بنشره المستشرق الإسباني الأب ملشور أنطونيا في باريس سنة ١٩٣٧، نقلاً عن مخطوطة وجدها في مكتبة بودلين بأكسفورد. وعُنِيَ الجزء الثاني بأيام عبد الرَّحْمٰن الثاني (الأوسط)، وأكثر أيام ابنه الأمير محمد. وقد قام بتحقيقه ونشره الأستاذان: الدكتور حسين مؤنس، والدكتور محمود علي مكّي، نقلاً عن مخطوطة عُثِر عليها في مكتبة القرويين بالمغرب. واختص الجزء الثالث من المقتبس بالثلاثين سنة الأولى من أيام عبد الرَّحْمٰن الناصر. وقد عُثِر عليه مُؤخَّراً في المغرب.

أما الجزء الرابع، فقد تحدَّث عن خمس سنواتٍ غير كاملةٍ من أيام الحكم المستنصر (٣٦٠ ـ ٣٦٤هـ/ ٩٧٠ ـ ٩٧٤م). وهو الجزء الذي نقدمه اليوم للقُرَّاء بحلَّة أنيقة، تلبي حاجاتهم، وتُسهِّل اطلاعهم على مكنونات التراث الأندلسي وجواهره الثمينة.

ـ منزلته وأقوال النقاد فيه:

أجمع معظم الذين ترجموا لابن حيَّان على أنه كان إمام المؤرخين في الأندلس، لما تميزت به كتاباته التاريخية من سعة ودقة وتفصيل وجودة وجمال أسلوب، قال أبو

---

(١) في الأعلام: «المبين».

(٢) في تاريخ الفكر الأندلسي: كتاب المآثر العامرية.

علي الغسَّاني (ت ٤٩٨هـ/ ١١٠٥م)، وقد ذكره ضمن شيوخه[١]: «كان عالي السِّنِّ، قويَّ المعرفة، مستبحراً في الآداب، بارعاً فيها، صاحب لواء التاريخ بالأندلس، أفصح الناس فيه، وأحسنهم نظماً له».

ونقل ابن بشكوال عن أبي عبد اللّه محمد بن أحمد بن عون قوله[٢]: «كان أبو مروان بن حيَّان فصيحاً في كلامه، بليغاً فيما يكتبه بيده. وكان لا يعتمد كذباً في ما يحكيه في تاريخه من القصص والأخبار».

وعدّه ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م) ـ بعد نعته بمؤرخ الأندلس والدولة الأموية ـ مِمَّن «عدل عن الإطلاق إلى التقييد، ووقف في العموم والإحاطة عن الشأو البعيد، فَقيَّد شوارد عصره، واستوعب أخبار أفقه وقطره، واقتصر على تاريخ دولته ومصره»[٣].

وذكره ابن عميرة الضبي (ت ٥٩٩هـ/ ١٢٠٣م)، والحميدي (ت٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م) فقالا[٤]: «ابن حيَّان، أبو مروان القرطبي: صاحب التاريخ الكبير في أخبار الأندلس وملوكها، وله حَظٌّ وافر من العلم والبيان، وصدق الإيراد».

وأيَّد ابن خلكان (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٣م) ما ورد في الجذوة، وبغية الملتمس، والصلة، من أقوال في ابن حيَّان، واقتطف نُتَفاً منها[٥].

وَنُقِلَ عن دوزي (ت ١٣٠٠هـ/ ١٨٨٣م) أنه قال[٦]: «إن كُتَّاب العرب يمتدحون في كتب ابن حيَّان صِدْق الرواية بقدر ما يعجبون بجمال أسلوبه وجزالة لغته ورنين عباراته. وأنا أؤيدهم في ذلك كلّ التأييد، ولا أتردد في القول بأن كتبه ـ لو بقيت ـ لألقت على تاريخ الأندلس الغامض ضياءً باهراً، وصورته لنا أحسن تصوير، ولوجدنا أنها تبلغ من الامتياز مبلغاً يجعلنا نستغني بها عن غيرها من الكتب التي تتناول تاريخ هذه العصور».

ونعته الزركلي بـ «المؤرخ البحَّاث»، ثم قال: «كان صاحب لواء التاريخ في الأندلس، وأفصح الناس بالتكلُّم فيه، وأحسنهم تنسيقاً له»[٧].

---

(١) الصلة، ابن بشكوال: ١٣٨.
(٢) المصدر نفسه: ١٣٩.
(٣) المقدمة في التاريخ، ابن خلدون: ٥.
(٤) بغية الملتمس، ابن عميرة الضبي: ٢٧٥، جذوة المقتبس، الحميدي: ١٩٦.
(٥) وفيات الأعيان، ابن خلكان: ٢/ ٢١٨.
(٦) تاريخ الفكر الأندلسي، آنخل بلانثيا: ٢١١.
(٧) الأعلام، الزركلي: ٢/ ٢٨٩.

ولحظ عمر فروخ ـ على خلاف سابقيه ـ ما كان يقيمه ابن حيَّان من علاقات مع بعض حكام الأندلس، فقال[1]: «خالف ابن حيَّان سياسة أهله، فتقرَّب إلى بني ذي النون أصحاب طليطلة»، ووصفه بِتَقلُّب الهوى في السياسة.

وبعد، فهذا بعض ما قيل في ابن حيَّان قديماً وحديثاً، ولم نجد في هذه الأقوال ما يحطُّ من قَدْرِ الرجل، أو ينتقص من قيمة كتاباته التاريخية في الأندلس.

ونرى أن هؤلاء المترجمين والنقاد والدارسين، ما كانوا لِيتَّفقوا على مدح هذا المُؤلِّف، والثناء على إسهامه في رسم صورة الأندلس الحضارية، وحمله لواء التاريخ فيها، في الحقبة التي أحاط بها في مصنفاته، لولا قدراته الكبيرة التي فاق بها أقرانه من المؤرخين الأندلسيين.

ونرى أنَّه لو قُدِّر لكتابيه: «المقتبس»، و«المتين» اللذين صنَّفهما في تاريخ الأندلس أن يبقيا إلى الآن، لاتَّضح لدارسي التاريخ الأندلسي المعاصرين الكثير من غوامض الأمور، التي قصّر غير ابن حيَّان عن إبرازها، والكشف عن خباياها التي يُخَيَّل إلينا ـ وفقاً لما رأيناه من أسلوب ابن حيَّان في الجزء الذي نُعنى به من المقتبس ـ أنَّ ذلك المُصنِّف لم يغفل عنها، ولم يُقصِّر عن الإحاطة بها، بالدقة، والبراعة، وسلاسة الأسلوب التي عهدناها في كتاباته.

---

(١) تاريخ الأدب العربي، فروخ: ٤/٦١٦.

بسم الله الرحمن الرحيم

[سنة ٣٦٠هـ]

ذكر شهر المعروف (...)[١]

وفي يوم الجمعة لأربعٍ بقين من شعبان[٢] منها [بعد صلاة][٣] الجمعة نُودِيَ على رأس ابن عُمَر المحتال المعروف... الحاجب، وقد أُقيم في العلية التي على باب دار الصدقة غربي المسجد الجامع، وقد كُشِف للناس والمُنادي يهتف عليه: «أيها الناس رحمكم اللّه، هذا أحمد بن عُمَر المُلقَّب... اللصّ الفاسق[٤] المستهلك لأموال المُسْلمين... فاعرفوه واجتنبوه وتحفظوا منه... حق وأوضحه، حمل على الحق والعدل إن شاء اللّه... قد بدا في معاملته الناس ومتاجرته إياهم... من قبحِ سريرةٍ[٥] وباطنِ سُوءٍ واستهلاك كثير، انتهى إلى الخليفة شأنه وعظم المحنة به فنفذ من أمره... اللّه به بأسه. وجال[٦] المنادي عليه يومين تباعاً في السوق... الكبرى على أصحاب الصناعات وطبقات التجار، ووقفه بباب... للنداء عليه، ثم نفذ الأمر بحبسه بها في السجن، فاستقر... أحاديث شنيعة.

---

(١) كذا في الأصل، وسوف يلاحظ القارىء مثل هذا النقص في بعض الصفحات التالية، بِسَبَبِ ما أصيب به أصل الكتاب من تآكلٍ وتلف.

(٢) يبدو أن الصفحات الأولى من الأصل قد ضاعت، لذلك بُدِيءَ هنا بِسَرْدِ أحداث الثلث الأخير من شهر شعبان، من سنة ٣٦٠هـ، وليس من الشهر الأول في السنة الهجرية المعروف بـ «المحرم».

(٣) زيادة اقتضاها السياق، لأن الوقت بعد صلاة الجمعة هو أصلح الأوقات للتشهير والتعزير، بسبب احتشاد الناس للصلاة الجامعة.

(٤) الفَاسِقُ: العاصي الذي يتجاوز حدود الشرع، ويقال: فسق عن أمر رَبِّه: خرج عن طاعته، وفي التنزيل العزيز: ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبليسَ كانَ مِنَ الجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ [الكهف: ٥٠].

(٥) السَّرِيرَةُ: ما يُكْتَمُ وَيُسَرُّ.

(٦) جال المنادي جَوْلاً، وجَوْلَةً، وجَوَلَاناً: طاف.

ورود بون فلي رسول بريل

. . . في عقب شعبان منها احتلّ[١] صاحب الشرطة وقائد طَرْطُوشَة[٢] وكُورَة[٣] بَلَنْسِيَة[٤] هِشَام بن مُحمَّد بن عُثْمان. . . بمحلة فَحْص السُّرادِق قادماً من عمله ومعه القومس بون فلي بن سندريط ثقة بريل بن شنير ومُقَدّمه على حصونه ومهمات مدنه بكتابه إلى الخليفة الحكم مُطالعاً لخبره، مُعرّفاً بالذي هو عليه من تصحيح طاعته وموالاته وبما وراء. . . من التقرب إليه بإهدائه إليه ثلاثين أسيراً من أسارى المسلمين جمعهم في قاعدته وأطراف عمله من ذكر وأنثى، إذ أُعلم أن ذلك أفضل ما يُسَرُّ به أمير المؤمنين ويبتهج به ويكافىء عليه؛ ورد الباب في عشرين فارساً من وجوه رجال بريل وأتباعهم ومعهم رسول لغيتار القومس النبيه مُقدَّم الأمير بريل على مدينة برشلونة المتقدمة وفادته[٥] إلى الحضرة بكتابه إلى الخليفة في ثلاثة فوارس من أصحابه بكتاب غيتار إلى الخليفة؛ تحرك بهم صاحب الشرطة هِشَام بن مُحمَّد بن عثمان. . . يوم الثلاثاء سلخ شعبان. . . والعدة الرائقة. فلما انتهى إلى جسر قُرْطُبَة[٦] . . . بإنزال الأعاجم بمنية نصر بشط النهر. . . وأحلّهم فيها، وتقدم هِشَام إلى الزهراء فتوصل إلى أمير المؤمنين الحكم وعرَّفه بشأنهم، فأمر بإكرام مثواهم.

فلما كان يوم السبت لأربعٍ خلون من شهر رمضان منها قعد لهم الخليفة الحكم على السرير في محراب المجلس الشرقي المنيف على الرياض قعوداً فخماً كامل الترتيب كأفخم ما جرت به العادة في أمثاله، وتوصل الوزراء فقعدوا على مراتبهم، وحجبه[٧] منهم عن ذات اليمين الوزير القائد غَالِب بن عبد الرَّحْمٰن، وتحته الوزير صاحب الحشم قَاسِم بن مُحمَّد بن طُمْلُس، ومن ذات اليسار الوزير صاحب المدينة

---

(١) احْتَلَّ المكان، وبه: حَلَّه: نَزَلَ به.

(٢) طَرْطُوشَة: مدينة بالأندلس، تتصل بكورة بلنسية وقرطبة، قريبة من البحر، مبنيةٌ على نهر أبره، وَيُنْسَبُ إليها عدد كبير من العلماء. (معجم البلدان، ياقوت الحموي: ٤/ ٣٠).

(٣) الكُورة: الصُّقْعُ، أو البقعة يجتمع فيها قُرًى ومَحَالّ.

(٤) بَلَنْسِيَة: مدينة مشهورة، تقع شرقي تُدمير وشرقي قرطبة، وهي بَرِّية بَحْرِيَّةٌ، ذات أنهار وأشجار، وتُعرف بمدينة التراب. (معجم البلدان، الحموي: ١/ ٤٩٠).

(٥) الوفادة: القدوم، يقال: وَفَدَ على القوم، وإليهم وَفْداً، ووفوداً، ووفادةً: قَدِمَ.

(٦) قُرْطُبَة: مدينة عظيمة، كانت عاصمة للأندلس، ومستقرًا لخلفاء بني أمية، وبينها وبين البحر خمسة أيام. (معجم البلدان، الحموي: ٤/ ٣٢٤).

(٧) حجب الأمير: صار له حاجباً، ومنه: حَجَبَ بينهما: حَالَ، وحَجَبَ الشيءَ: ستره.

بِقُرْطُبَة جَعْفَر بن عُثمان، وتحته صاحب المدينة بالزهراء[١] مُحمَّد بن أفلح. وتوجَّه في رسل بريل بن شنير جمهور بن الشيخ في قطيع من الجند ومعه النفر من كبار النصارى بِقُرْطُبَة المترجمون، فأقبل وقد قدموا بين أيديهم هدية بريل إلى الخليفة الحكم، وكانت ثلاثين أسيراً من المسلمين بين رجل وامرأة وصبي، إلى أحمال ديباج[٢] وأسلحة، أدَّاهم جمهور إلى مقعدهم بمجالس الجند من قصر الزهراء إلى أن استوى جلوس الخليفة، وخرج الإذن فيهم، فدخلوا يقدمهم بون فلي القومس. . . . وجوههم معهم الخمسة. . . قُرْطُبَة المترجمين عنهم فلما. . . . [وصلوا إلى] باب المجلس الذي السرير فيه خَرّوا سجوداً. . . إلى أن قربوا من يَدِ الخليفة فقبلوها. . . إلى أعقابهم فظلوا قياماً وناولوا كتاب [صاحبهم]، فنظر الخليفة فيهم وفاتحهم بالسؤال عن أحوال مُرْسِلهم بريل صاحبهم وبلده، وذكر لهم حسن موقع أهله لديه وأنه مكافيه عن ذلك ومجازيه. قالت الرسل ما عَنَّ[٣] لهم فَتَرْجَم المترجمون عنه إليهم وعنهم إليه، فانقضى المجلس، وانقلب بهم جمهور بن الشيخ إلى منية نصر محلة نزله مشيعاً لهم في جيشه، وعهد الخليفة برفع الصلات إلى الأسرى الذين بُعِثَ بهم كيما يتحملوا إلى أوطانهم، فنفذ ذلك. . . وقال في تهنئة الخليفة، بما يتوالى عليه من تسارب[٤] رسل الطواغيت[٥] إليه وازدلافهم إلى ابتغاء رضاه أحمد بن إبراهيم الخازن بالزهراء في شعر له: [من الطويل]

لِيَهْنَكَ أَنْ لَمْ يَبْقَ في الأرضِ نَاكِثٌ ... وَلا مُشْرِكٌ إلَّا أتاكَ بِلا عَهْدِ[٦]

فهذا ابنُ شَيْخٍ وَهو طَاغِيةٌ لَهُمْ ... رَأَى الرُّشْدَ في التَّحكيمِ والأمنَ في القَصْدِ[٧]

وَألقت يَداً إفرنجةٌ وَعَمِيدُها ... وَلَوْلا يَدُ الإلقاءِ جَاءك في قِدِّ[٨]

وهذا لِمَنْ في الشرقِ والغربِ مُؤذنٌ ... كما أَنَّ خَطْفَ البرقِ يُؤذنُ بالرَّعْدِ[٩]

---

(١) الزهراء: مدينة صغيرة قرب قرطبة، اختطها عبد الرحمن الناصر الأموي، وهو يومئذ سلطان البلاد سنة ٣٢٥هـ، وجعلها متنزهاً له. (معجم البلدان، الحموي: ٣/ ١٦١).

(٢) الديباج: ضرب من الثياب سداه ولحمته حرير.

(٣) عَنَّ له الأمرُ عَنًّا وعُنُوناً: عَرَضَ.

(٤) التَّسَارُبُ: التَّتابُعُ، يقال: تَسَرَّبَ القوم في الطريق: تتابعوا.

(٥) الطواغيت: جمع الطاغوت: الطاغي المعتدي، أو كلّ رأس في الضَّلال.

(٦) الناكث: الذي ينكث عهده أو يمينه: ينبذه وينقضه.

(٧) القَصْدُ: استقامة الطريق، ويقال: هو على القصد، وعلى قصد السبيل: إذا كان راشداً.

(٨) العميد: السَّيِّدُ المُعْتَمَدُ عليه في الأمور. القِدُّ: السَّيْرُ يُقَدُّ من الجِلْد، أو السَّوْطُ.

(٩) مُؤذِنٌ: مُعْلِمٌ، يقال: آذن، فلاناً الأمر، وبه: أعلمه به.

وَلَـمْ يَـبْـقَ إلَّا أن يَـحِـلَّ بِـمَـكَّـةٍ فَـيَطْرِدَ عَنْـهـا الـمُـسْـتـحقـيـنَ لِـلطَّرْدِ

ودخل شهر رمضان من هذه السنة فأمضى الخليفة المستنصر بالله فيه عادته التي لا يكاد يخلفها [من إشاعة الصدقات] وتجديد القربات[١]، وتنقيره[٢] بالكثير منها [عن] ذوي الحاجة والستر المتجملين على الخلات، فَظَهَرَ وبَطَنَ وعَمَّ وخَصَّ، فنعش اللّه به خلقاً وبسط رزقاً، وغبطه شعراؤه بما والاه من ذلك وقسطه، فقال فيه فَرْجُون بن أَصْبَغ البَلُّوطي في شعر له: [من الطويل]

....إمام فيه ليلاً تمجّدا[٣]

....الإلـه خـيـر ذاك تـزوّدا

.... صدقاته لـتـفـريـقـهـا يـرجـو مـن الـلّـه مَـوْعـدا

..............مـن أنـقـاهـا (كـذا) الـمـصـطـفـى خير الـنـبـيـيـن أحـمـدا

[وفي صدر] رمضان منها وقع الإرجاف[٤] بتحرك المجوس الأردمانيين ـ لعنهم اللّه ـ وظُهورهِم في البحر الشمالي وَرَوْمِهِم[٥] [سواحل] الأندلس الغربية على عادتهم. فانزعج السلطان لمَّا سِيقَ إليه خبرهم، وعهد إلى عبد الرَّحْمٰن بن رُماحِس [قائد البحر] وهو حاضر بِقُرْطُبَة بالخروج [إلى] المَرِيَّة[٦]، والتأهب للركوب إلى ناحية الغرب، فنفذ لأمره يوم الإثنين لِستٍّ خلون من شهر رمضان المؤرخ. وأحضر الوزير القائد غالب بن عبد الرَّحْمٰن وكان حاضراً يومئذٍ بِقُرْطُبَة، فخصّه بالتكلم معه فيما طرقه من خبر هذا العدو المرهوب جانبه، وأهاب[٧] به له، وحوَّلَ إليه صائفة عامِهِ الآزفة[٨]، وقلَّدهُ العَوْدَ لها والتهمم بها برًا وبحراً لضلاعته وغنائه[٩]، وعلمه بثقوب نظره ومحمودِ اكتفائه، وحدَّ له حدوداً أمره بالتزامها والوقوف عليها. وبسطه أتمَّ بسطٍ وقرّبه أفضل تقريبٍ واستودعه اللّه عزَّ وجلَّ، وأمره بالنهوض والأخذ في شأنه. فودّع

(١) القُرُبات: جمع القُرْبَة: ما يُتَقرَّبُ به إلى اللّه تعالى من أعمال البرِّ والطاعة.

(٢) نَقَّرَ الشيءَ، وعنه، تَنْقيراً: بحث عنه وفَتَّش.

(٣) تَمجَّد: تَعظَّم، أو تفاخر، أو أظهر مَجْدَه.

(٤) الإرجاف: الخبر الكاذب المثير للفتن والاضطراب.

(٥) رَوْمُهُم: طلبهم، يقال: رام الشيءَ رَوْماً، ومراماً: طلبه.

(٦) المَرِيَّةُ: مدينة كبيرة من كورة إلبيرة، من أعمال الأندلس، وكانت هي وَبجّانَة بَابَيْ الشرق، منها يركب التجار، وفيها مرفأ ومرسًى للسفن. (معجم البلدان، الحموي: ٥/ ١١٩).

(٧) أهاب به: دعاه إلى نجدةٍ، أو تَصدُّقٍ، أو قتالٍ، أو غير ذلك.

(٨) الآزفة: الدانية، القريبة، يقال: أَزِفَ الوقت أَزَفَاً، وأُزوفاً: دنا وَقَرُبَ.

(٩) الغَنَاءُ: النفع والكفاية.

وانطلق وهو يُشيعه بِدُعائه ويسأل اللّه له وللمسلمين جميل صنعه وحسن عاقبته. فلما أن كان صبيحة الخميس. . . أمر الخليفة المستنصر باللّه. . . من مخازن العدة بقصر الزهراء إلى دار الوزراء. . . بين يدي دَرِّيّ الصغير الخازن عدة بيت الوزراء. . . الأصاغر لدنوها من باب بيت الوزراء. . . على دكانه المرخم الرحب، رَكَّزوا القنوات إلى. . . فوقه ملحفة بيضاء زهرية وضعوا فيها منديل. . . على القطع التي أمر بعقدها هنالك فوق تلك القنوات لتُعَجِّل إلى الوزير القائد غَالب العاجل الحركة وقد. . . صاحب الحشم[1] الوزير مُحمَّد بن قَاسِم بن طُمْلُس وصاحب الخيل والحشم زِيَاد بن أفلح القيام إليهم من فراشهما ببيت الوزارة فَحلّا المنديل المشدود فوق الملحفة فإذا به الثلاث قطع المميّزة بها الراية المُسمّاة بالعقدة والعلم والشطرنج. وقد أحضر الخليفة درِّيًا المعروفَ بابن عقبة عريف الخياطين لعقد هذه الأعلام في قنواتها. وأحضر أمام. . . الخليفة المستنصر باللّه مُحمَّد بن يُوسف قاضي قَبْرَة[2] إلى أئمة النافلة به في شهر رمضان ومن معهم من المؤذنين. فلما أخذ ابن عقبة اللواء اندفع مُحمَّد بن يُوسُف بقراءة سورة ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح: ١] حتى أتى على آخرها عند فراغ ابن عقبة من عقده، ورفع من حضر من الأئمة والمؤذنين ومن شهد من الوصفاء. . . والتهليل والتكبير والتحميد. . . قناة اللواء وأخذ في عقد العلم. . . ومُحمَّد بن يُوسُف وأصحابه ينتزعون بقراءة. . . القرآن العظيم إلى أن تَمَّ عقده وحفّه المؤذنون. . . من الداعين بالدعاء والابتهال بما أجهدهم. . . قناته قائمة ثم كان الصنيع في الشطرنج كذلك. . . وذلك كله نهض الخليفة دُرِّيّ مع الوصفاء والمؤذنين. . . الثلاث خارجين إلى باب السدّة[3] مواصلين للتكبير. . . وخرج بخروجهم ابن طُمْلُس وابن أفلح وقد أعدًا هنالك طائفة حسنة من الجند شاكي الأسلحة[4] ظاهري الأهبة[5] رائعي الزينة تكنفوا قِبَلَهُ الألوية معه معاً، حتى انتهوا إلى باب الوزير القائد غالب بن عبد الرَّحْمٰن

---

(١) الحشم: حشم الرجل: خاصته الذين يغضبون لغضبه، ولما يُصيبه من مكروه، من عبيد أو أهل أو جيرة.

(٢) قَبْرَة: كورة تتصل بأعمال قرطبة من قِبْلِيِّها، ذات أرض زكية، وهي مخصوصة بكثرة الزيتون. (معجم البلدان، الحموي: ٤/ ٣٠٥).

(٣) باب السدَّة: أحد أبواب قصر الخلافة بقرطبة.

(٤) يقال: فلان شاكُ السلاح، وشاكٌ في السلاح، أي: يَلْبسُ السلاح التام، وهو من الشِّكَّة، وهي: ما يُلبس من السلاح.

(٥) الأُهبة: العُدّة، يقال: أخذ للأمر أهبته، أي: عُدَّته. والأهبة: الاستعداد، من تأهب للأمر: استعدَّ.

وهو منتظر مُتَلبّبٌ[١] معدّ، فلما وصلت إليه استوى على صهوة فرسه، وفصل للغزوة وبين يديه العدة والعديد، وصف من الجند قد غصَّ بهم الطريق، فنفذ لسبيله.

ذكر مقتل زِيري بن مَنَاد الصَّنهاجي[٢] صاحب الغرب وما يليه

وفي يوم السبت لاثنتي عشرة بقيت من شهر رمضان منها ورد الخبر من العُدْوَة بقتل زِيري بن مَنَاد الصَّنهاجي قائد مَعدّ بن إسماعيل الشيعي[٣] صاحب إفْرِيقيَّة [وقائده على الغرب] قتله جَعْفَر ويَحْيَى ابنا عليّ المعروف [بابن الأندلسي] المخالفان على مَعَدّ فيمن استظهرا به [عليه من]. . . زَنَاتة[٤] المنحرفين إلى خلفاء بني أمية بالأندلس [وجدوه]. . بناحية الغرب في حرب دارت بينهم شهد[ها بنو خزر وغيرهم] من رؤساء البرابر القائمين على زيري بدعوة [الحكم]. . المُستنصر باللّه وعلى اسمه، ففتح لهم فيه أعظم فتوح [ووصل] عليّ البغدادي كاتب جَعْفَر بكتابه إلى الخليفة [. . . . .] رمضان، وذكروا اهتياج الحرب العَقِيم[٥] بين أهل الدعوتين بالعُدْوَة.

وفي يوم السبت لخمسٍ بقين منه دخل قُرْطُبَة سلس رسول القومس غند شلب بن مسرَّة بكتابه من مدينة لستره من أداني جليقية[٦] بتاريخ يوم الأحد لاثنتي عشرة خلت من شهر رمضان يذكر دخول المجوس ـ أهلكهم اللّه ـ يوم السبت قبله وادي دويره، وذلك شطر النهار وأنهم خرجوا في الغارة إلى شَنْت بَريه وبسيطها، وأنهم انصرفوا خائبين.

وفي العَشْرِ الأخر من شهر رمضان أنفذ الخليفة المستنصر باللّه مُباركاً ومُبشّراً

---

(١) مُتَلبِّبٌ: من تَلَبَّبَ الرجل: تَحزَّم وتَشَمَّر، أو لبس السلاح.

(٢) هو أول ملك من الصنهاجيين بالمغرب الأوسط. بنى مدينة «آشير»، وإليه تُنسب. وعُرِف بالشجاعة وحسن السيرة. توفي سنة ٣٦٠هـ/ ٩٧١م. (الأعلام، خير الدين الزركلي: ٣/ ٦٣).

(٣) هو أبو تميم، مَعَدّ بن إسماعيل بن القائم بن المهدي عبيد اللّه الفاطمي العبيدي: صاحب مصر وإفْرِيقيَّة. ولد في المهدية، وبُويع له بالخلافة في المنصورية بعد وفاة أبيه سنة ٣٤١هـ، وتوفي سنة ٣٦٥هـ/ ٩٧٥م. (وفيات الأعيان، ابن خلكان: ٥/ ٢٢٤).

(٤) زَنَاتَة: ناحية بِسَرَقُسْطَة، لم يتوسَّع ياقوت الحموي في وصفها.

(٥) حرب عقيم: لا خير فيها.

(٦) جِلّيقِيَّة: ناحية قرب ساحل البحر المحيط، شمالي الأندلس. (معجم البلدان، الحموي: ٢/ ١٥٧).

الفَتَيَيْن الجعفريَّيْن إلى كورة رَيَّة وَشَذُونَة[١] لإشحان الأطعمة منها وإزعاجهما إلى الأسطول المجهز إلى ساحل الغرب. وفي عقب رمضان ركب صاحب الشرطة العليا. . . (رما) حس قائد الأسطول من قرية بَجَّانة[٢]. . . ليركب منها إلى البحر الشمالي الذي. . . المجوس. . .

عيد الفطر

وفي غرة شوّال من سنة ستين وثلاثمائة ليلة ارتقابه مساء الخميس التاسع والعشرين منه بقصر قُرْطُبَة وبعض أقاليمها. . . خلفها، فاستهل بأكثر كُوَر الأندلس وفي العُدْوَة، فأفطر الناس بها يوم الخميس، وأفطر أهل قُرْطُبَة ومن جاورَها يوم الجمعة الذي كان اليوم الثامن عشر من تموز، وقعد الخليفة المستنصر بالله، بعد انقضاء صلاة العيد، لتسليم الجند عليه، في محراب المجلس الشرقي من قصر الزهراء، المنيف[٣] على السطح العَليّ والمُوفي على الروض البهيّ، قعوداً فخماً أشْبَهَ فِخام جَلسَاته الشهيرة الجلالة؛ شهده طبقات الناس فكان صدره الإخوة وجنباته الوزراء ومَوْسِطَتَه أهل المراتب من طبقات أهل الخدمة، وسائره لوجوه الموالي وبياض رجال قُرْطُبَة؛ قعد من الإخوة عن ذات اليمين الشقيق أبو الأصْبَغ عبد العزيز، وتحته أبو المُطرّف المُغيرة، وعن ذات اليسار الأصبغ أبو القَاسِم. وقعد الوزراء بإثرهم في الجهتين بعد فرجتين على حَدّ جَرْي العادة. وكان الإنذار قد سبق (إلى) بني مُحمَّد بن هَاشِم بالحضور. . . وأمر زعيمهم يَحْيَى بن مُحمَّد بن هَاشِم بالنزول. . . والقعود بينهم والتوصل بوصولهم وَقُلّد سيفاً [من سيوف] الخاصة مكان ردائه تكرمةً له، وقعد بعد. . . الوزير عبد الرَّحْمٰن بن مُوسَى بن حُدَيْر عن ذات اليمين. . . فرجة. وحجب الخليفة يومه هذا عن يمينه الوزير صاحب المدينة بِقُرْطُبَة جَعْفَر بن عُثْمَان[٤]، وتحته صاحب المدينة بالزهراء مُحمَّد بن أفلح مولَاه، ومن عن

---

(١) رَيَّة: كورة واسعة متصلة بالجزيرة الخضراء، قِبْليّ قرطبة، واسعة الخيرات، فيها عين ماءٍ ساخنة. (معجم البلدان، الحموي: ٣/ ١١٦). شَذُونَة: مدينة تتصل نواحيها بنواحي موزور. يُنسب إليها جماعة من العلماء الأفاضل. (معجم البلدان، الحموي: ٣/ ٣٢٩).

(٢) بَجَّانَة: مدينة من أعمال كورة إلبيرة، بينها وبين المرية فرسخان، وبينها وبين غرناطة مائة ميل (ثلاثة وثلاثون فرسخاً). (معجم البلدان، الحموي: ١/ ٣٣٩).

(٣) المُنيفُ: المُشْرِفُ على غيره، يقال: عِزٌ مُنِيفٌ: عالٍ تامٌ، وقصرٌ مُنِيفٌ: طويلٌ في ارتفاع.

(٤) هو أبو الحسن، جعفر بن عثمان بن نصر بن فوز بن عبد الله بن كسيلة القيسي، المعروف بـ «المصحفي»: وزير، أديب، شاعر، كاتب. توفي سنة ٣٧٢هـ/ ٩٨٢م. (بغية الملتمس، الضبي: ٢٥٧).

يساره الوزير صاحب الحشم مُحمَّد بن قَاسِم بن طُمْلُس، وتحته صاحب الخيل زِيَاد بن أفلح، وتلاهم أصحاب الشرطة العليا والوسطى وأصحاب المخزول والخزَّان والعُرَّاض وسائر طبقات أهل الخدمة على منازلهم. وشهد قاضي الجماعة مُحمَّد بن إسحاق بن السَّليم[١]، والحكام وأصحاب الشرطة الصغرى والردّ وأسباط الخلافة وجلّة قريش وخاصتهم ووجوه الموالي أهل البيوتات، ثم الموالي العبيديون، ثم قضاة الكور والفقهاء المشاورون والعدول وبياض رجال قُرْطُبَة، توصّل جميعهم فوجاً بعد فوجٍ وتقدَّموا للسلام أولاً أولاً، ثم تلاهم بياض الجند على طبقاتهم، والمنتقون من طبقات العبيد، وقضى جميعهم أوطارهم من رؤية خليفتهم.

وكان الأمر قد نفذ إلى عبد الرَّحْمٰن بن مُحمَّد بن هَاشِم التُّجيبي بالنزول حيث ينزل أصحاب الشرطة والعهود... بينهم من سيوف الخاصة حسبما... بالقيام مع الحجاب عن ذات اليسار تحت... وأنذر أيضاً أخوه هَاشِم بن مُحمَّد... وأخيه عبد الرَّحْمٰن بن مُحمَّد بن هَاشِم التجيبيين، وحَدَّ لهما النزول بحيث ينزل العراض، والتقدم... بتقدمهم، ففعلا ذلك، وقُلّدا أيضاً سيفين من سيوف الخاصة تشريفاً لهما، واستبان أهل المجلس تمام حسن الرأي فيهم والرضى عنهم...

وظلت الخطباء والشعراء في هذا الحفل تناغي[٢] فيما ترتجل من خطبها، وتنشد من أشعارِها فتكثر وتجيد. وكان أول من قام فيه من الشعراء منشداً بين يديه كبيرهم طَاهِر بن مُحمَّد البغدادي، المعروف بالمهند[٣]، بشعر له طويل منه: [من الكامل]

لَوْلَا الإمامُ المُرْتَضَى وَسَلِيلُه ... ما ساغَ تلفيقُ القَريضِ لمِقْوَلِ[٤]

مَلِكٌ رآه اللَّه أفضلَ خَلْقِهِ ... فَحَباهُ مِنْ رُتَبِ العُلَا بالأفضلِ[٥]

---

(١) هو أبو بكر، محمد بن إسحاق بن السليم: قاضي الجماعة بقرطبة، فقيهٌ، عَدْلٌ، مشهور، له عند أهل بلده جلالةٌ مذكورة ومنزلةٌ في العلم والفضل معروفة. توفي سنة ٣٦٧هـ/٩٧٨م. (بغية الملتمس، الضبي: ٥٩).

(٢) يقال: ناغى الصَّبِيَّ: لاطفه بالمحادثة والملاعبة، ومنه يقال: كاد الموج يناغي السحاب، أي: اشتدّ ارتفاعه.

(٣) هو طاهر بن محمد المعروف بـ «المهند البغدادي»: أديب، شاعر، من أولاد الخطيب البغدادي، صاحب كتاب «تاريخ بغداد». لم يذكر الذين ترجموا له تاريخ وفاته. (بغية الملتمس، الضبي: ٣٢٦؛ جذوة المقتبس، الحميدي: ٢٣٧).

(٤) السَّلِيلُ: الولد حين يخرج من بطن أُمِّه. لَفَّقَ الكلام تلفيقاً: زخرفه ومَوَّهَهُ. القريض: الشعر. المِقْوَلُ: اللسان.

(٥) حَبَاهُ: اختَصَّهُ.

وأحلَّه شَرفاً تَبيَّنَ دُونَهُ ... وَجْهُ الغزالةِ طالعاً من أسْفَلِ[1]
فإذا تَهلَّلَ وَاسْتَهلَّ نَوالُهُ ... فَالبَسْطُ بَسْطُ العَارِضِ المُتهلِّلِ[2]
وَإذا تَنكَّر لِلعَدُوِّ تَبادَرتْ ... حُمْرُ المنايا بين بِيضِ الأَنْصُلِ[3]
وإذا تَطِيشُ حُلومُ أربابِ النُّهَى ... ثَبَتَتْ رَصَانَتُه كَرُكْنَيْ يَذْبُلِ[4]
بَحْرٌ مِنَ العِلْمِ المُؤيَّدِ بِالنُّهى ... كالبَحْرِ يُحْصَرُ ماؤُه بالأجبُلِ[5]
سَبَقَ الأوائلَ آخراً في فَضْلِهِ ... فإذا المُؤخَّرُ أوّلٌ لِلأوَّلِ

[وقال غيره]: [من الخفيف]

لا يضلّ الساري وَوَجْهُك ....
قد عمرت القلوبَ بالسنن ....
ليسَ فيما لديك جور عن ....
فيد اللَّه عند بابك في الدنـ ... ـيا ....
وعَلينا ما ذَرَّتِ الشَّمْسُ شُكْرًا ... نُ كَمَا فيك ....

فلما أنْ كان يوم السبت . . . قعد الخليفة المستنصر باللَّه القعود . . . على السرير بالمجلس الشرقي من قصر الزهراء . . . من الحفل والزينة فاكتمل انتظامه . . . حوش في مقنب[6] من الخيل في العلج[7] بون فلي . . . يتكنفهم من نصارى قُرْطُبَة المترجمين عنهم . . . وتوصل إلى مجلس الخليفة فقضوا حقهم . . . مرسلهم بريل عن كتابه فدفع إلى بون فلي، رسوله، العطايا الجزيلة التي كوفىء بها عن الأسرى الذين أطلقهم . . . كان معهم من هديته وأفهمهم الخليفة ما يشافهون به بريل مِنْ أمْره، ويقف به على حُرّ طاعته، وانطلق هو وأصحابه ودفعت إليهم الجوائز والكُسى

---

(١) الغزالة: الشمس.
(٢) تَهلَّلَ الوجه: أشرق وأضاء وتلألأ. استهل المطر ونحوه: اشتدَّ انصبابه. النوال: العطاء. العارض: السحاب الماطر.
(٣) الأَنْصُل: جمع النَّصْل: حديدة الرمح والسهم والسِّكِّين.
(٤) طاش فلان: نزق وزلَّ، وطاش عقله: خَفَّ وتشتَّت، فجهل أو أخطأ. الحُلُومُ: جمع الحِلْم: العقل، أو الأناة وضبط النفس. الرَّصانَةُ: الرَّزانة والثبات. يذبل: جبل في بلاد نجد.
(٥) النُّهى: العقل. الأجبل: الجبال، الواحد: جبل.
(٦) المقنب: جماعة من الخيل والفرسان دون المائة، تجتمع للغارة.
(٧) العِلْجُ: الجافي الغليظ من الرجال، أو الكافر.

والحملان على منازلهم. . . في الانطلاق لسبيلهم فاستقلوا من قُرْطُبَة منصرفين للنصف من شوّال المؤرخ.

ذِكْرُ خبر فراق جَعْفَر بن عليّ المعروف بابن الأندلسي[١] عامل المَسِيلة[٢] وما يليها من بلد المغرب لإمامةِ مَعدّ بن إسماعيل الشيعي صاحب إفْريقيَّة. [وتقربه] إلى الخليفة الحكم المستنصر بالله صاحب الأندلس وانضمامه في طريق فراره عنه إلى المخالفين له من برابر زناتة المُنْحَاشين[٣] قديماً إلى دعوة الحكم الجماعية، وتألب جماعتهم على زِيري بن مَنَاد الصَّنْهَاجي عامل مَعدّ على بلاد المغرب المُشَاق[٤] لِجَعْفَر، ومقتلهم لِزيري بن مَنَاد الصَّنْهَاجي عند انقضاضه عليهم صادًا لهم عن طريقهم مُتقرِّبين بقتله إلى الحكم؛ وسَبْق جَعْفَر ويَحْيَى أخيه وذويهما بالعبور إلى أرض الأندلس مُهْدِيَيْن رأس زِيري، خَالِعَيْن للدعوة الشيعية، مُتقلّدَيْن للدعوة الأموية الجماعية، وما جرى لهما لدى الحَكَم من قبول ورفعة.

ذكر مُحمَّد بن يُوسُف بن عبد الله الورَّاق[٥] الحافظ لأخبار المغرب أن جعفراً وأخاه هذين الهاربين إلى وطن جدّهما بالأندلس هما ابنا عليّ بن حَمْدُون بن سملك بن سَعيد بن إبراهيم . . .بن أحمد بن عبد الحميد الجُذامي؛ وعبد الحميد هذا. . . [كان الداخل] إلى بلاد الأندلس من الشام وأرضه. . . وكان نزوله من الأندلس بكورة إلبيرة[٦] بقرية. . . من قرى قلعة يَحْصُب. ثم تنقل [حفيده] حمدون جدّهما. . . [إلى بجاية[٧]] فنزل بوادٍ بها بقرية تُعْرَف بـ «قسطلنانة»، فاستقر بها ونَسْله. وخرج عليٌّ وجدُّه إلى المشرق يبتغي الحج وذلك سنة سبع وثمانين ومائتين،

---

(١) هو أبو علي، جعفر بن علي بن أحمد بن حمدان الأندلسي: أمير الزاب (من أعمال إفريقيَّة). توفي سنة ٣٦٤هـ/ ٩٧٤م. (الأعلام، الزركلي: ٢/ ١٢٥).

(٢) المَسِيلَةُ: مدينة بالمغرب تُسمَّى المُحمَّدية، اختطها أبو القاسم محمد بن المهدي سنة ٣١٥هـ، وهو يومئذٍ وليّ عهد أبيه. (معجم البلدان، الحموي: ٥/ ١٣٠).

(٣) انحاش عنه ومنه: ابتعد، ومنه: احتوش القوم الشيءَ، وعليه: أحاطوا به وجعلوه وسطهم.

(٤) المُشَاقُّ: المُخالف، المعادي.

(٥) هو أبو عبد الله، محمد بن يوسف الورَّاق: مؤرخ أندلسي. أصله من وادي الحجارة، ونشأ في القيروان، وتوفي بقرطبة سنة ٣٦٢هـ/ ٩٧٣م. (جذوة المقتبس، الحميدي: ١٠١؛ بغية الملتمس، الضبي: ١٤١).

(٦) إلبيرة: مدينة كبيرة متصلة بكورة قَبْرة، بين القبلة والشرق من قرطبة، وبينها وبين قرطبة تسعون ميلاً، وأرضها كثيرة الأنهار والأشجار. (معجم البلدان، الحموي: ١/ ٢٤٤).

(٧) بَجَايَة: مدينة على ساحل البحر بالمغرب، كان أول من اختطها الناصر بن عِلناس بن حماد بن زيري بن مناد بن بلقين الصنهاجي سنة ٤٥٧هـ. (معجم البلدان، الحموي: ١/ ٣٣٩).

وهو ابن ثماني عشرة سنة. فوقع ببلد «كتامة» وتزوج بها، وصحب أبا عبد اللَّه الداعي الظاهر هناك بالدعوة، فاستهواه وغلب على قلبه ودخل في مذهبه، وكان اسمه الذي سمّاه به أبوه حمدون: ثعلبة؛ فسمَّاه أبو عبد اللَّه الداعي عليًّا، فاستمرَّ به، وتقدم في صحابته إلى أن ظهر أبو عبد اللَّه الداعي على ابن الأغلب وملك إفريقيَّة وصيَّرها إلى إمامة عُبيد اللَّه الشيعي. فنفق عليّ عند عُبيد اللَّه بذكاءٍ كان فيه، وأرسل به إلى المشرق في بعض ما ترسل الملوك فيه، فأحكم له شأنه، وقدم فازداد حظوةً لديه، وضمّه إلى أبي القَاسِم وليّ عهده. فتصدَّى لخدمته فازداد حظوةً لديه ولَطُفَت منزلته، وخرج معه إلى أرض المغرب سنة خمس عشرة وثلاثمائة، فجرّب يومئذٍ أدبه. واخترع بنيان مدينة المَسِيلة فألزم بنيانها عليّ بن حَمْدُون هذا، وولّاه عليها عند كمالها. فاستقرَّ بها وأحسن عمارتها وأقام بها، وابنه جَعْفَر يومئذٍ مقيم بداره بالمهدية[1] مع أمه ميمونة بنت علاهم الجيلي، قبيل من كتامة. فلما كان بنيان المَسِيلة وتحصَّنت بالسور، وجَّه عبيد اللَّه جعفراً مع أمه إلى أبيه هناك، فجمع شمل عليّ فيها ولم يزحه عنها، وذلك سنة سبع عشرة وثلاثمائة. فلما أن هلك عبيد اللَّه وصار أبو القاسِم مكانه، وذلك سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة تَوَجَّه عليّ بن حَمْدُون إلى المهدية معزِّياً لأبي القاسم عن أبيه ومُهنئاً له بالولاية، واستخلف ابنه جَعْفراً بالمَسِيلة فأقام عنده شهوراً، ثم انصرف إلى المَسِيلة، وَوَالَى تعهد سلطانه مرَّاتٍ، وابنه جَعْفر يخلفه بالمَسِيلة، وقد ظهر منه استقلال وضلاعة[2]، ومهارة بخصالٍ من الأدب وبراعة، طار له بها في الناس حديث طارت إليه الأفئدة. وظهر آخر ذلك أبو زيد مَخْلَد بن كيداد التاكرني[3] ذو الشأو البعيد في الإنغاص[4] بالشيعة، فصليَ عليّ بن حَمْدُون من حروبه نهابير[5] مهولة، اتَّفقَ عليه أن تردَّى في بعض تجواله فيها في بعض من طرقه من جرف هارٍ[6] عالٍ بعيد القعر، وسقط فرسه عليه فاندقت يداه ورجلاه، وهلك في مُتردَّاه[7]، وذلك في ربيع الآخر سنة أربعٍ وثلاثين وثلاثمائة. وتولى جَعْفَر ابنه المَسِيلة من بعده

---

(١) المهدية: مدينة بالمغرب، اختطها عبد المؤمن بن علي (المهدي) قرب سلا، وهي جزيرة متصلة بالبرّ كهيئة كفٍّ متصلة بِزَنْد. (معجم البلدان، الحموي: ٥/ ٢٢٩).

(٢) الضلاعة: القوة والشِّدَّة، يقال: ضَلُعَ ضَلاعةً: قوي واشتدت أضلاعه.

(٣) عالم مشهور من زناتة. خرج على الدعوة الفاطمية في شمال إفريقيَّة سنة ٣٠٢هـ/ ٩١٤م، وكانت له مع الفاطميين وأنصارهم حروب كثيرة. (البيان المغرب، ابن عذاري: ١/ ٢١٦).

(٤) الإنغاص: التكدير.

(٥) النهابير: جمع النُّهْبُرَة: ما ارتفع من الأرض، أو حبل من رملٍ صعب المُرتقى، والمراد هنا: الأمور الصعبة الشَّاقَّة.

(٦) الجُرْفُ: شِقُّ الوادي إذا حفر الماء في أسفله. وجُرْفٌ هارٍ: مُنهدمٌ، مُنْهَارٌ.

(٧) المُتَرَدَّى: موضع السُّقوط.

رئاسةً، فلم يزل متوليّاً لها مقيماً فيها رفيعَ المنزلة عند سلطانه شديدَ النصب لِزيري بن مَنَاد الصَّنْهَاجي مُجاوره ببلد المغرب ومناوئه إلى أن قُتل زيري بن مناد المذكور، عامل مَعَدّ بن إسماعيل صاحب إفريقيَّة على عمل المغرب مُحمَّد بن الخير بن خزر أمير زناتة[١] القائم بدعوة بني أمية ملوك الأندلس عَدوّه، وأخذ له فرساً من عتاق الخيل كان إمامه معدُّ بن إسماعيل صاحب إفريقيَّة قد حَمَلَ عليه جَعْفَر بن عليّ، فأهداه جَعْفَر إلى مُحمَّد بن الخير، فأرسل به زِيري إلى مَعدّ، وبعث إليه بكتب أصابها في بيت ابن خزر بخط جَعْفَر بن عليّ يكاتب بها زناتة، ويطلعهم على عورات زِيري، ويحذرهم منه متى اطلع أنه يُريدهم، فبلغ ذلك من مَعَدّ أشد مبلغ، وتكلم في جَعْفَر أسوأ الكلام وتهدده بالقتل، فكتب بعض عيون المقدمين عنده مُعْلِماً له بذلك. وكتب مَعَدّ إلى جَعْفَر يعزله عن المَسِيلة، ويأمره بالقُفول[٢] إليه بجميع أهله وولده وماله إلى حضرته. وكتب إليه في فصل من كتابه يُعزيه عن مُحمَّد بن الخير خليله متقرعاً[٣] له، ويخبره عن الفرس التي ذكرنا صَرْف زيري إليه فقال له: «أعظم اللّه أجرك في خليلك فقد أجاد قتالنا على الفرس الذي كنا حملناك عليه وآثرناك به على أنفسنا». فعند ذلك أُسْقِطَ في يد جَعْفَر بن عليّ وأيقن بالموت لا محالة، فبادر بنفسه وخرج من المَسِيلة مع أخيه يَحْيَى وجميع أهله وولده وعبيده وخاصته وجميع ما قوي على الاستقلال به من ماله ونشبه[٤]، في عقب جمادى الآخرة سنة ستين وثلاثمائة، فصار عند بني خزر أمراء زناتة القائمين بدعوة الخليفة، فتضافر جميعهم على مَعدّ الشيعي وصرّحوا بدعوةِ الخليفة المستنصر باللّه، وأعلنوا بذكره، ورفعوا الأعلام بريحه، فشق جَعْفَر الصحراء معهم قاصدين لِزيري إلى أن صاروا إلى «ملوية» فالتقوا بزيري بن مَنَاد وقد احتفل لهم فجرت بينهم حرب صعبة أُصيب بها زِيري بن مَنَاد وخَلْقٌ من رجاله، وذلك يوم الخميس لعشرٍ خلون من شهر رمضان من هذه السنة بالقرب من «ملوية». وكانت هذه الوقيعة من أعظم الوقائع وأبعدها صيتاً وأشنعها ذكراً، احتوى الزناتيون بها على عسكر زِيري وأثخنوا القتل في جموعه وأدركوا ثأرهم المنيم[٥] منه.

ذكر أبو جَعْفَر بن الجزَّار[٦] هذه الوقعة في تاريخه المعروف بـ «التعريف في

---

(١) زَنَاتَة: ناحية بِسَرَقُسْطَة من جزيرة الأندلس. (معجم البلدان، الحموي: ٣/ ١٥١).

(٢) القُفول: الرُجوع، العَوْدَة.

(٣) قَرَّعَ فلاناً: أوجعه باللوم والعتاب.

(٤) النَّشَبُ: المال أو العقار.

(٥) ثأرٌ مَنيمٌ: راقد، ساكن.

(٦) هو أبو جعفر، أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد: طبيب، مُؤَرِّخ، من أهل القيروان. توفي سنة ٣٦٩هـ/ ٩٨٠م. (الأعلام، الزركلي: ١/ ٨٥).

أخبار إفريقيَّة» فقال: وفي يوم الجمعة لسبع بقين من جمادى الآخرة سنة ستين وثلاثمائة خرج جَعْفَر بن عليّ بن حَمْدُون الأندلسي من المَسِيلة وهي المدينة التي بالمغرب [تسمى] المحمدية، وكان أميراً عليها، وأبوه قبله، يريد... حضرة الإمام المعز لدين اللّه وقد استدعاه [إليه] فخرج في عسكره مستقلاً برجاله وعبيده وعدده وسلاحه وأمواله في طريق القَيْرَوان، ولم يبعد أن مال بذلك كله نحو الغرب فلحق بزناتة، وخلع الطاعة، وأظهر أن الذي حمله على ذلك عداوته لزِيري بن مَنَاد الصَّنْهَاجي مجاوره في عمل المغرب لتحامل زِيري عليه وأذاه له في عمله، وإيجافه[1] على قبائل البربر الذين في عمل المَسِيلة، وذلك أن زيري كان همّه وحِرْصه وَوُكْده[2] قطع آثار بَوادي البربر المفسدين في الأرض والقاطعين للسبل، فطلبهم بعمل جَعْفَر وبخفر ذمته لهم. فاتخذ ذلك جَعْفَر سبباً للغدر بسلطانه بعد تظاهر إحسانه عليه وعلى أبيه من قبله، فأفحش الغدر وركب الغرر في استنامته إلى الراتبين به من عُتاةِ[3] زناتة. وسقط خبره على زِيري، فأراد أن يبادر إليه قبل أن يقوى أمره وهو على غاية الثقة بنفسه ومن معه بجمعهم، وابنه الأكبر يُوسُف بن زِيري الغالب على اسمه بُلُقِّين فارس كتيبته ومُدبّر حربه يومئذٍ غائب بقاصية عمله، فزحف إلى جَعْفَر مبادراً المكان الذي عرف اجتماعه فيه ببني خزر ومن معهم من زناتة، وذلك في شهر رمضان من هذه السنة فرمى بنفسه عليهم فاقتتل فريقاهم قتالاً عظيماً واعتركوا. وأقبل زِيري وهو حام مغضب ليحرّك الرجال [ويذمر[4]] الأبطال على الأقدام وتوسط المأقط[5] بِفَضْل ما فيهِ من الشجاعة والجرأة، فكبا به فرسهُ وألقاه إلى الأرض، فأكبَّ عليه حُماةُ رجاله طمعاً في تخليصه فلم يدنهم الزناتيون من ذلك، واشتد القتال بين الفريقين، فمات عليه خلق كثير من أصحابه وأعدائه إلى أن أفرج رجاله عنه. واستمر انهزامهم، فاحتزَّ الزناتيون رأس زِيري وأرسلوا به إلى الأندلس، إلى سلطانها، الحكم بن عبد الرَّحْمٰن. واعصوصَب[6] الزناتيون لِجَعْفَر بن عليّ وقد أظهر المقام معهم، وأنفذ أخاه يَحْيَى بن عليّ (وقد أظهر المقام) مع رجال منهم، نحو الحكم إلى الأندلس، مزدلفين[7] بصنعهم داعين إلى تقريبهم؛ وقد لحقت جَعْفَر بن عليّ في مقامه لديهم

---

(١) الإيجاف: الحَثُّ أو الحَضّ، أو تحريك الشَّرِّ.
(٢) الوُكْدُ: الهَمُّ والقَصْدُ.
(٣) العُتاة: جمع العاتي: الجبَّار، المتكبر.
(٤) ذَمَرَ فلاناً على الأمر: حَضَّه لِيَجدَّ فيه.
(٥) المأقط: المضيق في الحرب.
(٦) اعْصَوْصَبَ القوم: تجمعوا وصاروا عصبةً واحدة.
(٧) ازْدَلَفَ الرجل، وتَزَلَّف: تَقرّب وتَقدّم.

مخافة من مكرهم وشرّهم، فأعمل الحيلة في باطنه حتى انحاص[١] إلى الأندلس، فعبر البحر في مركب اتخذه عدة لنفسه فتمّ له ذلك ووصل الأندلس، فقبله سلطانها الحكم، وأفضل عليه، فاستقر عنده، وجرت له خطوب [من] محبوب ومكروه لديه.

وذكر أبو جَعْفَر هذا، في كتابه أن الذي جرى قتل مُحمَّد بن الخير بن خزر أمير زناتة على يديه في أول سنة ستين هذه التي اغتزى زيري بن مَنَاد عَدوّه برأيه فيها، كان يُوسف بن زيري لا زِيري بنفسه.

[وذكر غير] الرازي فقال واختصر: وفي يوم الخميس لثلاث عشرة بقيت من ربيع الآخر سنة ستين وثلاثمائة التقى يُوسف بن زِيري بن مَنَاد الصَّنْهَاجي المشتهر اسمه ببُلُقّين[٢] مع مُحمَّد بن الخير بن مُحَمَّد بن خزر أمير زناتة، فهزمه بُلُقّين وأثخن في رجاله، وقتل جماعة من أهل قرابته. فلما أيقن مُحمَّد أنه قد أحيط به اتَّكأ على سيفه فذبح نفسه به أنفةً من أن يملكه بُلُقّين، فأتى بأمرٍ عظيمٍ طار ذكره في أرض المغرب.

رجع الحديث إلى كلام الرَّازي بقصة جَعْفَر الأندلسي:

قال عِيسَى بن أحمد[٣]: ولما أن تمَّ لأمراء بني خزر ومن معهم من برابر زناتة ومستجيشهم[٤] جَعْفَر بن عليّ من الفتح في عَدُوِّهم زِيري بن مَنَاد ما تجاوز أمنيتهم، بادر جَعْفَر بإرسال كاتبه عليّ البغدادي إلى الأندلس بكتابه إلى الخليفة ملقياً بنفسه إليه معتصماً بدعوته، راغباً في تقبل فيئته[٥]، وإنزاله منزلة من اعترف لحقه واهتدى بهديه. فوافى كتابه ذلك إلى باب الخليفة الحكم [مع] أول رسله في الوقت الذي تقدم ذكره، فكرم مورده وأهيب بمرسله، ثم أتبعه جَعْفَر بن عليّ خلفه إلى الأندلس في رهطٍ من سراة[٦] بني خزر تعجلوا بحمل رأس زِيري بن مَنَاد ورؤوس أعلام أصحابه إلى الخليفة الحكم، ولزم أمراء بني خزر مكانهم في وجه يُوسف بن زِيري الثائر بأبيه مُرَيِّثين[٧] في مبادأته، مطالعين لرأي الخليفة الحكم في ذلك، مستدعين تقويتهم عليه

---

(١) انْحَاصَ فلان: عَدَلَ وحَادَ، وانحاص القوم في الحرب: جالوا جولةً يطلبون الفِرار والهرب.

(٢) هو أبو الفتوح، سيف الدولة، بُلُقِّين (بُلُكِّين) بن زيري بن مناد الصنهاجي، المُسمّى «يوسف»: مؤسس الإمارة الصنهاجية بتونس. توفي سنة ٣٧٣هـ/ ٩٨٤م. (الأعلام، الزركلي: ٢/ ٧٤).

(٣) هو عيسى بن أحمد بن محمد الرازي: مؤرخ، من أهل الأندلس. توفي سنة ٣٢٥هـ/ ٩٣٧م. من آثاره: «أخبار ملوك الأندلس». (تاريخ الأدب العربي، بروكلمان: ٣/ ٨٧).

(٤) استجاش القَوْمَ: طلب منهم جيشاً، أو جمعهم للقتال.

(٥) الفَيْئَةُ: الرجعة.

(٦) سراة القوم: ساداتهم.

(٧) تَرَيَّث فلان: أبطأ.

[مترقبين] لما يراجعهم به، داعين إلى عقد بيعتهم إياه بين يديه.

فلمّا كان يوم الأربعاء لسبعٍ خلون من شوّال منها ورد الخبر من الساحل القبلي بحلول يحيى بن عليّ المعروفُ بابن الأندلسي بِمَرْسَى محملة من عمل بَجّانة، وبحلول رجال بني خزر القادمين بِمَرْسَى المَرِيَّة، وأن احتلالهم بهذين المَرْسَيَيْن كان يوم الاثنين لخمسٍ خلون من شوّال منها، وأن رؤساء الواصلين إلى المَرِيَّة من بني خزر: عبدون بن الخير بن مُحمَّد بن خزر، ومَسْعُود بن عَطِيَّة بن عبد اللَّه بن خزر، ومُقاتِل بن أبي خَزْرُون بن أبي العزيز خزر.

فلما كان يوم السبت لثلاث عشرة ليلة بقيت من شوّال المؤرخ خرج عليّ البغدادي كاتب جَعْفَر بن عليّ، فارطُ القوم إلى الأندلس، يريد بجّانة لتلقي يَحْيَى بن عليّ وبني خزر مبشراً لهم ومتقدماً بهم إلى ما ولي [من] القبول لهم والسؤال فيهم. فلما كان يوم السبت لستٍّ بقين منه خرج ناجيت بن مُحمَّد، وأحمد بن عبد المَلِك صاحب المخزول إلى بجّانة لتلقي يَحْيَى بن عليّ ومن معه من أهله ومن بني خزر الوافدين معه، ومعهما ثمانية وستون فرساً لركوبهم، على بعضها اللُّجُم المفرغة والسروج المعرقة[١]، ومن البغال الزوامل[٢] لتحمل أثقالهم مائة وخمسون بغلاً، ومن الأبنية لاكتنانهم[٣] أربعة... من أدم من خمسين بنيقة[٤] بجميع فرشها وآلاتها، وثلاث [قباب] من كتان وأربعة وأربعون خباء من كتان من أخبية العبيد، وعشرون خباء من ضُرَبٍ من أخبية الطنجيين. وخرج معهما جملة من وكلاء دار الخيل وفرسان الرياضة، وعدد كبير من... والخمسيين والجند، وأوقار[٥] من ضروب الوطاء[٦] والغطاء والأبنية المُستعملة بذلك لخدمتهم واكتمال تكريمهم.

وفي يوم الاثنين لثلاثٍ خلون من ذي القعدة منها خُوطب القواد والعمال بكور الأندلس المجندة في استقدام بياضها وأعلام رجالها لمشاهدة دخول يَحْيَى بن عليّ وبني خزر القادمين برأس زِيري بن مَنَاد الصَّنْهَاجي قائد معَدّ، صاحب إفريقيَّة، ورؤوس أعيان أصحابه التي حِيزَتْ[٧] في الوقيعة بِزيري المتقدم ذكرها.

---

(١) المُعَرَّقةُ: الكريمة.

(٢) الزوامل: جمع الزامل: من الدواب: الذي كأنه يظلع في مشيه من النشاط.

(٣) اكتنَّ فلان: اسْتَتَر.

(٤) البنيقة: الزِّيق يُخاط في جيب القميص، تثبت فيه الأزرار. أو القماش بكامل عرضه.

(٥) الأوقار: الأثقال، الأحمال.

(٦) الوطاء: المهاد الوطيء.

(٧) حِيزَتْ: امْتُلِكَتْ، ولعلَّ المراد: حُزَّت.

فلما أن كان يوم الأربعاء لخمسٍ خلون منه احتل صاحب القوم جَعْفَر بن عليّ بِمَرْسَى بِزِلْيانَة[١] من عمل كورة رَيَّة مغافصاً[٢] باحتلاله، معه أهله وولده ووجوه رجاله المختصين به وثقاة مواليه وعبيده مُملِّصاً[٣] عن برابر زناتة، مستعجلاً إلى جوار الخلافة. وكان عند مفارقته لإمامه معَدّ وكشفه وجهه في خُلعانِه قد عزم على التلوّم بالعدوة عندما أرسل أخاه يحيى وأكابر بني خزر إلى الأندلس لاستطلاع رأي الخليفة الحكم في النبذِ إلى معد عَدُوِّه والتنظر لما يراجَع به، ثم رأى بعد ذلك اللحاق بباب سُدّة أمير المؤمنين، بأهله وولده، ليستقر حاله ويطمئن جأشه. وورد الخبر بنزوله بالمَرْسَى المذكور يوم الجمعة لسبعٍ خلون من ذي القعدة، فظهر العمل في التأهب لوروده والاستعداد لتلقيه.

فلما أن كان يوم الثلاثاء لإحدى عشرة ليلة خلت من ذي القعدة منها، خرج صاحب السكة والمواريث وقاضي إشْبِيليَّة مُحمَّد بن أبي عَامِر[٤] فتى الدولة لتلقي جَعْفَر بن عليّ ومعه أربعة من عتاق الخيل[٥] وبغل أشهب منتقاة من دواب الركاب بسروج الخلافة ولجمها هبة لجعفر، وخمسون فرساً من جياد خيلِ الجند بسروجها ولجمها حملاناً لفرسانه، ومائتا زاملة لاحتمال أثقاله، ومن المظالّ الجليلة والأبنية الفسيحة وما دونها من القباب المتوسطة والأخبية كالأعداد المخرَجة إلى أخيه يحيى ومن معه من بني خزر المتقدم ذكرها. وأخرج معه عدة أحمال من الوطاء النفيس والغطاء السريّ وأنواع الأبنية والأمتعة وما شاكل ذلك، إبلاغاً في تكريمه وتكريم أهله وأصحابه. وخرجت في يوم الخميس الثالث من خروج ابن أبي عامر بإثره عدة من البغال الظهيرة الوثاق المنسوبة إلى الوطاء[٦] محملةً عدّتها من العمّاريات[٧] والهوادج المتقنات الصناعات، الفاخرة الأجلال والكسوات، لصيانة عيال جعفر فيهنَّ، في

(١) بِزِلْيَانَة: قرية على ساحل البحر الأبيض المتوسط، بينها وبين مَالَقة ثمانية أميال، وَيُنْسَبُ إليها عدد من العلماء الأفاضل. (معجم البلدان، الحموي: ١/ ٤١٠).

(٢) غافصه مُغافَصةً، وغِفَاصاً: فاجأه وأخذه على غِرَّةٍ فركبه بِمَسَاءة.

(٣) تَمَلَّصَ من الشيء، أو من فلان: تَخلَّص منه، ومَلِصَ الرجل: ولّى هارباً.

(٤) هو أبو عامر، محمد بن عبد الله بن عامر بن محمد أبي عامر المعافري القحطاني، المعروف بالمنصور بن أبي عامر: أمير الأندلس في دولة المؤيد الأموي، وأحد الشجعان الدهاة. أصله من الجزيرة الخضراء، وقدم قرطبة شابًا، فعظمت مكانته، وتَولّى أُموراً كثيرة. وكانت وفاته سنة ٣٩٢هـ/ ١٠٠٢م. (الأعلام، الزركلي: ٦/ ٢٢٦).

(٥) عِتَاقُ الخيل: كِرَامُها.

(٦) أي هي مُذلَّلة سهلة لينة فيها وَطَاءَة.

(٧) العماريات: جمع العمارية: ضَرْبٌ من الهوادج.

طريقه إلى الحضرة. فورد الخبر بأن ابن أبي عامر رسول الخليفة إلى جعفر احتل عليه يوم الأحد لأربع عشرة خلت من ذي القعدة بالمرسى الذي خرج فيه جَعْفَر بشرقي قرية بِزِلْيَانَة من عمل مَالقَة[١]، وعلى أربعة أميال منها، فاجتمع به مُرحَباً وَمُبشَراً، وأسلم إليه جميع ما أرسله إليه الخليفة من الهدايا المتقدم ذكرها، ووجد عنده بسيلاً (و) عبد الحميد بن بسيل عَامِلَيْ كورة ريَّة قد لزماه مقيمين لما يحتاج إليه، فكسر[٢] جميعهم بمحلتهم تلك يوم الاثنين والثلاثاء بعده لاثنتي عشرة ليلة بقيت منه، إلّا أن جعفراً قدم في يوم الثلاثاء المذكور، بعد ثَقَلِهِ وابنيه، إلى مدينة مَالقَة، ثم خرج به وبأصحابه صاحب السكة مُحمَّد بن أبي عَامِر الرسول فيه سائراً يوم الأربعاء بعده لإحدى عشرة بقيت منه، متنقلاً في المراحل رافعاً بالعيال إلى أن احتل يوم الجمعة لسبع بقين منه قرية أقوه ماره، فوصل إلى مُحمَّد بن أبي عامر فيها غلامٌ للخليفة الحكَم معه ستة أفراس من عِرَابِ الخيل بِسُرج الخلافة وَلُجمها أجراها هديةً لِجَعْفَر بن عليّ يستجل أبدالها لحملانه. فأوصلها إليه، فاشتد بها سروره وسما ثناؤه. ورحلوا يوم السبت بعده يؤمون مدينة قَبْرَة فوافاهم لها صاحب المخزول ناجيت بن مُحمَّد، وأحمد بن عبد الملك الموجهان في إيراد يَحْيَى بن عليّ وبني خزر، فالتقت جماعتهم نهارهم ذلك بمحلة مطليانة بمقربة من مدينة قَبْرَة. وعندما اقترب يَحْيَى من أخيه جَعْفَر ترجّل إليه ودنا منه مُسلّماً عليه، فأمره جَعْفَر بالركوب، وباتوا ليلتهم بمحلة مطليانة بمقربة من مدينة قَبْرَة، ثم انتقلوا يوم الأحد فاحتلوا قرية أطانة من عمل قُرْطُبَة، ويوم الاثنين بعده لِستٍّ بقين من ذي القعدة نزلوا فحص[٣] السرادق طرف شرقي قُرْطُبَة، فَعُدل بِعيَال الرئيسين جَعْفَر ويحيى إلى المنية بالشمامات بشط النهر الأعظم المنسوبة إلى الأخ أبي الحكم بن القرشية، المُسوّرات في العمارات على ما عهد به الخليفة، إكراماً لجَعْفَر ويَحْيَى وإبلاغاً بِسَتْرِ أهْلَي الرجلين وصيانتهن. ونفذ عهده إلى الخصيان أصحاب الرسائل والمقدمين: أنْ إذا جنَّ الليل[٤] أن تنهضوا بهن إلى مدينة قُرْطُبَة مع جماعاتِ الرجال في خفية، فتردُّوا عيال جعفر إلى الدار التي أمر بها وهي المنسوبة إلى يُوسُف بن سُليمان المعروف بابن

(١) مَالَقَة: مدينة عامرة من أعمال ريَّة، سورها على شاطىء البحر بين الجزيرة الخضراء والمَرِيَّة. (معجم البلدان، الحموي: ٥/ ٤٣).

(٢) كَسَرَ (هنا): بمعنى أقام وتَلبَّث.

(٣) الفَحْصُ: كل موضع يُسْكَن، سهلاً كان أو جبلاً، بِشَرْط أن يُزرع، فهو عند أهل الأندلس «فحص»، ثم صار علماً على مواضع عدّة في تلك البلاد. (معجم البلدان، الحموي: ٤/ ٢٣٦).

(٤) جَنَّ الليل: أظلم، فَسَتَر الكائنات.

البياني، وتردُّوا عيال يَحْيَى أخيه إلى الدار المنسوبة إلى قاسِم بن يَعيش الحديثة الشراء من ورثته.

ذكر صفة ترتيب البروز المُعَدّ لدخول هذين الرئيسين يوم قدومهما قُرْطُبَة حتى وصلا مجلس الخلافة

وأمرَ الخليفة، المستنصر بالله، غداة يوم الثلاثاء، لخمس بقين من ذي القعدة، قائده أحمد بن سَعْد الجَعْفَري صاحب الشُّرطة العُليا بالنهوض فيمن ركب معه من طبقات الجند والوفود والحرس في التعبئة بالعدة الكاملة إلى مكان اضطراب جَعْفَر ويَحْيَى ومن معهما من بني خزر بمحلة فحص السرادق وإدخالهم قُرْطُبَة والتقدم بهم عنها إلى المنية المنسوبة إلى ابن عبد العزيز يُعَرِّفهم بتبوُّئهم[1] إياها حتى يتهيأ وصولهم إليها، فأحكم ابن سَعْد العمل في ذلك لما توافت إليه مقانب الأجناد المشتركين معه، واستوى له ترتيبهم، فاندفع بهم من قصر الزهراء، وقد غصَّ بهم الفضاء، فانتهوا إلى باب مَظَلِّ الرئيسين جعفر ويَحْيَى ابنَيْ علي وقد رُفعَ إزاءَه رأس زِيري بن مَنَاد في قناة عالية وحفَّه برؤوس أصحابه الغُلاة المُحلِّين لأهل السنة في حراب سامية، تُوفي عدَّتها مائة رأس، فتناولها فرسانُ الخرْس المأمورون لحملها عندما عهد أحمد بن سَعْد إلى جَعْفَر ومن معه بالركوب، فركب جميعهم وحفَّهم[2] أصحاب السلطان المرسلون، بينهم صاحب السكة القاضي مُحمَّد بن أبي عَامِر، وصاحب المخزول ناجيت بن مُحمَّد، وأحمد بن عبد الملك، وبَسيل وعبد الحميد ابنا أحمد بن عبد الحميد بن بسيل قائد كورة رَيَّة، فردت العساكر على أعقابها وقلبت على نحو ترتيبها في مجيئها، فتقدمتها الرؤوس الملعونة مصطفةً متتابعةً يقدمها رأس مُوبقها زيري بن مناد عالياً عليها وبإثرها الجيوش جيشاً بعد جيش ومقنب[3] إثر مقنب، يتلوها موكب جَعْفَر ويَحْيَى ومن معهما من بني خزر. وقد كرم القائد أحمد بن سَعْد جماعتهم في مواكبته لهم أبلغ تكرمة زاد فيها زعيمهم جَعْفَر بن علي بسطةً على ما أمر به، فسار بردفِ تلك الجيوش والمواكب أمثالها من صناديد[4] أهل قُرْطُبَة ومن انضمَّ إليهم من المستدعين للمشهد من بياض أهل الكور وأجنادهم ووفود

(١) تَبَوَّأَ المكان، وبه: نزله وأقام به، قال تعالى: ﴿والذين تَبوَّءوا الدَّارَ وَالإِيمان﴾ [الحشر: ٩].
(٢) حَفَّهُم: أحاط بهم.
(٣) المِقْنَبُ: الجماعة من الفرسان أو الخيل دون المائة، تجتمع للغارة.
(٤) الصناديد: جمع الصنديد: الشريف، الشجاع، الشديد.

أهل النواحي وَمُزْعَجيهم[١] قد تعبَّوا سِماطين[٢] من المحلة إلى باب منية ابن عبد العزيز.

ولما انتهوا إلى باب السُّدَّة من قصر قُرْطُبَة استقبلهم هناك من تعبئة المحارس والعرفاء المُدرّعين ورجَّالة الأرباض بِقُرْطُبة الشاكين[٣] في الأسلحة أعدادٌ مُتراصُّون قد ضاقت بهم الأفنية، وشرقت[٤] بهم السُّروج والأفضية[٥]. وجلس في هذا اليوم على كرسي الشرطة فوق فراش المدينة على باب السدّة من أبواب قصر الخلافة صاحب الشرطة العليا القائد بِبَلَنْسِيَة وطَرْطُوشَة هِشَام بن مُحمَّد بن عُثْمَان خليفةً لِعَمِّهِ الوزير صاحب المدينة جَعْفَر بن عُثْمَان، وفي المشبّك على باب الجنان منها مُحمَّد بن الوزير جَعْفَر بن عُثْمَان، يُرتّبان ما يلزمهما ترتيبه، فمشى القوم حال استنهاضهم[٦]، قد طاشت[٧] أفئدتهم حتى أفضوا إلى المُصَارَة[٨]، وَعِيجَ[٩] بهم إلى العقبَة التي عليها مسجد الحاجب عِيسَى بن الحسن بن أبي عَبْدَة إلى رَبَضِ مسجد الشفاء، إلى رَبَض حمام اللبدي إلى أن أصحروا[١٠] إلى المنية المذكورة فأُمِروا بدخولها والنزول فيها إلى أن يستدعيهم الخليفة، وقد بُسطتْ لهم أنواع البسط البديعة، وَنُضِدت[١١] بأجناس الأرائك الرفيعة، فظلوا فاكهين بأرغد نعمة. واضطرب الأعزَّة المرسلون فيهم مُحمَّد بن أبي عَامِر وأصحابه مُصحرين في أبنيتهم عند فحص باب مُنية لا يريمون[١٢] مكانهم، والرؤوس منصوبة عند باب المنية حذاءهم، وقد تقدم قائد الجيش يومئذٍ أحمد بن سَعْد الجَعْفَري والجيوش بين يديه إلى باب قصر الزهراء، فتوصل إلى الخليفة مولاه عَشِيَّ النهار، فأعلمه بكنه[١٣] الحال، ووصف له حركات النهار، فأحمد له نظره وارتضاه، وكفَّ عن استدعاء القوم.

---

(١) المُزْعَجُون: من زَعَجَه زَعْجاً: أقلقه، أو قلعه من مكانه، أو حَثَّه على الحركة والعمل.
(٢) السِّمَاطُ: الصَّفُّ.
(٣) الشاكون في الأسلحة: المُدَجَّجُون بها.
(٤) شَرِقَ الموضع بأهله: امتلأ فضاق.
(٥) الأفضية: جمع الفضاء: ما اتَّسعَ من الأرض، أو الخالي منها.
(٦) استنهض فلاناً إلى الأمر استنهاضاً: دعاه إلى سرعة القيام به.
(٧) طاش طَيْشاً وطَيَشاناً: اضطرب وانحرف.
(٨) المُصَارَةُ: الموضع تُمْصَرُ فيه الخيل: تُدرَّب لإبراز مقدرتها على الجَرْي.
(٩) عِيجَ بهم: مِيلَ وَعُدِلَ.
(١٠) أَصْحَرَ القوم: برزوا في الصحراء، أو ظهروا فيها.
(١١) نُضدت: رُتِّبت ونُسِّقت.
(١٢) لا يريمون مكانهم: لا يتركونه، لا يبرحونه.
(١٣) كُنْهُ الشيء: حقيقته.

وكان قد أنفذ عهده إلى الوزير صاحب المدينة بِقُرْطُبَة جَعْفَر بن عُثْمَان بجمع رَجَّالةِ قُرْطُبَة من أحداثها وفتيانها المحسنين لحمل السلاح واكتتاب أسمائهم على تطبيقهم في أرباضهم وإعطائهم التراس والحراب من خزائن السلاح ليشاهدوا يوم الموكب إلى الزهراء، فأنفذ الجمع لهم ونظر في ذلك واستوسع في عدد من استنفر منهم.

وعهد الخليفة أيضاً إلى الناظِرَين في الحشم مُحمَّد بن قَاسِم بن طُملس الوزير، وَزِيَاد بن أفلح صاحب الخيل بترتيب الكتائب وتعبئة المقانب ونظم العساكر لاستدعاء جَعْفَر بن عليّ ومن معه، إليه، والاحتفال فيما يقيمانه من ذلك، فشرعا في ذلك ومن يخدمهما فيه من طبقات الكُتَّاب من مبتدأ ليلة الخميس، قد أذكيا[١] له المصابيح والشمع بأيدي خَدمَتهما، حتى قضيا منه جزءاً كبيراً في ظلام ليلتهما، واتصل نظرهما فيه من صباح يوم الخميس بأحثّ عملٍ وأوحاه مقتسماً على من حفّهما من طبقات أهل الخدمة الكُفَلاء به. فلما استتب على أفضل وجوهه وانتظم على أثقَفِ تناسقه[٢] نفذ العهد إلى صاحب الشرطة العليا القائد بِبَلَنْسِية وَطَرْطُوشَة هِشَام بن مُحمَّد بن عُثْمَان بالمسير من قصر الزهراء في الجيوش المعبأة لاجتلاب جَعْفَر ويَحْيَى ابني عليّ ومن معهما من بني خزر من مكان محلتهم بمنية ابن عبد العزيز إلى الزهراء للقاء الخليفة. فخرج لوجهه ذلك في رواء[٣] جميل وترتيب جليل يقدمه ضروب الأعمال الفخام، وصنوف الرايات الجسام، وبينهن الشطرنج الشامي، كرامةً شرَّفه بها الإمام، فمضى في عَسْكَرٍ جميلٍ جحفلٍ من أكابر الخمسيين بدون الخيل والعبيد بالزهراء، وبين متكفرين[٤] في الدروع السابغة والبيضات[٥] اللّامعات، يتدافع بهم مِراح العِرَابِ[٦] الصاهلة.

فلما وصل هِشَام إلى محلتهم بالمنية المذكورة آذنهم بالركوب، وقد كانوا له على أهْبَة، فابتدروا الخروج في جماعتهم وصار معهم الرسل النافذون فيهم: مُحمَّد بن أبي عَامِر، وناجيت بن مُحمَّد، وأحمد بن عبد الملك، وابنا بسيل، قد صُفَّت الرؤوس المحمولة صدرَ الموكب يقدمها رأس زِيري بن مَنَاد في قناته السامية، يتلوها موكب جَعْفَر ويَحْيَى وبني خزر ومن لَفّ لفّهم من رجالهم، فساروا من باب

(١) أذكى المصباح: أشعله.
(٢) على أثقف تناسقه: على أقوم ترتيبه.
(٣) الرُّواء: المنظر الحَسَن.
(٤) مُتَكَفِّرُون: مُسْتَتِرون.
(٥) البيضات: جمع البَيْضَة: الخُوذة.
(٦) العِرَابُ: الخيول العربية الأصيلة، خلاف البراذين. وخيل مِراح: نشيطة.

المنية بين صفَّين مُصْطفَّيْن من رجَّالة الأرباض بِقُرْطُبَة المسلحين من عند السلطان، انتهت عدتهم في التحصيل ستة عشر ألف راجل عمَّ جميعهم بالتراس والرماح، ثم انتقلوا بين مراتب الفرسان المدرَّعين الذين كلَّف أهل الخدمة وصقالبة القصر إركابهم من عندهم في الأسلحة الشاكة. وكانوا عدة وافرة، ثم تقدموا بين صفوف فرسان الطنجيين المدرعين، ثم نهضوا بين ترتيب فرسان الخمسيين وعبيد الدرق والعبيد الرماة، وعلى جميعهم الدروع السابغة والبيض اللامعة، ثم اشتقوا بين صَفَّيْ فرسان العبيد الرماة الخاصة، لابسي الأقبية البيض، متقلنسي المقاريف[١] الوبر، مُتنكبي قِسيّهم[٢] وكِنانهم الزغرية[٣]، ثم نفذوا بين الفرسان المدرعين حاملي القنوات الناصلة[٤]، وكانت عدتها مائة قناة، ثم صاروا بين سِماطَي الفرسان أصحاب الجواشن[٥]، ثم أفضوا إلى صَفَّي الفرسان أصحاب التجافيف[٦]، وكانت عدتها مائتي تجفاف، ثم انتقلوا إلى تعبئة أصحاب العدة الرائقة من البنود الغريبة الأنواع والصفات والتماثيل الرائعات: من الأسود الفاغرة[٧]، والنمور الجائشة[٨]، والعقبان الكاسرة[٩]، والثعابين المضطربة، وكانت عدتها مائة صورة. ثم ولجوا بين صَفَّي الجنائب[١٠] خيول أمير المؤمنين المُقْرَبة[١١]، مكسوةً بسروج الخلافة ولجمها المحرّقة والمعرّقة[١٢]، وكانت عدتها مائة فرس. انتهى موقفها في هذا الترتيب إلى باب الصورة القبليّ من أبواب مدينة الزهراء. ثم ولجوا باب المدينة بين صفَّيْن مُرتَّبين من فرسان العبيد والعرفاء المدرعين، ثم نهضوا بين صفَّيْن من رجَّالة المسدّدين،

(١) المقاريف: أي الأقاريف: جمع أقروف: لباس للرأس مخروطي الشكل.

(٢) تَنكَّب قَوْسَهُ: ألقاه على منكبه.

(٣) الزُّغْرِيَّة: نسبة إلى زُغَر، وهي قرية بمشارف الشام.

(٤) الناصلة: الخارجة، يُقال: نَصَلَ من الشيء: خرج منه، يقال: نَصَلَ السيف من قِرَابِهِ، ونصلت الخيل من الغبار. وسهم ناصل: خرج منه نصله.

(٥) الجَوَاشِنُ: جمع الجوشن: الدِّرْع.

(٦) التجافيف: جمع التجفاف: ما يلبسه المحارب كالدرع ونحوه، أو ما يُجلَّلُ به الفرس من سلاح وآلة يقيانه الجراح في الحرب.

(٧) الفاغرة: من فَغَرَ فَمَهُ فَغْراً: فتحه.

(٨) الجائشة: من جاش الفرس ونحوه جَيْشاً، وَجُيُوشاً، وَجَيَشَاناً: هاج وارتفع عند مَسِّه بالعَقِب. والجائِشة: المتحركة أو المضطربة.

(٩) الكاسرة: من كَسَر الطائر جناحيه: ضَمَّهما للوقوع على فريسته.

(١٠) الجنائب: جمع الجنيبة: الدابة تُقاد إلى جانب صاحبها.

(١١) المُقربة: الفرس أو الناقة القريبة المُعَدَّة للركوب، أو الفرس تُكَرَّم فَيُقرَّب مَرْبَطُها ومَعْلَفُها.

(١٢) المُعَرَّقةُ: القليلة اللحم المهزولة.

والرماة المختلطين الرامين بنوعي القياس من الأحرار والعبيد، ومن ضُمَّ إليهم من أصحاب الصناعات، وقد لبسوا الثياب الملونة من الإفرند وغيره، على عواتقهم القِسيُّ العربية. وكان صاحب المدينة بالزهراء مُحمَّد بن أفلح قد استوى على كرسيِّها قاعداً يرتب ما يلزمه ترتيبه إلى أن دخل القائد صاحب الشرطة هِشَام بن مُحمَّد إلى القصر، ودخل بدخوله الرسل النافذون ـ كانوا ـ إلى جَعْفَر ومن معه لأول عبوره مُحمَّد بن أبي عَامِر، وابن ناجيت، وابن عبد الملك، وابنا بسيل، ومعهم جَعْفَر ويَحْيَى وبنو خزر. وكان في فصلان[١] باب السُّدة جرّاً إلى دُوَيْرات البرطلات[٢]: الدولتان[٣] من البوابين والعبيديين والغلمان والوكلاء بدار الخيل وغيرهم من طبقاتهم قعوداً في المصاطب على اتصالهم في أحسن زيهم مُتقلِّدي السيوف الحالية، متقلنسين بالقلانس الموشيَّة؛ وأفضوا إلى دار الجند وقد ترتب فيها رجَّالة الرماةِ لابسي أنواعِ الثيابِ الملونة، وعلى رؤوسهم المقاريف الدُّريَّة، وقد تنكبوا القِسيّ الكبارَ أشباهَ الحنايا، بأيديهم الطبرزينات والأجوزة والدَّمَّاغات والأعمدة؛ فعندها تقدم صاحب الشرطة هِشَام بن مُحَمَّد إلى موضع نزوله في المجلس القبلي بدار الوزراء مع أصحابه، وتأخر مُحمَّد بن أبي عَامِر وصحبه المتكنفون لِجَعْفَر وأخيه يَحْيَى وبني خزر بجماعتهم عن مداه، فنزلوا عند باب السُّدَّة، وصاروا إلى مجالس الجند مع أصحابهم، وقد استوى جلوس الخليفة المستنصر باللّه على السرير بالمجلس القبلي الموفي على الرياض المنيفة على السطح العليّ؛ [وكان] قد تقدم بإنذار الإخوة فمن دونهم من طبقات أهل المملكة بالحضور أحفل ما جرت به عادتهم، فأهطعوا[٤] لدعوته وتوصلوا على مراتبهم إلى محلّه، فكان أول مأذونٍ له منهم الإخوة الثلاثة، قعد منهم أبو الأصبغ عبد العزيز شقيقه عن يمينه وتحته أبو المطَرِّف المغيرة أصغرهم وقعد عن يساره أبو القاسم الأصبغ، ثم توصل الوزراء فقعدوا على مراتبهم بإثر الإخوة بعد فجوة. وقام الحُجَّاب منهم عن ذات اليمين: جَعْفَر بن عُثْمان وصاحب الحشم مُحمَّد بن قاسِم بن طُملس، ووَليَ مُحمَّدَ بن قَاسِمٍ صاحب الخيل زِيَاد بن أفلح. ثم توصل أصحاب الشرطة العليا والوسطى فقاموا حجَّاباً على منازلهم عن ذات اليمين واليسار. ثم أذن لأصحاب المخزول والخُزَّان والعُرَّاض وغيرهم من طبقات أهل الخدمةِ، ولمن أُنذر من قريش والموالي والقضاة والفقهاء والعدول، فتوصل جميعهم ومثلوا قياماً على أقدامهم. وقام صَفَّان من الكُتَّاب والمقدمين والوصفاء

---

(١) الفصلان: جمع الفصيل: الرحبة عند مدخل البيت.

(٢) البرطلات: جمع البرطل: المدخل.

(٣) الدولتان: الجماعتان أو الفئتان.

(٤) أهطعوا: أقبلوا مُسرعين.

الأكابر ومَن دونهم من طبقات الخدم والخصيان من بين يدي آخر المجلس والمُعتَرَض، في زيّهم الجميل، عليهم اللأمات[١] السابغة والسيوف الحالية المرصعة بالجواهر الفاخرة، فكانوا من أبهى حلى المملكة. وانتظم بِصَفَّيْ أكابرهم في طول السطح العليّ مَنْ دونهم من الوصفاء وطبقات أهل الخدمة بالدار على سماطين، دارعين متقلدين بالسيوف الحالية وعلى رؤوسهم الطشنيات المُفَضَّضة المرقَّشة، متهيئين إلى المُعْتَرَض بين يدي مجلس الأمراء الغربي إلى باب الفُصْلانِ، واتصلوا صَفَّيْن على انتظام الفصلان إلى فصيل الكتاب الذي يشرع بابه إلى دار الوزراء. وانتظمت التعبئة بعدهم بدار الوزراء من رجَّالةِ فرسان الرياضة ومن متخيَّري عبيدِ الحاجبِ جعفرٍ الهالك، عصبة رائقة المرأى كاملة الشكة، على رؤوسهم البيضات المذهبة وبأيمانهم الحراب الواسعة العريضة على صنعة السيوف الإفرنجية الملونة العصيّ، المزينة بأنابيب الفضة، انتهت تعبئتهم إلى الفصيل المعروف بفصيل أبي العرَّاض، وانتظم في مصاطب تلك الفصلان الطوال بياضُ الكُوَرِ المُستَدْعون اليوم متزينين بأحسن الزينة اللائقة بهم.

ولما استقر جَعْفَر ويَحْيَى ابنا عليّ وبنو خزر في البهو الأوسط من مجالس دار الجند، وتهذبت التعبئة، خرج الفتيان الكتَّاب إليهم بالإذن في دخولهم، فتقدموا وتقدم بهم مُحمَّد بن أبي عَامِر وأصحابه المُخرَجون أولاً للمجيء بهم، فنهضوا داخلين إلى أن صاروا في السطح العلي، ثم استُنهِضوا إلى المجلس الذي قعد فيه الخليفة، فلما أنهضوا إلى بابه قبَّلوا البساط مرة بعد أخرى، ثم تقدم بهم إلى السرير وناولهم الخليفة يده، فتقدمهم جَعْفَر بالتقديم والتسليم، ثم تلاه يَحْيَى أخوه، ثم قُدِّم بنو خزر الأسنّ فالأسنّ، فقضوا ما عليهم من ذلك، وأمرهم الخليفة بالقعود إكراماً لهم. وَقُدِّمَ أصحابهم إثرهم الأسَنّ فالأسنّ فقبَّلوا وسلَّموا، وشافه الخليفة جَعْفَراً قبلهم فأوسع يسأله عما لديه وبسطه. وفعل ذلك بأخيه يَحْيَى وبني خزر أصحابهما، ونطق بتقبل نزوعهم وتحقيق رجائهم واعتقاد مكافأتهم على محبتهم وصاغيتهم، ووعدهم بالإحسان إليهم والتشريف لهم. فأعلنوا الشكر واستهلوا بالدعاء وأكثروا من الثناء وحمدوا اللّٰه تعالى على ما منحهم إياه وألهمهم له من تجديد إسلامهم وتأكيد إيمانهم، في قصدهم حَرَم أمير المؤمنين وإسنادهم إلى عزّ سلطانهم ونبذهم لدعوة الضَّلال وشيعة الكفار واعتياضهم من ذلك بالسنّة والجماعة، والعزّ والطاعة. وغرب جَعْفَر بن علي في غرابة الأدب مقامةُ ذلك عند مشافهة أمير المؤمنين له، إذ كان لا يرد الجوابَ إليه إلا بعد أن يستوي قائماً ويكلمه فيرد جوابه إلى أن انقضى المجلس

---

(١) اللأماتُ: جمع اللأمة: أداة الحرب كلّها من رمح وبيضة ومغفر وسيف ودرع.

فاستُبدِع ذلك من أدبه، وانطلقت الجماعة من المجلس عند انتهائه، فصاروا إلى مقعدهم الأول في مجالس الجند، ومُحمَّد بن أبي عامر وصحبه الموكلون بهم لا يفارقونهم إلى أن ركب بهم صاحب الشرطة العليا القائد هِشَام بن مُحمَّد بحضرتهم لمنصرفهم، فركبوا معه وسار بهم مُشَيِّعاً لهم ومبلغاً إلى الوزراء الذين تقدم الأمر بإنزالهم فيها بِقُرْطُبَة. وكان ركوبهم من الموضع الذي نزلوا فيه عند الأبهاء[١] بدار الجند، وابن أبي عَامِر وصحبه لا يزايلونهم[٢]، فخرجوا من قصر الزهراء مع هِشَام بن مُحمَّد، والترتيب الذي جاؤوا فيه على هيئته، فبلَّغوا زعيمهم جَعْفَر بن علي إلى دار يُوسُف بن عليّ بن سُلَيْمان التي أنزل فيها أهله وثقله، ونهضوا بأخيه يَحْيَى إلى دار قَاسِم بن يعيش، وانتهوا ببني خزر إلى دار إبراهيم الفتى الخليفة الموسومة بـ «النزل»، فاغتدى يوم دخولهم إلى دار إبراهيم هذا، يوم الأحد، أحد الأيام العُقم[٣] التي طار خبرها بالأندلس في الحسن والزينة.

ولما أن استقر جَعْفَر ويَحْيَى بداريهما واطمأنًا فيهما، عهد أمير المؤمنين بإجراء ألف دينار دراهم[٤] على كل واحد منهما للشهر، ومن القمح لنفقاتهما لكل شهر لكل واحد منهما سبعون مُدًّا توسعةً عليهما وإغداقاً في الإفضال عليهما. وأجرى أيضاً على بني خزر من الدنانير والقمح والعلوفة ما يفيض ولا يغيض. ثم تضاعفت على الجماعة الجرايات[٥] وترددت الصِّلات، فأضحوا مغتبطين بما سنَّى لهم المقدار مُتغمِّسين في الحبرة[٦]، قال: وكان الذين دخلوا مع جَعْفَر بن عليّ من بنيه وأهله، ابنه الخارج في عسكر جوهر غلام مَعَدّ إلى مصر المعتقل هناك، وعمّار وعليّ وحَسَن ومَيْمُونة وسُكَيْنة وتامّة وفاطمة وهِنْد أولاد يَحْيَى أخيه، وأخت لهما تُدعى عزيزة بنت عليّ بن حَمْدُون وابنها حَمْدُون من رجل سنّي كنيته أبو القاسِم الغسّاني، وجاء معها إلى الأندلس، وأخت أخرى لها تُدعى زَيْنَب بنت عليّ، جاءت معهم ومعها زوجها مُحمَّد بن مَهنا البجّاني.

وذكرت الشعراء شأن فراق جَعْفَر بن عليّ وأخيه يَحْيَى لسلطانهما مَعدّ بن

---

(١) الأبهاء: جمع البَهْو: البيت المُقدَّم أمام البيوت، أو المكان المُخصَّص لاستقبال الضيوف.

(٢) يزايلونهم: يفارقونهم.

(٣) عُقْمٌ: جمع عقيم: شديد، أو لا خير فيه، والمراد هنا: يوم مشهور لا مثيل له في الحسن والزينة.

(٤) دينار دراهم: أي يُعطون قيمة كلّ دينار دراهم، والمعروف: أن الدينار من ذهب، والدرهم من فضة.

(٥) الجرايات: جمع الجِرَاية: الجاري من الرواتب.

(٦) الحَبرَةُ: السُّرور والنعيم.

إسماعيل وانسلاخهما من دعوته ومصيرهما إلى الخليفة الحكم واعترافهما بحقه فيما مدحت به الخليفة وقتَ ورودهما عليه فأكثرت وجوّدت، فكان من مختار ذلك قول مُحمَّد بن شُخَيْص[١] في شعرٍ طويل له أوله: [من الطويل]

بأيمنِ إقبالٍ وأسْعَدِ طَائرِ ... تَباشيرُ مَحتومٍ مِنَ الأمرِ واقعِ
تَوافتْ بِمُلْكٍ مِنْ معدٍّ مُقوَّضٍ ... لِملْكٍ إلى مَهديِّ مَرْوَانَ راجعِ[٢]
فيا لكِ مِنْ بُشرى سُرورٍ تَضمَّنتْ ... بُلوغَ الأماني عنْ سُعودِ الطوالعِ
لعَمْري لقد أبدتْ وَقيعةُ جَعْفرٍ ... وَيَحْيَى إلى الشيعيِّ أخرى الوقائعِ
تجلَّى بها غيبُ المقاديرِ مِثْلما ... تجلَّتْ سطورُ الصكِّ مِنْ فضِّ طابعِ[٣]
هُما ما هما مِنْ وافدَيْنِ تسابقا ... إلى ظلِّ ضَافي الظلِّ ضخمِ الدَّسائعِ[٤]
تَلقَّاهُما مِنْ بِرِّهِ واصطناعه ... عَوائِد جمُّ الصُّنعِ جَزْلِ الصنائعِ[٥]
فَجَعْفَرُ يُغني عن جُنودٍ بِرَأيِهِ ... ويَحْيَى يُلاقي حَاسِراً ألفَ دارعِ[٦]
هُما قاتِلَا فِرْعَون أمَّةِ أحمدٍ ... بِرغمِ مَعدٍّ والرماحِ الشوارعِ[٧]
ولِلَّه سِرٌّ في إثارةِ جَعْفرٍ ... لإهلاكِ زِيرِي ذائعٌ أو كذائعِ
وتاه لِعزِّ النفسِ أوّلَ راكضٍ ... فكانَ لكأسِ الحتفِ أوّلَ جَارعِ[٨]
رَمَاهُ على سَعْدِ الإمام، وحولَهُ ... ألوفُ ألوفٍ مِنْ مُطيعٍ وسَامعِ
ولا جَيْشَ إلا الصَّبرُ والدعوةُ التي ... وَقَى اللَّه رَاعيها عِثَارَ الوقائعِ[٩]
إذا الحُرُّ لم يجعلْ مِنَ الصبرِ دِرْعَهُ ... وإنْ لم يُوَقِّ الموتَ جَفْنُ المدامعِ
فَمَا الصَّارِمُ الماضي بماضٍ وَلَا الحِمَى ... بِحامٍ ولا الحِصْنُ المنيعُ بمانعِ[١٠]

(١) هو أبو عبد اللّه، محمد بن مُطرِّف بن شُخَيْص: أديبٌ، شاعرٌ، مُتصرِّفٌ في القول، سلك فيه مسلك الجِدّ والهزل. توفي قبل الأربعمائة. (جذوة المقتبس، الحميدي: ٩٥؛ بغية الملتمس، الضَّبّي: ١٢٢).

(٢) وافى القوم: أتاهم، وتوافى القوم: تَتَامُّوا، وتَوفَّى المُدَّة: بلغها واستكملها. مُقَوَّضٌ: مُهَدَّمٌ.

(٣) تَجَلَّى: انكشف وظهر. الصَّكُّ: وثيقة بمالٍ أو نحوه.

(٤) الضافي: التَّامُّ، السَّابغ. الدسائع: جمع الدسيعة: الجفنة الواسعة، أو العطية الجزيلة.

(٥) اصطنع فلاناً لنفسه: اختاره، واصطنع عنده صنيعةً: أحسن إليه.

(٦) الحاسر (من الجنود): من لا درعَ له ولا مِغْفَر.

(٧) الرماح الشوارع: المُسَدَّدَة، يقال: أشرع نحوه الرمح: سَدَّدَهُ.

(٨) الحَتْفُ: الهلاك، الموت. الجارع: من جرع الماء ونحوه جَرْعاً: بَلَعَهُ.

(٩) العِثَارُ: الزَّلَلُ.

(١٠) الصارم: السيف القاطع.

وَكُلٌّ حَوَى حِفْظاً وَفرَّ بِدِينِهِ فِرَارَ عزيزٍ للأعزةِ خَاضع
نَوَى بالنزوعِ اللَّهَ إذْ كلُّ نازعٍ إلى ظلِّ مولانا إلى اللَّهِ نازعٍ[(١)]
تَولَّاهُ ما غابتْ سرائرُ زَيْغِهِ فلمَّا بَدَتْ أَبْدَى توثُّبَ خالعِ[(٢)]
وَما ضاعَ قَطْعُ البرِّ والبحر منهما وما أملٌ عند الإمام بضائع
وأشفعُ ما يحظيهما الطاعةُ التي غدَتْ في غداةِ البعثِ إحدى الشوافع[(٣)]
فَقُلْ لبلاد الشرقِ هُبِّي مِنَ الكَرَى وَإلَّا انْظُري مِنْ طرفِ يَقْظَان هاجعِ[(٤)]
أظلَّكِ مَهْديُّ الإمام فسارِعي فلا حَظَّ في البُقيا لِمَنْ لَمْ يُسارعِ
كأنَّكِ باليوم المعجَّلِ لِلْعِدَا بِوَضْعِ الحَبَالى أو بِشَيْبِ المراضعِ
وكلٌّ لِكُلِّ الهاشميين طَائِعٌ كَعَاصٍ وللمهديِّ عَاصٍ كطائع
أمانيُّهمْ تَرْنو إليهِ كما رَنَتْ عُيُونُ الغواني مِنْ فُتوقِ البَراقعِ[(٥)]
إذا استبق الأملاكُ مِنْ آل غالبٍ حَوَى قَصَباتِ السَبْقِ غيرَ مُدافعِ
بِهِ عُدَّ منها آخِراً قبلَ أوَّلٍ وَرُتِّب منها وَاحِداً بَعْدَ تاسعِ
كَذَا رابعُ الزُّهرِ الدَّراري أجلُّها وإنْ كانَ في استعلائها دُونَ سابعِ
تَواضَعَ كيْ يَزْدَادَ عِزاً وإنَّما تقدَّم عِنْدَ اللَّه عِنْدَ التواضعِ
وقامَ بِمَا أدّى عنِ اللَّه أحمدٌ فَتابع تَبْصيراً لِمنْ لَمْ يُتابعِ
وَقدْ زَمَّها مَرْوَان مِن يوم رَاهطٍ برأيٍ لأهواءِ الجماعةِ جامعِ[(٦)]
وِرَاثة شُورى لَوْ أُعيدَ لما وَعتْ لِدَعْوتهِ الآذانُ دَعْوَى مُنازعِ
ولا شاعَ في مصرٍ لِصَحْبِ مُحمَّدٍ أذىً لم يَكُنْ من قَبْلُ فيها بِشَائع
أصاخوا إلى صوتِ الأذان فجاوبوا بِتَصْفيقِ راحاتٍ وسَكْبِ مَدامعِ[(٧)]
وَلمَّا وَعَوْا ما قِيلَ فوقَ منابرٍ نَسَوْا شُنعةَ المسموعِ فوقَ صَوامعِ[(٨)]

---

(١) نَزَعَ إلى الشيء نَزْعاً: حَنَّ واشتاق، ونزع عن الشيء: كَفَّ وانتهى.
(٢) الزَّيْغ: الضلال. الخالع: من خَلَعَ يده من طاعته: خرج منها.
(٣) يحظيهما: يُقَرِّبهما.
(٤) الكرى: النوم. الهاجع: النائم.
(٥) ترنو: تديم النظر مع سكون طرف. الفُتوق: الشُقوق، الواحد: فَتْقٌ. البراقع: جمع البُرْقُع: قناع تُغطي به المرأة وجهها.
(٦) زَمَّ الشيء زَمًّا: شَدَّه.
(٧) أصاخوا: استمعوا، أنصتوا. الراحات: جمع الراحة: الكَفُّ.
(٨) شنعة المسموع: قُبْحُه.

فَباتوا أسارى دون أسْرٍ وأصبحوا بما أشعروا صَرْعى لِغير مُصارعِ(١)
وَأَسْكَتهمْ فَرْطُ التَّقيَّةِ فانْطَووا على جُمْعِ أَيديهم بغيرِ جَوامعِ(٢)
وَلوْ زَمَّها مُستنصر اللّه باسْمِهِ لأمَّنَ أهلَ الأرض رَوْعَ الرَّوائعِ(٣)
إمامٌ غَدا زَمُّ الشريعة شُغْلَهُ وَمِنْ شِرْعَةِ المعبودِ زمُّ الشرائعِ
فعَمَّرَ أهلُ الفضل كلَّ الجوامع وعَطَّلَ أهلُ اللهو كلَّ المصانعِ
أعزّ ذوي الأفهامِ والعلمِ ظلُّهُ فما شئتَ من راوٍ وواعٍ وواضعِ
وما شئتَ مِنْ شادي قريضٍ وراجزٍ مُشيدٍ لمفروقِ القوافي وسامعِ
وأيّ بليغٍ أو خطيبٍ يفي بما نَثَتْه نَواثي عصره في المسامعِ(٤)
فَتِلْكَ مَسَاعيه وَهذي صِفاتُهُ وَصِدْقُ الدواعي بالشُّهودِ القوانعِ

والشعر في وصف هذا اليوم كثير يطول إحكامه، ولقد ملح يُوسُف بن هَارُون الشاعر الرّمادي(٥) بذكره في بعض غزله حيث يقول: [من الكامل]

وَلَقَدْ عَجِبْتُ لِفعْلةِ المُستنصرِ إذْ أكثفَ الجيشَ اللُّهامَ لِجَعْفَرِ(٦)
وَلَوَ انَّ مَنْ أَهواه يُبْرِزُ وَجْهَهُ قَامَتْ لَواحِظُهُ مَقَامَ العَسْكَرِ

وفي يوم السبت لليلتين بقيتا من شهر ذي القعدة منها جلس الخليفة الحكم المستنصر باللّه فوق السرير جلوساً فخماً، أوصل إلى نفسه أجناد الكُوَر وبياضَ أهلها الذين استدعاهم لمشاهدة دخول جَعْفَر بن عليّ ومن جاء معه من قومه ومِن قوم زناتة عند وجوب مرجعهم إلى بلادهم، فتوصلوا إليه بحسب مراتبهم الأولى بعهد الخلَفاء في التقدم، فدخل أول جمعهم جند دمشق وهم أهل كورة إلْبِيرَة، ثم جند حمص وهم أهل كورة إشبيلِية(٧)،

(١) صَرْعَى: قَتْلَى، أو مطروحون أرضاً.
(٢) التَّقِيَّة: الخشية والخوف، والتقية عند بعض الفِرَق الإسلامية: إخفاء الحَقّ، ومصانعة الناس في غير دولتهم تَحرُّزاً من التَّلَف والهلاك.
(٣) الرَّوْعُ: الخَوْفُ، الفَزَع.
(٤) نَثَى الحديث نَثْواً: بَثَّهُ.
(٥) هو أبو عمر، يوسف بن هارون الكندي الرمادي: شاعر عالي الطبقة، أصله من رمادة، وَوُلِد بقرطبة، وتُوفّي فيها سنة ٤٠٣هـ/ ١٠١٢م.
(المطرب من أشعار أهل المغرب، ابن دحية: ٣؛ جذوة المقتبس، الحميدي: ٣٥٨).
(٦) جيش لُهام: عظيم، كأنه يلتهم كُلَّ شيءٍ.
(٧) إشبِيلِيَّة: مدينة كبيرة، لم يكن بالأندلس يومذاك أكبر منها، وكانت تُسمّى «حمص» وفيها كانت قاعدة ملك الأندلس وسريره. وتقع غربي قرطبة، على بعد ثلاثين فرسخاً. (معجم البلدان، الحموي: ١/ ١٩٥).

ثم جند قنسرين وهم أهل كورة جيَّان[١]، ثم جند فلسطين وهم أهل كورة شَذُونة، ثم جند الأردن وهم أهل كورة رَيَّة. فلما استكمل هؤلاء الدخول وقضوا حقَّ التسليم أذن لمن بعدهم من طوائفهم المستدعين، فتقدم في أولهم أهل كورة قَبْرة، ثم أهل إستِجة[٢] وأشونة[٣] وتَاكُرنَّا[٤] ولَبْلَة[٥]، وغيرهم ممن استُجلِبَ لهذا المشهد. فاستمع الخليفة من كبيرهم وصغيرهم ما ذكروه مما استخبرهم عنه من سير عمَّالهم، فكافأ المشكور منهم سعيه، وقارض المذموم منهم بسيئه، فانقضى مجلسهم معه، وأوذنوا بالانطلاق إلى أوطانهم، فكان يوم جَعْفَر بن عليّ ومن ورد معه من أحد الأيام العقم بِقُرْطُبَة في اكتمال حسنه وجلالة قدره، خَلُدَ حديثُه زمناً في أهلها، قاضياً مِنْ عجب الجلالة، وكلُّ شيء فإلى انقضاء، إلّا إلٰهَ الأرض والسماء، تعالى جدّه.

ذكر القنطرة

وفي يوم الأربعاء لخمسٍ خلون من ذي القعدة منها ابْتُدِىء بعمل سَدٍّ مُحكم الصناعة قريب المونة من منابت شجر الشَّعراء المجتلبة من شمخ جبال قُرْطُبَة، مُثقَّف بِصُمِّ الجنادل والرمل ملأَّم بحُرِّ الطَّفل بحاشيةِ النهر الأعظم بِقُرْطُبَة، لَصقَ الجسر ليدفع جرية الماء بالجهة كيما يكشف عن الأرجل هناك التي أثَّر فيها الماء على تطاول الأمد، فكشط جبسها وخوِّف من وهيها. وتوكّل نظر الخليفة بتداركها وإعجال جلائها، فتمَّ حقن الماء عنها، وشرع في رفعها وتسويتها. . .

وفي يوم الاثنين لأربع بقين من ذي القعدة منها وافى الخبر بإقلاع صاحب الشرطة العليا قائد البحر عبد الرَّحْمٰن بن مُحمَّد بن رُمَاحس من مدينة إشبيلية بالأسطول منصرفاً إلى المريّة عافًا عن إجرائه[٦] إلى جهة المجوس الظاهرين في البحر

(١) جَيَّان: مدينة لها كورة واسعة بالأندلس، وبينها وبين قرطبة سبعة عشر فرسخاً، وتتصل بكورة تُدمير وطليطلة. (معجم البلدان، الحموي: ٢/ ١٩٥).

(٢) إسْتِجَة: كورة متصلة بأعمال رَيَّة، وبينها وبين قرطبة عشرة فراسخ. (معجم البلدان، الحموي: ١/ ١٧٤).

(٣) أَشُونَة: حصن بالأندلس، في نواحي إسْتِجة، وقيل: حصن من أعمال قرطبة. (معجم البلدان، الحموي: ١/ ٢٠٢).

(٤) تَاكُرُنَّا: كورة كبيرة، ذات جبال حصينة، يخرج منها عدد من الأنهار. (معجم البلدان، الحموي: ٢/ ٧).

(٥) لَبْلَة: قصبة كورة بالأندلس، يَتَّصل عملها بعمل أكشونية، وهي بَرِّيَّة بَحْرِيَّةٌ، كثيرة الزروع والثمار. (معجم البلدان، الحموي: ٥/ ١٠).

(٦) عافَ الشيءَ عَيْفاً، وعِيافاً: كرهه وتركه. أجرى السفينة في الماء إجراءً: سَيَّرها.

الشمالي، إذ وردت الأنباء وتوالت بهزيمتهم وهربهم بعد إقدامهم وتلجيجهم[١] في البحر الشمالي لا يلوون على شيء بحسن دفاع اللّه عن المسلمين، إذ اتصل بهم، وصحّ لديهم صمد الخليفة المستنصر باللّه لحربهم، ونصبه التدبير عليهم، وتجريده القائد الوزير غالب بن عبد الرَّحْمٰن، مُدبِّر حروبه نحوهم، وقصدهم في البر، ونهوض القواد بالأساطيل إلى ناحيتهم وتحريكه نحوهم الجنود الحسنة والأساطيل الثقيلة التي لم يجد أعداء اللّه، عند سماعهم بها، من نفوسهم معيناً على التعرض لملاقاتها والانبساط في السواحل التي أحسُّوا بهم فيها، فولوْا على أعقابهم ناكصين[٢]، ومما رجوه من انتهاز فرصة من المسلمين خائبين، وكفى اللّه المؤمنين القتال، وكان اللّه قويًا عزيزاً.

ذكر عيد الأَضحى

وافى عيد الأضحى في العام يوم الأربعاء عاشر ذي الحجّة، فجلس فيه الخليفة الحكم على السرير بِقَصر الزهراء في المجلس الشرقي للتهنئة، للعادة، أفخم قعودٍ وأسناه، فتوصل الإخوة الثلاثة، قبل جميع الناس، أبو الأصبغ عبد العزيز وأبو القاسم الأصبغ وأبو المطرِّف المغيرة؛ فقعد الإخوة على مراتبهم بعد السلام. ثم توصل الوزراء وسلموا وقعدوا إثر الإخوة على منازلهم ذات اليمين، ... ووصل بوصولهم يَحْيَى بن مُحمَّد بن هاشم التُجيبي. وقام الحُجَّاب من ذات اليمين وذات اليسار، ثم توصل إثر ذلك طبقات أهل الخدمة على منازلهم ومراتبهم يَقْدُمهم أصحاب الشرطة العليا والوسطى والصغرى، وفي جملتهم هاشم بن مُحَمَّد بن هَاشِم التُّجيبي، ثم أصحاب المخزول والخُزّان والعُرّاض وفي جملتهم عبد الرَّحْمٰن بن مُحمَّد بن هَاشِم التُّجِيبي وعبد الرَّحْمٰن بن يَحْيَى بن مُحمَّد بن هَاشِم التُّجِيبي، وتساتل[٣] بعدهم طبقات أهل الخدمة ووقفوا في الترتيب على العادة، ونُودِي بالسلام في رجالات قريش الأقرب فالأقرب والأسنّ فالأسنّ منهم، فتوصلوا وسلّموا وأمروا بالقعود في البهو الذي يلي البهوَ الذي قعد فيه أمير المؤمنين عن يساره، وقد كان أُنذِرَ جَعْفَر بن عليّ وأخوه يَحْيَى ورجال بني خزر القادمون من العُدْوَة ليشهدوا السلام في هذا اليوم، فشهد جَعْفَر وبنو خزر، وتخلف يَحْيَى لِعلَّة نالته، فأُجْلِسَ جعفر مع بني خزر قبل

(١) التلجيج: من لَجَّ في الأمر: لازمه وأبى أن ينصرف عنه، أو من أَلجَّ القوم: ركبوا اللُّجّة، وهي معظم البحر وتردُّد أمواجه.

(٢) ناكصون: من نكص عن الأمر: أحجم وتراجع.

(٣) تَسَاتل القوم: خرجوا، أو جاؤوا متتابعين، واحداً إثْر واحد.

الوصول في أحد المجالس القبلية من دار الجند الأدنى منها إلى القصر، فلما أُذِنَ للموالي القُرْطُبيّين في الدخول أُذِنَ لِجَعْفَر وبني خزر معهم فنهضوا في جملتهم فقضوا التسليم. وعهد الخليفة بتشريف جعفر من بينهم بإلزامه الحجاب مع أهل الخِدْمة، فوقف تحت زَكَرِيَّاء بن يَحْيَى الشبلاري الخازن بالزهراء، وتتابعت طبقات الناس في التسليم من طبقات أهل قُرْطُبَة، ثم من الوفود والجنود إلى أن انقضى المجلس.

وظلت الخطباء والشعراء خلال ذلك ترتجل القول وتنشد الشعر فتكثر وتستجيد، فكان من أحسن ذلك قول مُحمَّد بن حسين الطُّبْني[١] في شعرٍ طويل له، يقول فيه: [من الكامل]

نَظَرَ الإلهُ إلى البَرِيَّةِ رَحْمةً ... فاخْتَارَ أَفْضَلَها لَها وَتَخَيَّرا

مَلِكٌ أقامَ العَدْلَ في أيامِهِ ... سُوقاً، فَصَارَ الحقُّ فيه مَتْجَرا

لَم يَجْرِ طَيِّب ذِكْرِهِ في مَجْلِسٍ ... إلَّا حَسِبْتَ به الهواء تَعطَّرا

ملأ العِبَادَ سَنَاؤُه وَثَنَاؤُه ... عَدْلاً فأكسدَ مِسْكَها والعَنْبَرا[٢]

لا يَبْتَغِي السَّاري دَليلاً نَحْوَهُ ... [فالبدرُ] مِنْ لألائهِ قَدْ أَسْفَرَا[٣]

يَجْلو ظَلامَ الليلِ نُورُ جَبينهِ ... فَكأنَّ مُرْتَتَقَ الدُجنَة فجّرا[٤]

لا زالتِ الأيامُ أعظمُ حَظِّها ... في الدهرِ أن تُطْوَى لَديْكَ وَتُنْشَرا

قَرّتْ عيونُ المسلمين بِغُرّةٍ ... زَهْرَاء تَسْلكهم سَبيلاً أزْهَرا[٥]

أبصارُهم تجلو سُروراً ظَاهراً ... وَقُلوبُهم تَجْنِي سُروراً مُضْمَرا[٦]

فَلو أنّ أركانَ السَّريرِ كَواكبٌ ... يُشْرِقْنَ لاسْتَحْقَقْتَ مِنْها أكْثَرا

غيرُ النكيرِ وأنتَ شمسٌ لِلهُدى ... أنْ تغتدي شمسُ الضُّحى لك مِنْبَرا

---

(١) هو محمد بن حسين التميمي الحمّاني الطبني الزابي: شاعر مُكثرٌ مُتفنّنٌ، من بيت أدبٍ وشعر، وجلالة ورياسة. توفي سنة ٣٩٤هـ/ ١٠٠٤م. (جذوة المقتبس، الحميدي: ٥٦؛ بغية الملتمس، الضّبّي: ٦٨).

(٢) السَّناء: الرفعة والعُلُوّ. الثناء: المديح، وذكر الآخرين بالخير. أكسد الشيء: جعله كاسداً: أي غير رائج لقِلّة الرغبة فيه.

(٣) الساري: السائر في الليل. اللألاء: البريق واللمعان. أسفر: وضح وظهر وانكشف.

(٤) مُرْتَتَق الدُّجُنّة: يقال: رتق الشيء رَتْقاً: سَدّه أو لَحَمهُ أو أصلحه. والمُرتتق: الذي سُدَّ خَلَلُه أو لُحِمَ وأُصْلِحَ شأنه. الدُّجُنّة: الظلمة.

(٥) قَرَّتْ عين فلان: سُرَّ وَرَضِيَ واطْمأنَّ. الغُرَّة: الجبين. سلك الطريق: اجتازه أو سار فيه.

(٦) تجلو: تكشف، تظهر. تجني: تقطف، تتناول، تجمع. المُضْمَرُ: الخفي، المستور.

وقول مُحمَّد بن شُخَيْص في شعر طويل أوله: [من الطويل]

أَلمَّ بِنَا الأَضْحَى فَقُلْتُ لَهُ أَهْلا ... وَإِنْ كانَ مَوْلَانا بما قُلْتُه أَوْلَى
تجلَّى أمينُ اللَّه والعيدُ والضُّحَى ... فكانَ أمينُ اللَّه أفضَلَها مَجْلَى[1]
وَما ماثلتْ مِنْهُ الضُّحَى غَيْر وَجْهِهِ ... فَكَانتْ له مِثْلاً ولَيْستْ له مِثْلا
لِيَهنِ بني الإِسْلَامِ فَخْرُ اسْتِلامهم ... بَنانَ يدِ العَلْيَا من الملكِ الأَعْلَى[2]
رَعَى اللَّه مَنْ وَلَّى رِعَايةَ خَلْقِهِ ... فَكَانَ لَها أهلاً وكانتْ لَهُ أَهْلَا
وَمَنْ عَادَتِ الدنيا عَرُوساً بِمُلْكِهِ ... فَدَامتْ لَهُ عِرْساً وَدَامَ لها بَعْلا[3]

يقول فيها في ذِكْر جَعْفَر بن عليّ:

وَرأيِ مَعْدٍ جَلَّ في خَلْعِ جَعْفَرٍ ... لإهلاكِ زيريٍّ فَأَوْلَى لَهُ أَوْلَى[4]
أُدِيرتْ بهِ كأسُ المنيةِ بالمُنَى ... فَأيُّ مَذاقٍ ما أمرَّ وَمَا أَحْلى
أثرتَ لأشياعِ الرَّوافِضِ وَالذي ... تُريدُ له شُغْلاً سَيَعْدِمها شُغْلا (كذا)[5]
بَل اسْتَشْعَرتْ حَرباً وأبدتْ تَجمُّلاً ... وَمُسْتَشْعِرُ الأدواءِ أسْرَعُها ثُكْلَا[6]
وباسْمِ أمينِ اللَّه أُيِّدَ جَعْفَرٌ ... وَما زالَ حِزْبُ اللَّه يَعْلو ولا يُعْلَى

ومنها في ذكر ولده هِشَام:

نَهَتْهُ النُّهى قَبْلَ الثماني عنِ الصِّبا ... فَصارَ اسْمُه مِنْ قَبْل مَنْشَئِهِ كَهْلَا[7]
وَلمْ لا يَجوزُ العَهْد طفلاً وَقَدْ حَوَى ... رِضَى اللَّه مَنْ وَلّاه والده طِفْلا
فاكرمْ بمَنْ أَضْحَى الإمامُ لهُ أباً ... وَأنجبْ بمنْ أَضْحَى الإمامُ لهُ نَجْلا[8]
غَدَوْتَ خِيارَ اللَّه من خَيْرِ طِينَةٍ ... صَفَتْ فاصْطَفى منها الخلائق والرُّسْلَا

---

(١) أفضلها مَجلًى: أفضلها ظهوراً وطُلوعاً وانكشافاً.
(٢) البنان: أطراف الأصابع. العليا: العلياء: الرفعة والسُّؤدد والمجد.
(٣) العِرْسُ والعَرُوس: الزوجة. البَعْلُ: الزوج.
(٤) جَلَّ: عَظُمَ. الخَلْعُ: الخروج من الطاعة، أو نقض البَيْعَة.
(٥) الأشياع: الأتباع. الروافض: فرقة من المسلمين كانت تجيز الطعن في الصحابة، وسُمُّوا بذلك لأن أوّليهم رفضوا زيد بن علي حين نهاهم عن الطعن في الشيخين (أبي بكر وعمر).
(٦) التَّجمُّلُ: التَّصبُّر. الأدواء: جمع الداء: المرض. الثُّكْلُ: فَقْدُ الحميم أو الحبيب.
(٧) النُّهى: العقل.
(٨) أنجب به: أي ما أجمل أو ما أكثر نجابته، والنجابة: هي النباهة والظهور على المثل. النَّجْلُ: الإبن.

ومنها في ذكر غَالِب مولاه:

بِسَعْدِكَ يُبْلِي غالبٌ لا ببأسِهِ ... فأنتَ وليُّ الشُّكْرِ في كلِّ ما أَبْلَى
وَباسْمِكَ يَغدو أعزلُ الجيشِ رَامحاً ... وَلَوْلَاكَ كان الرامحونَ به عُزْلَا[١]
رَمَيْتَ به جَيْشَ المَجُوسِ عِنَايةً ... بِتَخْصِينك التَّقْوَى وَتَأمينكَ السُّبْلَا
وَلَمَّا أحاطتْ بالمحيطِ جُنودُه ... فَلم تُبقِ مِنْ شَطِّيه عُلْواً ولا سُفْلَا
سَرَتْ تخبطُ الظلماءَ والموجَ مِثْلَما ... سَرَى الظعن في الدَّهناءِ يَعْتَسِفُ الرَّمْلَا[٢]
وَمَرَّتْ إلى أقصَى الجزائرِ تَجْتَزِي ... عَنِ الماءِ بالإكثارِ مِنْ خَضْمِها البَقْلَا[٣]
أساطيلُ هُنَّ الموتُ أوْ في طِباعِهِ ... لإِيقَاعها بَطْشاً وَإتْباعِها رُسْلا
إذا أثخنتْ في إثرِ رَاكبِها انْبَرى ... يُجَنِّبُها وَعْراً ويُرْكِبُها سَهْلَا[٤]

وآخر هذا الشعر:

وَقَى اللَّهُ بالأرواحِ مِنَّا الذي وَقَتْ ... إمامتُهُ الأرواحَ والمالَ والأَهْلَا

وقال مُحمَّد بن مَحَامِس الإسْتِجي في شعر له طويل، منه: [من الكامل]

اللَّه لِلحَكَم الخليفةِ صَانعُ ... فيما اصْطَفاهُ لَهُ وعَنْهُ دافعُ
مُستنصر اللَّه الذي هُوَ حَسْبُه ... وَنصيرهُ وَلِمَنْ بَغاهُ صَارعُ[٥]
رَاقتْ بِبَهْجةِ مُلكِهِ أيامنا ... فَكأنهنّ عرائسٌ وَصَنائعُ
فالعدلُ مَبْسُوطٌ ودينُ مُحمَّدٍ ... غَضٌّ وَغُصْنُ الملكِ أخضرُ يانعُ[٦]
يا صَفْوَة اللَّه الرِّضى لِعبَادِهِ ... والمتقي لِمَعادِهِ والخاشعُ[٧]
يَهْنِيكَ عِيدُك بلْ هَنَتْهُ إمامةٌ ... أمويةٌ يَأبَى بِها وَيُقارعُ[٨]
وخليفةٌ في العيدِ مِنْ أيامِهِ ... وَشُروقهن مشابه وقَرائعُ

(١) الرامح في الحرب: المُتسَلِّحُ برُمْح.
(٢) تخبطُ الظلماء: تسير فيها على غير هُدًى. الظَّعْنُ: الراحلون، المسافرون. الدهناء: الفلاة. اعتسف الفلاة: سار فيها على غير هُدًى.
(٣) تَجْتَزي: تجتزىء: تكتفي بالرطب عن الماء. خَضَمَ الشيء خضماً: أكله بجميع فمه، أو بأقصى أضراسه.
(٤) انْبَرَى لَهُ: عرض.
(٥) بَغَاهُ: طلبه أو أراده بسوء. صارع: من صرعه، إذا طرحه أرضاً وقتله.
(٦) الغَضُّ: النَّضر الطَّرِيّ. اليانع: الناضج.
(٧) المعاد: الآخرة. الخاشع: الخاضع الذليل المنقاد.
(٨) يُقارع: يُجالد وَيُضارب.

فَسَلِمْتَ لِلإسلامِ أطولَ مُدَّةٍ وَعُلَاكَ نامِيةٌ وَسَعْدُكَ طَالِعُ

ذكر خبر الصبي المتفاوت الخَلْق

وفي شهر ذي الحجّة المؤرخ اتصل الخبر بأن صَبِيًّا بقرية مناس ماريه من إقليم قُرْطُبَة من كورة رَيَّة، كان مولده في ذي الحجّة سنة خمسٍ وخمسين وثلاثمائة، خالف في خلقه وتركيبه وصورته الحدّ المتفاوت من ضعف الولدان إلى الشدة والقوة، فأرسِل فيه فأحضِر إلى قُرْطُبَة في آخر ذي قعدة، لِتقع عليه العين.

قال عِيسَى بن أحمد: فعنيت بشأنِه وأنعمت الكشف عن حاله وولادته ونشأته، فأخذتها عن جدّه لأبيه الذي قدم به، وهو خَلَفُ بن يَحْيَى بن أراقي بن خَلَف بن منتقم بن عبد اللَّه بن بَدْر بن ناصِح الفرَّاش مولى الأمير عبد الرَّحْمٰن بن مُعاوية، واسم الغلام عُمَر بن أراقي بن خَلَف، فأخبرني أن أمه أتت به لتسعة أشهر آخرها ذو الحجّة المؤرخ من العام المؤرخ لثمانٍ خلون منه، فخرج من بطنها مختوناً مُترهِّلَ الجِلْد[١]، فنشأ بمدة نَشْأً حسناً ونما لحمه وعظمه وعَظُمَ خلقه بسرعة ومشى على قدميه إلى سنة، وتكلم كلاماً ضعيفاً مطروف اللسان، أكْلُه أكلُ غلام. ورأيته فكان طوله ستة أشبار إلى اثنين وعشرين شهراً من ولادته، واثَّغر[٢] في عقب العام المؤرخ إلى أربعة أعوام وعشرة أشهر من ولادته، وله أخ أكبر منه في السن ودونه في الخلق، ووالده وأمه في الوقت باقيان. فاحْتُمِل الصبي إلى قصر الزهراء وأوصله الخليفة فائق صاحب البُرْد والطراز، إلى نفسه وكاشف جدّه خَلَف بن يَحْيَى عن حقيقة أمره فأعلمه بما تقدم ذكره، ولم يخالفه في وصفه وأكل بين يديه. وأنهى خبره إلى الخليفة الحكم فأمره بإيصاله إليه مع جدّه خَلَف، فنظر فيه وكان بين يديه مَلِيًّا، وأمر له بصلة وافرة، ثم أمر بإعادته إليه كَرَّةً أخرى مع جَدّه بحضرة الأمير أبي الوليد هِشَام ابن أمير المؤمنين، فتملَّى النظر فيه والسؤال عنه واهتبل[٣] جده خلف ذِكْرَهُ مَغْرَماً[٤] يلزمه في قريته المتقدمة الذكر يبغي تخفيفه عنه، فأسقطه الخليفة عنه أجمَعَه، وأمر بمخاطبة صاحب الكورة بذلك. ووصل الأمير أبو الوليد هِشَام الغلامَ عُمَر بصلةٍ جزيلةٍ، فانصرفا، وأذِن لهما بالانصراف إلى وطنهما مَحْبُوَّيْن[٥].

---

(١) المَخْتُونُ: الذي قُطِعَت قُلْفَتُهُ. مُتَرَهِّلٌ: مُضطربٌ مُسْتَرْخٍ.

(٢) اثَّغَر الغلام: نبتت أسنانه.

(٣) اهتبل في سيره: أسرع، أو كذب وخَدَع، وتَهبَّل لأهله: تكسَّب.

(٤) المَغْرَمُ والغرامة: ما يلزم أداؤه تأديباً أو تعويضاً.

(٥) مَحْبُوَّان: مُختصَّان بِعَطاءٍ ونحوه.

وفي يوم السبت لِستٍّ خلون منه قعد الخليفة الحكم قُعودَ احتفالٍ بقصر الزهراء، فأوصل إلى نفسه ملح العباد، رسول جِلويرة بنت الملك الهالك رذمير، حاضنة الملك المُمَلّك بعده، رذمير بن شَانجة بن رذمير، صاحب جِليقيَّة يومئذٍ ففهم عنه وخرج. ثم توصل بعده القومس أسمنه بن شانجة المرتهن عن أخيه شانجة بن غرسية صاحب بنبلونة. ثم توصل خميس بن أبي سليط صاحب قشتيلة وديدقة بن شبريط رسول ابن ألَشور، وتوصل مع العجم من كبار نصارى قُرْطُبَة قاضيهم أصبغ بن نبيل وأسقفهم عِيسَى بن المنصور وقومسهم مُعاوية بن لبٍّ ومُطران إشبيلية عُبيد اللّه بن قَاسِم يترجمون عنهم ولهم، ففهم الخليفة ما أدّوه عن مرسليهم، وأجمل الردّ عليهم، فانطلقوا لسبيلهم.

ذكرُ رَفعِ وَهْيِ أرْجل القنطرة

(و) للنصف من ذي الحجَّة منها تم عمل سَدِّ المنعة المعقود أسفل نهر قُرْطُبَة، وفي الشرق منها الذي عُونِيَ إقامته هناك لرفع جريان الماء عن أصول أرجل الحنايا التي ظهر وَهْيُها[1] من أرجل القنطرة، واقتُلِعَتْ حجارةُ قنوات الرَّحى المُصاقبة[2] للرصيف بغربي القنطرة كي يستحيل الماء عن الأرجل فيتمكن من التوصل إلى إصلاح أسسها وتقوية ضعفها، فَشَرعَتْ في ذلك أيدي الفَعَلة في هذا الوقت في تحصين تلك الأرجل وتقويتها بتوابيت الخشب الجسام وأوتاد الحديد الثخان[3] الوثائق والصخر المجوبِ من المقطع في نهاية الصلابة والضخم المكثَّر له من ملاط[4] الكلس المُظاهَرِ باتقان الصنع. وجعل الخليفة المستنصر باللّه ينتابُ مكانه في الأوقات بنفسه، وينظر إليه بعينه مؤكداً على المتولين النظرَ فيه، الخلفاءِ الأكابر، خَدمه، ومن معهم من رؤساء كتَّابه. وإذا لم ينزل إلى المكان ارتقى إلى السطح فوق باب السُّدّة من قصر قُرْطُبَة المشرف عليه، فكان كالشاهد له لقربه منه، فيتملّى القعود هناك متأملاً للعمل مشيراً فيه برأيه، مؤكداً على الفَعَلة في تعجيله قبل هجوم الشتاء، نظراً للناسِ واهتبالاً[5] بمصالحهم، فيزكو العمل وتبدو المعونة.

ودخلت سنةُ إحدى وستين وثلاثمائة والنظر في قنطرة قُرْطُبَة التي هي أُمّ قُرْطُبَة

(١) الوَهْيُ: الضَّعْفُ والوَهَن.
(٢) المُصاقبة: المُقَارِبةُ أو المُوَاجِهةُ.
(٣) الثخان: الغليظة الصّلبة.
(٤) المِلاطُ: الطِّين يُطلى به الحائط.
(٥) الاهتبال: الاغتنام، أو الاحتيال، أو الاقتصاص.

المرضعة، ومَفْضَى[١] سبُلِها المتشعبة، وجماعُ معايشها المختلفة، وقلادةُ جيدها المزدهية، وعُليا مبانيها المعجزة قد ازداد توكداً، وتضاعف توقداً، لاقترابِ فصل الشتاء الذي قد أظلّ، واهتبالِ الخليفة بها الذي لا يملّ، فلم يزل يعلو ويستقل إلى أن كمل بناؤه واستوى تحصينه وأُمِنَتْ عاديته، وذلك يوم الأحد لأربع بقين من المحرم منها، فركب نحوه الخليفة المستنصر باللّه من قصر قُرْطُبَة وأجاز النهر فتأمله كاملاً، وسُرَّ به وارتضاه، وأعلى شكر اللّه على معونته عليه، وجمعت الأيدي عليه، بعد إزاحةِ علّةِ القنطرة، على جبر الخُرْم[٢] الذي بُثِقَ[٣] بسدّ القنطرة للتمكن من البناء في أرجلها فعطّل الرَّحَى الرفيعة الماثلة فوقه، فاتصل العمل فيها وفي توثق شدّها، إلى أن أُحكم ذلك وأكمل في عقب صفر منها، فانطلقت الرَّحى لِطَحْنِها، وعادت إلى أوَّلها، بِحَمْد اللّه تعالى.

---

(١) مَفْضَى السُّبل: مُلْتَقاها.
(٢) جَبَرَ الخُرْمَ: أصلحه، والخرم: الشقُّ.
(٣) بُثِقَ: انْثَقَبَ وانْشَقَّ.

سنة إحدى وستين وثلاثمائة

أول المحرم فاتحتها يوم الثلاثاء الرابع والعشرين من أكتوبر الشمسي.

ففي يوم الأحد لعشر بقين منه نظر الوزيرُ صاحب المدينة بِقُرْطُبَة جَعْفَر بن عُثمان مع صَاحِب الشرطة والسوق أحمد بن نَصْر فيما عهد به الخليفة المستنصر بالله من تنقيل دار البرد التي بغربي قصر قُرْطُبَة وفي صدر سوقها العظمى إلى دار الزوامل التي بالمصارة، طرف قُرْطُبَة، وتنقيل الزوامل من مكانها هناك إلى الدار التي بقرب المحبس عند قصر الناعورة، وإقامة حوانيت للبزّازين[١] بدار البرد المُخَلَّاة، لينفسح بهم سوقهم، وتستوسع صناعتهم، إذ شَكَوْا ضيقها. وكانت تلك الدار مُصاقبة لهم فَبُلِّغوا بتبوُئها أملاً قضى وطرهم. وكانت هذه الدار البردية من بنيان الأمير الداخل عبد الرَّحْمٰن بن مُعاوية، رحمة الله عليه.

وفي صدر المحرم منها رحَّلَ الخليفةُ الحكم خليفتَه المتقدمَ في خصوصيته، فائقاً الفتى الكبير الصّقلبي، صاحبَ البُرْد والطراز، من داره بالمصاف الشرقي من قصر الزهراء إلى دار الحاجب، جَعْفَر بن عُثْمَان بن عبد الرَّحْمٰن الصّقْلبي المتوفَّى في سنة ستين قبلها، الجليلة القدر بالمصافّ الغربي قربه، عندما اعتلت منزلته لديه، تنويهاً به وتشريفاً له.

وفي آخر ليلة بقيت من سنة ستين وثلاثمائة المنسلخة هبَّت رياح عاصفة، ولاحت بروق لامعة، وقصفت رعود مفزعة، وتنزَّل مطر وابل[٢] رَوّى البسيطة[٣] وتنزَّلَتْ في عَقِب المحرَّم منها أمطارٌ ثرّة امتدت الزراعة بها من كل جهة.

وفي ليلة الجمعة لليلتين خلتا من صفر منها احتلّ الوزير القائد غَالِب بن عبد الرَّحْمٰن بمحلة فحص السّرادق قافلاً من غزاته إلى سُد[٤] الغرب التي تجوَّل فيها وأشرف على المجوس الأردمانيين الجائشين في هذه السنة، فاستركب إليه الجيوش

---

(١) البزَّازون: بائعو الثياب والأقمشة.

(٢) مطر وابل: شديد، غزير.

(٣) البسيطة: الأرض.

(٤) سُد: كذا في الأصل، والسّد: الجبل.

يوم السبت بعده من قصر قُرْطُبَة في التعبئة المنتظمة بالعُدَدِ الفخمة، فيها الشطرنج والألوية، فتقدم من محلَّته وبين يديه المراكب على أَجلّ هيئة وأتمّ أهبة، إلى أن وصل إلى قصر قُرْطُبَة والخليفة يومئذٍ مقيم به، فتوصل إليه وقعد بين يديه مليًّا مفاوضاً له ومسائلاً عن حركاته وتقلبه في غزاته التي كفى اللَّه فيها المسلمين القتال، وكان اللَّه قويًّا عزيزاً. فخلع عليه وانطلق إلى داره، محموداً سَعْيُه.

وفي يوم الثلاثاء لثلاث بقين من صفر منها الذي كان التاسع عشر من شهر دجنبر، تزلزلت الأرض في أول الساعة الرابعة منه وسكنت بسرعة.

وفي يوم الخميس لليلة بقيت من صفر نزل بِقُرْطُبَة وما يليها غيثٌ وابلٌ، اتصل من سَحَر[١] ليلته إلى عشيّ النهار، فكمل لِدُرور[٢] الغيث الوابل من ليلة الأربعاء لِستٌّ خلون من ربيع الأول، وهاجت فيها رياح شداد، وهاجت ليلة الخميس بعده ريح نكباء[٣] شديدة الهبوب، اتصلت يوم الخميس بعده وانهمرت الأمطار بِقُرْطُبَة من يوم الأربعاء لإحدى عشرة خلت من ربيع الآخر منها إلى يوم الثلاثاء لثلاث عشرة بقيت منه، وهاجت في هذه الأيام رياح شداد باردة ونزل الثلج بأقاليم قُرْطُبَة وكورها وزاد النهر، وكانت للخليفة المستنصر باللَّه يوم الأحد لثلاث عشرة بقيت من ربيع الأول منها رَكبَة حافلة اجتاز فيها بالربض المعروف بقرن مرمل بالربض الشرقي، وسلك المحجَّة[٤] الضيقة على شمال الخندق فاغتصَّت بأهل مركبه، وتأمل آفة الضِّغاطِ فيها عند مثل موكبه، وأنه لا يُؤمَنُ عند الازدحام فيها التردِّي[٥] في الخندق المصاقب[٦] لها، فعهد ساعة نزوله بابتياع الحوانيت التي على هذه المحجَّة من أربابها ما بلغ ما يوافقهم من أثمانها وهدمها وضمها إلى المحجَّة كيما تتسعَ بالناس وَتُؤمن مَضَرَّتُها[٧]، نظراً منه للكافة وامتراءً[٨] للحسنة، فنفذ ذلك سريعاً وعظمت به المنفعة.

وفي يوم الثلاثاء لخمس بقين من ربيع الأول منها أوصل الخليفة المستنصر باللَّه إلى نفسه، وهو بمُنْية أرحاء ناصع، العارضين: مُحمَّد بن يَعْلَى وابن أخيه يَعْلَى بن

---

(١) السَّحَرُ: آخر الليل قُبيل الفجر.

(٢) درور الغيث: سقوطه، انهماره.

(٣) النكباء من الرياح: التي تنحرف وتقع بين ريحين كالصَّبا والشمال، يقال: نكبت الريح: مالت عن مهابّ الريح العادية.

(٤) المَحَجَّةُ: الطريق المستقيم.

(٥) التَّرَدِّي: السُّقوط.

(٦) المُصاقب: المُقابل، المُواجِه.

(٧) مَضَرَّتُها: ضَرَرُها وأَذاها.

(٨) امترى الشيءَ: استخرجه.

أحمد بن يَعْلَى، فأمرهما باللحاق بسيدهما، الوزير القائد في سَرَقُسْطَة أحمد بن يَعْلَى إذ اتصل به أنه بآخر رَمَقٍ[١] من علّة، فإن قضى نَحْبَهُ، التزما ضَبْطَ عمله والمقام به إلى أن يأتيهما من أمره ما يحتملان عليه، فنظر في شأنهما ونفذ الأمر يوم الخميس لخمسٍ بقين منه.

وفي يوم الثلاثاء لثلاثٍ خلون من ربيع الآخر منها، خُوطِبَ صاحب الشرطة العليا، أحمد بن مُحمَّد بن عبَّاس، بتقديمه من قيادة مدينة لَارِدة وذواتها من الثغر الأعلى إلى مدينة سَرَقُسْطَة[٢] وتُطِيلة[٣] وأعمالها منه، مكان واليها الهالك بِها الوزير أَحمد بن يَعْلَى، رحمه اللَّه، وولَّى عبَّاس بن مُحمَّد بن عبَّاس مدينة لَارِدَة وعملها، وعقد له بها، فخرج نحوها يوم السبت لسبعٍ خلون منه، فلما كان في ليلة الجمعة لعشرٍ بقين منه وصَل إلى قُرْطُبَة العارضان، مُحمَّدُ بن يَعْلَى وابن أخيه يَعْلَى بن أَحمد، عيالَ الوزير أحمد بن يَعْلى وأعوانه وثقله، التقيا بهم في طريق سَرَقُسْطَة مُقبلين، فانصرفا بهم.

وفي يوم السبت سلخ ربيع الأول رأى الخليفة، المستنصر باللَّه، إيقاع اسم القيادة العليا على الوزير القائد غَالِب بن عبد الرَّحْمٰن، تشريفاً له وتنويهاً بذكره لحميد غنائه وجميل مقامه. ووقع له بذلك إلى الوزراء على ظهر كتاب كان خاطبه به منتصحاً له في معاني الجند والارتباط الذين إليه، قصد منها نصيحته والاحتياط على المال. فحسن موقعه منه، وأخرج كتابه إلى الوزراء فوقَّع على ظهره بخطِّ يده: «هذا ما تضمنه غَالِب لنا بلسانه وأبانه عندنا وبين أيدينا له صامتاً ثم خَطَّهُ بيمينه في كتابه هذا، وقد قبلناه وأمضيناه ورضيناه وأجزناه، فليلزم توقيعنا هذا، ويستقر في البيت عندكم، إن شاء اللَّه، وَرَأينا أن نُوقِّع اسم القيادة العليا على غَالِب مولانا لغنائه وجميل مقامه، فلا يُخاطَب من الآن إلا به تشريفاً له، إن شاء اللَّه، واللَّه المستعان».

وفي [يوم] الإثنين غرة جمادى الأولى منها، هجمت على الوزير، صاحب المدينة بِقُرْطُبَة، جَعْفَر بن عُثمان، علَّةٌ شديدة، فلما صار في بحرانها[٤] يئس من الحياة، ولم يشكّ في حلول القضاء به، فخاطب الخليفة المستنصر باللَّه يذكر ما هو عليه من الإشراف على المنيَّة، وأنه لا يشكّ في انصرامِ مُدّته ويسأله أن يخلفه في بيته

---

(١) الرَّمَقُ: بقية الروح.

(٢) سَرَقُسْطَة: بلدة مشهورة، تتصل أعمالها بأعمال تُطيلة، ذات فواكه طيبة عذبة، مبنيةٌ على نهر كبير، ولها شهرة بصناعة الثياب. (معجم البلدان، الحموي: ٣/ ٢١٢).

(٣) تُطِيلة: مدينة تقع شرقي قرطبة، وتتصل بأعمال أَشقة. وهي شريفة البقعة، غزيرة المياه، كثيرة الأشجار والأنهار. (معجم البلدان، الحموي: ٢/ ٣٣).

(٤) البُحْرَانُ: التَّغَيُّر الذي يحدث للعليل فجأة في الأمراض الحُمِّية الحادَّة، ويصحبه عرق غزير، وانخفاض سريع في الحرارة.

وأهله، الخلافة العالية، على ظنة الخليفة عليه، واغتمَّ لشدة حاله، ووقَّع إليه مخاطباً مجاوباً بخط يده على ظهر كتابه:

«قرأنا كتابك بما ذكرت من اشتداد حالك ووقوع يأسك وارتفاع رجائك، فعظم علينا ذلك وكثر غمُّنا به، وأشفَقْنا منه، ونرجو أن يأتي اللّه بخير ويعقب بعافية، فإن كان ما لا بُدَّ من كونه قريباً أو بعيداً، أو تخطَّانا، فكل ما سألت ورغبت في نفسك وأهلك ومَن تتخلَّف، فعلى أفضل الذي رغبته وأردته وأمَّلتَه ورجوته، فما أعلم رزية أعظم من رزيتك لدينا لما بلوناه من شكرك ومجهود حرمتك[١] ومحمود صحبتك. وإنّا لم يرد علينا من قِبَلِك وناحيتك قطُّ ما أغمَّنا ولا ما أنكرنا ولا سوء ثناء قطّ بشيء، ظاهراً ولا باطناً، فإن تكن المصيبة فإنّا للّه وإنّا إليه راجعون، وإنْ تكن العافية فالحمد للّه ربّ العالمين على جديد إفضاله وجميل بلائه، وعلى كل أحواله، والسلام عليك ورحمة اللّه وبركاته».

فَجَرَى من قَدَر اللّه تعالى أن أفْرَقَ جَعْفَر من مرضه، واستبل[٢] واستوى نُقُوهُه[٣]، فركب إلى الزهراء أول ركبةٍ كانت له يوم الثلاثاء لتسعٍ خلون من جمادى الأولى منها، وتوصل إلى الخليفة وشهد مجلس الرأي بين يدَيه معَ الوزراء أصحابه.

وفي غُرّة جمادى الأولى منها بلغت جِرَاية جَعْفَر بن عليّ الأندلسي، الأَمين المستأمن إلى الخليفة المستنصر باللّه؛ وابنه إبراهيم، إلى ثمانمائة دينار وازنة لكلّ شهر.

وفي يوم السبت لثمانٍ خلون منه أمر الخليفة المستنصرُ باللّه صاحب الشرطة والسوق أحمد بن نَصْر بتوسيع المحجة العظمى بسوق قُرْطُبَة لضيقها عن مخترق الناس وازدحامهم فيها وهدَّ[٤] الحوانيت المتحيِّفة[٥] لعرضها، المضيِّقة لسبيلها، كيما ينفسح الطريق ولا يضيق بالواردين والصادرين، نظراً منه لكافة المسلمين واهتبالاً بمصالحهم، فأتم ذلك على ما حُدَّ له.

وفي يوم الأحد لسبعٍ بقين من جمادى الأولى وصل إلى قُرْطُبَة قسطنطين الملقي، رسول صاحب القسطنطينية، المقدم على مملكة الروم فسعى في قتله هذا الملك الذي أنفذ رسوله هذا إلى الخليفة المستنصر باللّه، واسمه أبو السمسقين.

---

(١) الحُرْمَةُ: ما لا يحلُّ انتهاكه من ذِمَّة أو حقٍّ أو صحبة، يقال: تحرَّم منه بحرمةٍ: تحمَّى وتَمنَّع، وتحرَّم بفلان: عاشره ومالحه وتأكَّدت الحرمة بينهما.

(٢) اسْتَبلَّ فلان من مرضه، وأَبَلَّ، وابْتَلَّ، وَبَلَّ: بَرَأَ وصَحَّ.

(٣) النُّقُوه: يقال: نَقِهَ من مرضه نَقْهاً ونُقُوهاً: بَرَأَ، ولا يزال به ضعف.

(٤) هَدَّ البناء ونحوه: هَدَمَهُ.

(٥) المُتَحيِّفة: المُتنقِّصة، يقال: تَحيَّفَ الشَّيءَ: أخذه من حافاته وتَنَقَّصَهُ.

وليس من أهل بيوت مملكتهم بل كان هو الدُمُسْتُق ليعفُرن(١) قبله، فانتزى(٢) مكانه، فكرم الخليفة رسوله، وأمر بإنزاله في مُنْية البنتي، وَأُجْرِيَتْ عليه الجراية الواسعة.

وفي هذا التاريخ توصَّل إلى أمير المؤمنين يَحْيَى بن هُذَيْل بن رَزِين وبنوه وبنو أخيه المُتوفَّى مَرْوَان بن هُذَيْل، وكانوا أربعة، أحمد وعَبد الرَّحْمٰن ومَسْرُوراً وحُسيناً وَلُبًّا وعِيسَى بن مروان، فرساناً نبهاء، فبسطهم وأثنى عليهم ووعدهم بجميلٍ، وقسم بينهم عمل والدهم مروان أقساماً، سجل لكل واحد منهم على قسطه منها عن تراض منهم واتفاق بمحضر الوزراء في بيتهم، وعَمَّ جميعهم بالخِلَع الفاخرة ورُدُّوا(٣) بالسيوف الحالية، ووُفِّرَ من ذلك حظ عمّهم يَحْيَى وبنيه فانقلبوا بِغبْطَةٍ، وذلك في عقب جمادى الأولى منها.

وفيه قدّم مُحمَّد بن أبي قادم وأحمد بن قَاسِم بن قلزم إلى أمانة الأهراء، وقدّم مُحمَّد بن عبد اللَّه بن أبي عَامِر إلى خُطّة الشرطة الوسطى مجموعاً له إلى ما في يده من خُطّة المواريث والقضاء بإشبيلية ووكالة الأمير أبي الوليد هِشَام، فارتفعت منزلته في الدولة وأُزيحت عنه خُطّة السكة(٤)، فتقلدها صاحب الشرطة العليا القائد بجَيّان، يحيى بن إدريس. فلم يستقل يحيى بِأمر السكة ولا تهيأ له قعودٌ فيها ولا ضَرَب ديناراً ولا درهماً إلى أن صُرِفَ عنها بأحمد بن حُدَيْر في صدر رمضان من هذه السنة، ثم أضيفت إليه الخزانة في شهر جمادى الأولى فاستقلَّ بالعَمَلَيْن.

وفي يوم الخميس لتسع خلون من جمادى الآخرة منها نزل بِقُرْطُبَة غيثٌ وابل، ودخل شهر إبريل العجمي فجَاء الحضرةَ رعدٌ شديد وأنواء مكفهرَّة(٥).

وفي آخر رجب منها سجَّل الخليفة المستنصر باللّه للخمسة من ولد عمريل بن تيملت المغربي المُتوفَّى: عبد الرَّحْمٰن وحكم ومضا وغالب وزروال، على عمل أبيهم عمريل، مُسهماً فيه بينهم على رضىً منهم وتسليم بين يدي الوزراء في بيتهم، وَعُمُّوا بالخلع وَرُدُّوا بالسيوف الحالية حسبما فعل ببني رزين نظرائهم، وانقلبوا مَغْبُوطين إلى بلدهم.

وفي صدر شعبان منها صفح الخليفة عن فَتْح الحجَّام الخصيّ، مولى الناصر وَمُزيِّنه، وكان مسخوطاً مسجوناً بداره، فأذن له في الخروج والتصرف من غير استخدامٍ ولا تقريب.

---

(١) يعفرن: هو نقفور الثاني إمبراطور القسطنطينية.

(٢) انتزى على الشيء: نزا عليه: وَثَبَ، وانتزى به قلبه إلى الشيء: طَمِح ونازع إليه.

(٣) رُدُّوا بالسيوف: أُلبِسُوها، يقال: رَدَّى فلاناً: ألبسه الرِّداء.

(٤) السِّكَّةُ: حديدة منقوشة، تُضرب عليها النقود.

(٥) المُكْفَهِرَّةُ: المُتراكبة، ويقال: سحاب مُكْفَهِرٌّ: غليظٌ أسود، وعامَ مُكْفَهِرٌ: عابسٌ مُجْدِبٌ.

وفي يوم السبت لخمسٍ بقين من جمادى الآخرة منها أوقع صاحب المدينة بالزهراء مُحَمَّد بن أفلح عن عهد الخليفة بالعصبة البُطَراء من أهل قُرْطُبَة المُسْتَخِفِّين بالطاعة، الصائلين بِذَرَبِ[١] الألسنة، أنبههم عِيسَى بن قرلمان[٢] الملقب بالزبراكة، الكاتب الشاعر، ومؤنس الكاتب، مولى الأخ المنذر بن الناصر، وأحمد بن الأسعد الملقب بِصَدَّام الكاتب، وجماعة إليهم، رُمُوا بالاستخفاف والتعطيل والغَمْصِ[٣] للخليفة والرُّتوع[٤] في أعراض الناس ونشر مثالبهم[٥]، في أشعار يجتمعون على صَوْغِها ويتبارون فيها. فرأى أمير المؤمنين رفعَ أذاهم وقَطْعَ مضرَّتهم بنفيهم[٦] من الأرض وإيداعهم السجن والإبلاغ في إهانتهم جزاءً بما كسبت أيديهم وما زوَّرت[٧] ألسنتهم، وما اللَّه بظلام للعبيد. فأحفى[٨] الطلب عنهم وأودع السجن من ظفر به منهم، وفات بعضهم، فكان ممن ألحف[٩] الطلب له والبحث عليه من مُسْتَخِفِّيهِمْ، يُوسُف بن هارون البَطَلْيُوسي الشاعر المعروف بأبي جنيش[١٠]، زعيمهم، غاب مدةً والطالب له حثيث والفداء عليه مُتَّصل، فلما أيقن أن البقاع لا تليقه[١١] والأرض لا تحمله، أهدى نفسه كالعبد مُستبسلاً لِحتفه[١٢]، فأقبل مغيّراً طلعته، شَادًّا حيازيمه[١٣]، واضعاً لبداً[١٤] له فوق رأسه كيما يَتوطَّأه[١٥] في السجن، فلم يُؤْبَه[١٦] له حتى انتهى إلى باب السجن بالزهراء، فقال لِبوّابه: أنا فلان المطلوب الذي تعلمون

---

(١) ذَرَبُ الألسنة: سَلاطَتُها وحِدَّتُها وفُحْشُها.

(٢) هو عيسى بن عبد اللَّه بن قرلمان، أبو الأصبغ الخازن: شاعر مشهور، ذكره أبو محمد علي بن أحمد، ولم يذكر تاريخ وفاته. (جذوة المقتبس، الحميدي: ٢٩١).

(٣) الغَمْصُ: التحقير والاستصغار والازدراء.

(٤) رَتَعَ في لحمه رُتوعاً: اغتابه، وَرَتَع في أعراض الناس: تناولها بالسوء.

(٥) المثالب: العيوب.

(٦) النَّفْيُ: عقوبة تقع على الشخص بإبعاده خارج البلاد قَسْراً.

(٧) زَوَّرَتْ ألسنتهم: كذبت، ومؤهت، وزيَّنت الباطل.

(٨) أحفى الطلب: ألحَّ واستقصى.

(٩) ألحف السائل: ألحَّ.

(١٠) هو الشاعر يوسف بن هارون الرمادي المتوفى سنة ٤٠٣هـ/ ١٠١٢م.

(١١) لا تليقه: لا تمسكه.

(١٢) الحتف: الهلاك.

(١٣) الحيازيم: جمع حيزوم: الصَّدر أو وسطه.

(١٤) اللَّبَدُ: الصوف.

(١٥) يَتوطَّأه: يدوسه، ينام عليه، يتخذه وطاءً: أي مِهَاداً.

(١٦) لم يُؤْبَه له: لم يهتم به أحد.

خبره قد أتيتكم بنفسي، ولا مرحب[١] بي، فَضُمّوني في الدرك الأسفل، وَعَرِّفوا صاحب المدينة بحُصولي. فابتدروه وأوصدوه[٢] وعجلوا إلى صاحب المدينة، مُحمَّد بن أفلح، بخبره، فأمرهم بتقديمه إلى مجلسه بكرسي الشرطة، بقصر الزهراء، متلولاً[٣] بحبل في عنقه. ففعلوا ذلك، وقيد برمته من باب السجن إلى كرسي المدينة، وكتب صاحب المدينة مُحمَّد بن أفلح، إلى الخليفة الحكم يعرِّفه بمكان يُوسُف وما كان من إذعانه ومجيئه من ذاته خاضعاً محكِّماً في نفسه، فرقَّ له الخليفة وعهد بإطلاق سبيله.

وبعد أيام من قصة يُوسُف بن هارون، أمر الخليفة الحكم بإطلاق سبيل عِيسَى بن قَزلمان، الكاتب الشاعر، وأصحابه الذين تقدم سجنهم بمثل جريرته[٤]، فتقدم إليهم بخزن ألسنتهم، والاتقاء لمعاودة قرفتهم[٥]، وخَلَّى سبيلهم، وذلك في عقب شعبان من هذه السنة.

وفي يوم الخميس لثمانٍ بقين من شهر رجب منها، قدم قُرْطُبَة أولادُ الوزير القائد العاصي بن حَكم التُجيبي صاحب قلعة[٦] أيوب المُتوفى في هذا الوقت وهم: حكم وأحمد وعبد العزيز ولبٌّ، وأقبل معهم قاضي البلد، مُحمَّد بن داود، وصاحب الصلاة فيه، يُوسُف بن مُحمَّد، النافذ عزلهما عما كانا يتوليانه، والاستبدال منهما معاً بالفقيه مُحمَّد بن قاسم بن الحاج المعروف بالبطريولي، جمعا له معاً؛ وقد كان متقدماً في العلم والزهد والفضل، فأدنى الخليفة المستنصر باللّه مكان الفتية أولاد العاصي وكرّم مثواهم[٧] وأقرّهم على أحوالهم، وأمر بسجن مُحمَّد بن داود المعزول عن قضاء قلعة أيوب، ويُوسُف بن مُحمَّد صاحب الصلاة بها، ومُحمَّد بن عبد اللّه كاتب العاصي القادم معهم لجرائر نقمها عليهم.

وفي عقب رجب منها ورد كتاب الوزير القائد الأعلى غالب بن عبد الرَّحْمٰن في غَالِب وزروال وحكم، يصفهم بالبأس والحزم، وَيُشير بتقليدهم عمَلَ والدهم

---

(١) المرحب: السعة، ويقال في الترحيب: مرحباً بك، أي أنزل في الرحب والسعة، ويقال في الدعاء عليه: لا مرحباً بك.

(٢) أوصدوه: ضيَّقوا عليه وأرهقوه، أو حبسوه.

(٣) المتلول: المُلْقَى على عنقه وخدّه.

(٤) الجريرة: الجناية، الذنب.

(٥) القرفة: التهمة.

(٦) قلعة أيوب: مدينة عظيمة جليلة القدر، من أعمال سَرَقُسْطَة، كثيرة الأنهار والأشجار، وكان فيها عدد من الحُصون. (معجم البلدان، الحموي: ٤/ ٣٩٠).

(٧) المثوى: المقام.

عمريل بن تيملت، فَأُجِيب إلى ذلك، وسجل لعبد الرَّحْمٰن منهم على حصن «بوذيل»، ولأخيه غالب على حصن «عتيقة»، ولأخيهما مضا على «بنه رويه»، ولأخيهم زروال على «الصخيرة»، وكرموا بالخلع والجوائز.

وكان الخليفة الحكم قد رتب المعروف بابن أبي عَمْرُوس العريف، وسعيداً صاحبه، المسلمين الماهرين بالخدمة، المعروفين بصدق اللهجة، للسفارة بينه وبين ملوك جليقية ولقاء قواميسها والتردّد إليهم كل وقت لتعرف أخبارهم والتجسس لأنبائهم، وحمل الكتب إليهم كل وقت، وصرفها عنهم، فيصح الصحيح وتحسن الفائدة[١].

وفي غرة شهر رمضان منها جدد الخليفة المستنصر باللّه الحَكَم، عادته التي لا يخلّ بها، من إفشاء الصدقات ومظاهرة القربات، سِرًّا وعلانيةً، فنعش اللّه بمعروفه أُمّةً من ذوي الحاجة.

وفي عشي يوم الأحد، أول أيّامه، أوصل الخليفة إلى نفسه الفقيه أحمد بن مُحمَّد بن يُوسُف الملقب بالقَسْطلي[٢] فأمره بالتأهب لتعليم ولده الأمير أبي الوليد هِشَام، وأحسن وصاتَهُ به ورسم له في تعليمه وتدريجه رسوماً أقادَهُ عليها ولم يَعْدُ عنها، نفع اللّه الولد بها. وكان قد أمر بتطرية الدار المعروفة بدار الملك بقصر الزهراء وتنجيدها وإقامة كل ما يحتاج إلى إقامته وإعداده بها وفي الطريق إليها، وفَتْح بابٍ غربيٍّ في فصيل الفتيان بها، يقترب عليه الخروج منها إلى هذه الدار، فيكون قعوده مع مؤدبه المذكور في المجلس الشرقي منها، بأيمن طائر. فقضي ذلك كله وأحكم شأنه، فكان جلوس الأمير أبي الوليد مع معلمه في المجلس المذكور من الدار المحدودة يوم الخميس لخمسٍ خلون من شهر رمضان. واستخف الخليفة الحكمَ السرور بما هيأه اللّه من ذلك، إلى أن برز إلى هذا المجلس نهاره هذا لتقع عينه على ابنه وتشاهد كيف صبره على الثِّقافِ الذي لزَّهُ[٣]، فعاين من ركانة[٤] مجلسه وطلاقة وجهه وإقباله على معلمه وسكون جأشه ما قرّت به عينه وتجدّدت معه مَسَرّته، فبادر بإخراج مالٍ واسع إلى صاحب الشرطة والسوق أحمد بن نصر بعينه[٥] ليفرقه على الضعفاء والمساكين وأبناء السبيل، شكراً للّه تعالى على جليل منته عليه في قرّة عينه وسلالة مجده. وعهد بعقد استثمار الفقيه أحمد بن يُوسف معلم الأمير أبي الوليد

(١) يبدو أن هذه الجملة قد وُضِعت في غير موضعها، لذلك لم يَتَّضح معناها، أو المراد منها.

(٢) هو أبو القاسم، أحمد بن محمد بن يوسف المعافري: فقيه، أديب، ولي أحكام الشرطة، وحدَّث، وتجوّل في بلاد المشرق، ولم يذكر المؤرخون تاريخ وفاته.

(٣) لَزَّهُ: شَدَّهُ وألصقه به.

(٤) الركانة: الرزانة والوقار، يقال: رَكُنَ ركانةً، وركونةً: رَزُنَ وَوَقر.

(٥) بعينه: أي تحت بصره وملاحظته.

هِشَام بإجراء الرزق عليه: الراتب والحملان والعلوفة. وعهد بإقامة علوفة للأمير أبي الوليد محدودة العدد موصوفة الأطعمة تُقدَّم إليه وإلى من معه من صبيانه كل يوم بموضع حِضارِهِ ذلك. وأمر بتقديم ذكاء، الوصيف الكبير الخصي، ناظراً للأمير أبي الوليد قَيُّوماً[١] على جميع صبيانه متكفلاً لشأنه.

وفي يوم الإثنين لخمسٍ خلون من رمضان منها توصَّل إلى الخليفة المستنصر باللَّه فائق مولاه، خال الأمير أبي الوليد هِشَام، فقدَّمه من خطة العرض إلى خطة المخزول. وأوصل إلى نفسه أصحاب المخزول، وأعلمهم بما رآه من إنهاض فائق هذا إلى المخزول مُشْرَكاً معهم.

وفيه ولي أَصْبَغ بن مُحَمَّد بن فُطَيْس نصف كورة رَيّة وخُوطب بكتاب نسخته: «بسم اللَّه الرَّحْمٰن الرحيم: أما بعد، فإنما تُستدام النعمة بشكرها، وتُعرف النصيحة باستعمالها، وبالنصيحة تتفاوت منازل العبيد لدى ساداتها، وقد رأى أمير المؤمنين فيك رأياً عظمت به عليك النعمة، فاسْعَ للمحافظة عليها بمقدار عقلك وكفايتك، أو بحسب نقصك وتقصيرك، فاستعن باللَّه وخذ بالرفق في أمرك، وقلة الرغبة في شأنك، واجتنب التحامل على رعيتك، فإنها من حَفيّ عناية أمير المؤمنين بموضع لا يُترَكُ معه البحثُ عن أحوالها والكشفُ عن سيرتك فيها إن شاء اللَّه. ورأى تقليدك شطر كورة رَيَّة، وهي من أهم كوَر الأندلس عليه، برًّا وبحراً، وجباياتها وضياعها، فانظر أي خادمٍ تكون، وشاكراً للنعمة تظهر، إن شاء اللَّه».

وفي يوم الأربعاء لإحدى عشرة ليلة خلت من شهر رمضان منها دار بين الطنجيين والملحقين من طوائف الجند عند اجتماعهم بباب السُدَّة من قصر قُرْطُبَة تنازع أفضى إلى التصايُح، فتطاول بعضهم على بعض، واختلط بهم سواد أهل قُرْطُبَة متعصبين على الطنجيين، فنالت الطنجيين جراحات فاشية، وركب لتسكين الهيعة الناظران في الحشم الوزير مُحمَّد بن قاسم بن طُملس، وصاحب الخيل زِياد بن أفلح، والمخلف على المدينة بِقُرْطُبَة مُحمَّد ابن الوزير جَعْفَر بن عُثمان، وبين أيديهم طبقات من الجند فقبضوا على كثير من الطنجيين وأوقعوا بهم وسجنوا كثيراً منهم فهدأت الهيشة[٢].

وفي يوم الخميس لخمسٍ خلون من شهر رمضان منها استدعى الخليفة المستنصر باللَّه إلى مجلسه الخاص مع الوزراء أصحاب الخيل الناظر في الحشم

(١) القَيُّوم: القائم الحافظ.
(٢) الهَيْشَةُ: الفتنة.

زياد بن أفلح مولاه وصاحب الشرطة هِشَام بن مُحمَّد بن عُثمان فأمرهما بالتأهب للخروج قائدين على صائفة هذا العام المجردة[١] إلى الغرب لما لا يزال يتوقع من عادية المجوس الأردمانيين الطارقين له ـ أهلكهم اللّه ـ فأخذا في ذلك.

فلما كان يوم الأربعاء لإحدى عشرة ليلة خلت منه عهد إليهما الخليفة باستعجال الخروج، فركبا في يوم الخميس بعده إلى قصر قُرْطُبَة والخليفة مقيم به، فتوصلا إليه وعرفاه بتمام أهبتهما، فحدَّ لهما في وجههما ذلك حدوداً أمرهما بالتزامها من استشعار الحزم واجتناب التواني والأخذ بأمحض الرأي[٢] المقارن للعزم واستخارة[٣] اللّه تعالى في جميع الأمر والإفاضة[٤] مع أولي الرأي فيما يقع عليه التدبير، فأصغيا لوصاته وتزودا من دعائه وأمر بمسرتهما بما أعده لهما من الخلع الفاخرة والعمائم السَّرِيَّة والسيوف الحالية. وأمر لهما بعلمين وعقدتين من أرفع أعلامه يرفعان صدر ما أخرج معهما من العدة، وبمظلٍّ رفيع يجتمعان فيه للنظر ويغشاهما فيه وحده، بعثهما إبلاغاً في تشريفهما. فنفذ ذلك كله لوقته، وتوافى بباب القصر طبقات الجند وصنوف العدد المرسلين معهما، فاندفعا خارجيْن لوقتهما على باب الجنان من أبواب القصر، والمراكب بين أيديهما ومن خلفهما على المصارة إلى الناعورة، وقد برز إلى النظر إليهما من الخاصة والعامة خلائق لا يحصيهم إلا خالقهم ـ عزّ وجهه ـ فنفذا لسبيلهما.

ذكر اهتياج حروب العُدْوَة مع حَسَن بن قَنون الحَسَني وما يتعلق بذلك

وفي يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان منها، دعا الخليفة المستنصر باللّه الوزير الناظر بالحشم مُحمَّد بن قاسم بن طُملس فعهد إليه بالتهيؤ للخروج إلى مدينة سَبْتَة أعجل ما يقدر عليه، قائداً لما يضمه إليه من طوائف الأجناد ويقويه من ضروب العُدَد والعتاد[٥]، للذي بدا من نقض حَسَن بن قنون الحسني المارق المشترف للعهد، ونبذه للولاية وانحرافه إلى دعوة قرينه مَعَدّ بن إسماعيل صاحب إفريقيَّة المُمِدّ له في الضلالة وانضوائه إليه واستدعائه من دنا منه من أحزاب ضلالته، مستعيناً بهم فيما اعتزم عليه من شقاقه وإعلانه بإيقاع الدعاء له على منابر عمله.

(١) المُجرَّدةُ: المُخْرَجَةُ.
(٢) أمحض الرأي: أخلصه.
(٣) استخار اللّه: طلب منه الخير.
(٤) الإفاضة: التَّوسُّع في الحديث ونحوه.
(٥) العتاد: عُدّة كلّ شيء، وعتاد الحرب: الأسلحة والدواب وغير ذلك.

فتقدم في توصيته بتقوى اللّه ربّه، وإيقاظ رأيه وعزمه، واستعمال جهده وجدّه في مغاورة الفاسق حَسَن، وإخماد ناره، وأمره أن متى أظهره اللّه تعالى على طائفة من أنصاره أو المقترنين به أو غلب على أهل أرض ممن في طاعته، أن يأخذ بالعفو ويُؤثر الصفح ويقبل واضح العذر ويحسن التجاوز، مذكراً حمد اللّه تعالى وشكره، موجباً طاعته، مُتَحَرِّياً العدل في سيرته، معتقداً إعمال حسن النية في حب السلامة وإيثار العافية وإصلاح البلاد والاستصلاح للرعية؛ وليحفظ من حق اللّه تعالى فيهم ما ضيّعوه، فإنّ خير الولاةِ من يصلح منهم ما أفسدت من أنفسها الرعية بحفظ ما أضاعت من أمورها وجمع ما افترقت من شؤونها. وأمره أن يستعين بمن دخل في طاعته ووفى ببيعته وعهده على من أدبر عنه، فإن إقبال المدبر بعد إدباره وطاعة المطيع بعد عصيانه فتٌّ في أعضاد أهل المعصيَة وحجةٌ على أهل المخالفة. وأمره بإقامة كتاب اللّه وسنة نبيه مُحمَّد ﷺ في أرض يغلب عليها بمشيئة اللّه تعالى ويظفر بأهلها ويمحو منها آثار الشيعة المارقة ويعلي سُنَّةَ الأئمة الراشدين حتى ينالهم من بركة ذلك وحلاوته وفضله وَمِنَّتِهِ ما نال الجماعة من رعية أمير المؤمنين، بحول اللّه وقدرته.

فلما أن حان خروج الوزير مُحمَّد بن قاسم من بين يدي أمير المؤمنين خُلِعَ عليه منديلٌ مشدودٌ مترعٌ[١] من خلع تَنقَّاها[٢] له من ثياب الخزّ العبيدي والعائم الشروب المثقلة، وفوقها سيف ضروب منسوب النصل ثقيل الحلية، ومع ذلك بدرة من خمسمائة دينار دراهم. فقعد مُحمَّد بقية يومه هذا مع الوزراء أصحابه لتتميم أعطية الجند الخارجين معه، ثم فصل مُحمَّد خارجاً لوجهه يوم السبت لأربع عشرة ليلة بقيت من رمضان المؤرخ وحوله من طبقات الأجناد وبين يديه من العدد ووراءه من الأثقال ما يتجاوز الوصف ويملأ الأعين، فاستمر به سيره فكان ركوبه البحر من الجزيرة يوم السبت لإحدى عشرة بقيت من شوّال منها. ولاقى ريحاً طيبة سهَّل اللّه عليه العبور وعلى من معه من الأجناد فصار جميعهم بِسَبْتَة[٣].

وفي هذا اليوم بعينه احتل فيها صاحب الشرطة قائد البحر عبد الرَّحْمٰن بن رُماحس بالأسطول فتكاملت بها الجيوش، وصار الوزير ابن طملس في عقب شوّال إلى مدينة تطاون، فألفاها خالية، فتقدم منها إلى مدينة طَنْجَة[٤].

---

(١) مُتْرَعٌ: مُمتلىء. (٢) تَنقَّاها: اختارها.

(٣) سَبْتَةُ: بلدة مشهورة، من قواعد بلاد المغرب، تقابل الأندلس على طرف الزقاق الذي هو أقرب ما بين البَرّ والجزيرة. وهي مدينة حصينة، تشبه المهدية. (معجم البلدان، الحموي: ٣/ ١٨٢).

(٤) طَنْجَةُ: مدينة على ساحل بحر المغرب، مقابل الجزيرة الخضراء، وهي من بلاد البربر، وبينها وبين سَبْتة مسيرة يوم واحد. (معجم البلدان، الحموي: ٤/ ٤٣).

فلما كان يوم السبت لتسعٍ بقين من رمضان منها أوصل الخليفة المستنصر باللّه إلى نفسه قيصر وسعداً الجزريَ ورشيقاً من وجوه موالي أبيه، الناصر لدين اللّه، وإسماعيل بن [عبد الرَّحْمٰن بن] الشيخ، وعبد الرَّحْمٰن بن يُوسُف بن أرمطيل، وعبد الرَّحْمٰن بن أبي جَوْشَن من أكابر الأحرار، فأمرهم بالتأهب للغزاة في الأسطولين المجهزين، أسطول إشبيلية وأسطول المَرِيَّة، وخلع على جميعهم، وردّوا بالسيوف الحالية، ودفعت إليهم الصلات الوافرة، فكان خروجهم لوجههم من مدينة الزهراء يريدون إشبيلية، وبين أيديهم أحمال العُدْوَة، يوم الخميس لسبعٍ بقين منه.

وفي هذا الوقت وُلِّي علي بن مُحمَّد بن أبي الحُسين الشرطة الصغرى مجموعةً له إلى عمل القضاء بالثغر، وبلغ رزقه إلى ثلاثين ديناراً، وقُدِّم أخوه حسن بن علي إلى الشرطة الصغرى أيضاً إلى ما يليه من قضاء الثغر في اليوم بعينه.

ذكر عيد الفطر الكائن في هذه السنة

وافى العيد بالاستهلال الفاشي، يوم الثلاثاء السادس عشر من يوليه العجمي، وقعد فيه الخليفة المستنصر باللّه للتهنئة على العادة، فوق السرير في المجلس الشرقي في السطح العليّ، وقامت المراتب والتهيئات والتعبئات في نهاية التمام وجودة النظام، وشهد الإخوة فقعد منهم عن ذات اليمين كبيرهم أبو الأصبغ، وقعد عن ذات اليسار أبو القاسم الأصبغ، وقعد الوزراء بإثرهم بعد فرجة، وحجب الخليفة عن يمينه صاحب المدينة بِقُرْطُبَة جَعْفَر بن عثمان وتحته الوزير صاحب الشرطة العليا مُحَمَّد بن سَعْد، وتحته صاحب الشرطة الوسطى مُحمَّد بن عبد اللّه بن أبي عامر، فانتظم الصفّان بعدهم من طبقات أهل الخدمة على مراتبهم. وتوصلت إلى الخليفة رجالات قريش والموالي والحكام وقضاة الكُوَر والفقهاء أهل الشورى وغيرهم، والعدول وبياضُ قُرْطُبَة ووجوهها. وشهد في هذا النهار يحيى بن مُحمَّد بن هاشِم التُّجيبي المنتشل من النكبة، فقعد تحت الوزير عُبيد اللّه بن عبد اللّه الزجالي، وقعد تحته جَعْفَر بن علي المستأمن إلى الخليفة، وحَجَبَ أخوه يحيى وابنه إبراهيم بن جَعْفَر في صف القيام تحت الخزّان. وكان المحفل يومئذٍ عظيماً قامت فيه الخطباء والشعراء مرتجلين للقول ومنشدين للشعر، فكان من أحسن ما أنشد الخليفة يومئذٍ قول مُحمَّد بن حُسَين الطّبني في قصيدة مطولة حسنة أولها: [من الكامل]

عَرَفَ الدِّيارَ وَراحَ غَيْرَ مُعَرِّجِ صَدّ الخَلِيِّ يَشُوبُه نَظرُ الشَّجِي[1]

---

(١) عَرَّجَ عليه: مال، وعرَّج بالمكان: نزل به. يَشُوبُه: يُخالطه، يمازجه. الصَّدُّ: الإعراض والهجر. الخَلِيُّ: من لا هَمّ أو حَبَّ يشغله. الشجيّ: الحزين، الكئيب.

قَسَمَ الضميرَ على وقوفٍ مُرْمِضٍ وَعلى مَسِيرٍ للجوانح مُزعِجِ[(١)]
شَوْقٌ إقامتُهُ وَشوقٌ ظَعْنُهُ فَمتى يُرجِّي فُرْجَةَ المتفرِّجِ[(٢)]
هَتَفَتْ مُطوَّقةُ الجناحِ فَهيَّجتْ بَعْدَ النزوع دَفينَ ذِكْرٍ مُبْهجِ[(٣)]
طَفِقَتْ تُؤلِّف ما تفرَّق من جوىً وتزيدُ في إنضاجِ قلبٍ مُنْضَجِ[(٤)]
مَعشوقةُ التفويفِ نُمِّقَ جِيدُها ما بين مَوْشيٍّ وَبَيْنَ مُدَبَّجِ[(٥)]
تُزْهَى بِسلكٍ عقدُهُ لم ينقطعْ وَجُمانُهُ المنظومُ لَمْ يَتَدَحرجِ[(٦)]
يابن الخَلائفِ قدْ عرَجْتَ إلى المدى بالبرِّ والتقوى بِأكْرَمِ مَعْرَجِ[(٧)]
وَنصرْتَ أُمَّةَ أحمدٍ وَحملتَهُمْ بيضَ الوُجوهِ على بياضِ المنهجِ[(٨)]
وَلَقدْ حَفِظْتَ وَدِيعةَ اللَّه التي اسْتُودِعْتَ حفظَ الخائفِ المتحرِّجِ[(٩)]

وفيها:

ما أنتَ إلّا نعمةُ اللَّه التي هِيَ للغني وللفقيرِ المُرتجي
وَلكَ البقاءُ فإنّ عَيْشَكَ رَحْمةٌ لِلمسلمين وظلُّ عَيْشٍ سَجْسَجِ[(١٠)]
فَابهجْ بِفطركَ في السّرور ولا تزلْ تَطوي وتنشرُ ألفَ فِطْرٍ مُبْهجِ
حَجَّتْ لواحظُ من رآك، وقد رأتْ وضَحَ الهلالِ لَواحظُ لم تَحْجُجِ[(١١)]

---

(١) مُرْمِضٌ: من رَمِضَ الشيءُ: اشتدَّ حَرُّه. الجوانح: جمع الجانحة: الضِّلْع القصيرة مما يلي الصدر.
(٢) الظَّعْنُ: الرحيل والسفر. الفُرْجَةُ: الشَّقُّ بين الشيئين، أو انكشاف الهَمّ.
(٣) مُطوَّقةُ الجناح: حمامة مُطوَّقة. هَيَّجت: أثارت، حَرَّكت. النُّزوع: الحنين والشوق. مُبْهِجٌ: مُفْرِحٌ، مُسِرٌّ.
(٤) تُؤَلِّفُ: تجمع. الجَوَى: حُرقة الحُبّ. انضج الشيءَ: جعله ناضجاً، يقال: أنضج اللحم: شَوَاه على النّار حتى لانَ وطاب أُكُله.
(٥) التفويف: مُشتقة من الفَوْف، وهو ضرب من ثياب اليمن الرقيقة المُوشَّاة. نُمِّقَ جِيدُها: زُيِّن. مَوْشِيٌّ: مُحَسَّنٌ، مُزَيَّنٌ، مُنَمْنَمٌ، مُنَقَّشٌ. مُدَبَّجٌ: مُنَقَّشٌ، مُزَيَّنٌ.
(٦) السِّلْكُ: الخَيْطُ الذي يُنظم فيه الخَرَزُ ونحوه. الجُمان: اللؤلؤ، أو حَبٌّ يُصاغ من الفضة على شكل اللؤلؤ.
(٧) عَرَجَ: صَعد، أو ارتفع وعلا. المَعْرَجُ: مكان العُروج.
(٨) المَنْهَجُ: الطريق الواضح.
(٩) الوَديعة: ما يَدفعه المرء إلى غيره ليصونه عنده ويحفظه. المُتَحرِّجُ: من تَحرَّج فلان من الشيء: تَجنَّبه مع احتمال مَشَقَّةٍ وضيق.
(١٠) السَّجْسَجُ: يوم سَجْسَجٌ: لا حَرَّ فيه ولا برد، وعَيْشٌ سَجْسَجٌ: سَهْلٌ، رَغِد.
(١١) الوَضَحُ: الضوء، أو البياض من كلّ شيء.

قــمــران نَــوَّرَ ذا الــصــيــامَ وَرُدَّ ذا تحت المحاقِ له كَعَطْفِ الدُّملج[(١)]
وَعَلى مَجالِسِهِ برودُ فُسَيْفسٍ وَعلَيْه بُرْدُ مَهابةٍ لم يُنْسَجِ[(٢)]
ضَربتْ جَلالتُهُ رواقاً مُحرماً كَرواقِ حافاتِ السماء المُسْرجِ[(٣)]
ما استكبرَ الراؤونَ بهجةَ مُلكِهِ إلا استقلَّ له عظيم الزِّبرجِ[(٤)]
يا أيها الملكُ الذي في وَصْفِهِ يُعطى البيانَ لِسانُ كلِّ مُلَجْلجِ[(٥)]
تهتزُّ أعوادُ المنابرِ جِنَّةً مِنْهُ إلى قَدَمَيْ أغرٍّ أبلجِ[(٦)]

ومنها في ذكر ولده هشام:

حَصِّنْ به دِينَ النبيّ محمَّدٍ وَأقِمْ به أوَدَ الزمانِ الأعوجِ[(٧)]
لَهِجَت ببيعتهِ النفوسُ فأخْذُها مِنْ واجبِ الأشياءِ لَوْ لم تَلْهَجِ[(٨)]
عُود النبوة والخلافةِ أصلُهُ فالفرعُ من تلك العروقِ الوُشَّجِ[(٩)]
وإذا تبلَّجَ وجهُ صُبحٍ مُقبلٍ فَالشمسُ تحتَ ضِيَائِه المُتبلّجِ[(١٠)]
هُوَ زَهْرَةُ الدُّنيا وبابُ سُرورها فَاغْهَدْ وَسُرَّ به الأنامَ وأَبْهِجِ
وارمِ المشارقَ باسْمِهِ فَليفتحنْ ما بينَ مِصرَ إلى بلاد الرخَّجِ[(١١)]

---

(١) المُحَاقُ: ما يُرى في القمر من نَقْصٍ في جِرْمِهِ وضَوْئِه بعد انتهاء ليالي اكتماله. الدُّمْلُجُ: سِوَارٌ يُحيط بالعَضُد.

(٢) فُسَيْفِسٌ (الفسيفساء): قطع صغار من الرخام أو الحصباء أو الخرز، يُضَمُّ بَعْضُها إلى بعض، فَيُكَوّن منها صُوَرٌ وَرُسُومٌ.

(٣) الرّواق: بيت كالفسطاط يُحمل على عمود واحد طويل، ورواق البيت: مُقَدَّمُه. المُسْرَجُ: المُضَاءُ، المُحسَّنُ، المُزيَّنُ.

(٤) اسْتَقَلَّ الشيءُ: ارتفع، واسْتَقَلَّ الشيءَ: تَقَلَّلهُ. الزبرج: الحلية والزينة من وَشْيٍ أو جوهر أو نحو ذلك.

(٥) المُلَجْلجُ: الذي يَتَردَّدُ في كلامه ولا يُبَيِّنُ.

(٦) الجِنَّةُ: رِقَّةُ القلب. أَغَرّ: سَيِّدٌ شريفٌ، مَشهورٌ، أبيضُ الوجه. الأَبلج: الواضح.

(٧) الأَوَدُ: الاعوجاج والميل.

(٨) لَهِجَ بالأمر: أُوْلِعَ به فثابر عليه واعتاده.

(٩) الوُشَّجُ: المتداخلة، المتشابكة، الملتفة، من وَشَجَ الشيء: تداخل وتشابك والتفَّ.

(١٠) تَبلَّجَ: وَضح وظهر وأسفر.

(١١) الرُّخَّجُ: أهل رَخَج، وهي كورة أو مدينة من نواحي كابل. (لسان العرب، ابن منظور: ٣/ ١٦١٥ ـ رخج ـ).

يا ربِّ بَلِّغهُ جميعَ رجائه ... لأبي الوليد وَزِدْهُ ما لم يَرْتَجِ
لِيَدُمْ سِرَاجُ اللَّه في هذا الوَرَى ... فَضِياؤهُ من فَضْلِ نورِ المُسْرِجِ(1)

وقول مُحمَّد بن شُخَيْص في قصيدة حسنة أولها: [من الخفيف]

كَاد أنْ يَزْحَمَ الغُدُوَّ العَشِيُّ ... يَوْمَ وَافاكَ لِلسلامِ النَّديُّ(2)
يُؤنسُ البعضَ منه بعضٌ جلاهُ ... وَجْهُكَ الطلقُ لا الصَّباحُ الجليُّ
قَابلَ الفطرُ مِنْكَ أكبرَ مِنْهُ ... وَهو مِنْ وَفْدِكَ الكريمُ السنيُّ(3)
فهنيئاً للعيد زَوْرُ إمامٍ ... كلُّ عَيشٍ منه هَنيٌّ مَريُّ(4)
يحجب النُّورَ شَخْصُهُ حين يبدو ... فهو للناظرين: بادٍ جليُّ(5)
ذو جَلالٍ يُقْصيه ساعةَ يبدو ... لمواليه فَهُو: دانٍ قصيُّ(6)
يا ولاةَ الورى أصيخوا لِقَيْلٍ ... أَنا في نَصِّه: جبانٌ جَريُّ(7)
في تَوَلِّي الإمامِ وحيٌ من اللَّه ... وَعَاهُ عنْ جِبْرئيلَ النبيُّ(8)
غير أنّ الذي يُضافُ له الاسـ ... ـم إلى الطاعة التقيُّ الزَّكيُّ
والموفِّي هذا وذا ملكٌ من ... سِبْطِ عثمانَ هَدْيُهُ عُمَريُّ(9)
جِزْتُ في وَصْفِهِ على أنَّ قلبي ... أَحوَذيٌّ ومِقْوَلي صَيْرفيُّ(10)
ولعمري لو أنَّ سَحْبانَ أنحى ... لِعُلاهُ لَعَابَ سَحْبانَ عِيُّ(11)

---

(١) السِّراج: المصباح. المُسْرِجُ: الذي يُشعل المصباح.
(٢) النَّدِيُّ: مجلس القوم ومجتمعهم.
(٣) السَّنِيُّ: الرفيع، الشريف القدر.
(٤) الزَّوْرُ: الزيارة. المَرِيُّ: السهل، اللَّيِّن، السائغ.
(٥) الجَلِيُّ: الواضح.
(٦) يُقصيه: يبعده. القَصِيُّ: البعيد.
(٧) أصيخوا: استمعوا. القَيْلُ: الملك. النَّصُّ من الشيء: منتهاه، ويقال: بلغنا من الأمر نَصَّه: شِدَّته، ومنه: نصَّ الدابة: استحثَّها شديداً. الجَرِيُّ: الكثير الاندفاع في السير.
(٨) تَوَلِّي الإمام: طَاعته ومبايعته ونصحه. وعاه: فهمه وحفظه.
(٩) سِبْطُ عُثمان: ولده. عُمَرِيٌّ: نسبة إلى عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه.
(١٠) الأحوذي: العالم بالأمر، أو المُشَمِّرُ في الأمور القاهر لها، لا يندُّ عليه منها شيء. المِقْوَلُ: اللسان. الصَّيْرَفِيُّ: المُتَصرِّف في الكلام الخبير به.
(١١) سَحْبَان: هو سَحْبَان بن زفر بن إياس الوائلي الباهلي: خطيب، يضرب به المثل في البيان والفصاحة. توفي سنة ٥٤هـ/ ٦٧٤م. (الأعلام، الزركلي: ٣/ ٧٩). عابه: شانه. العِيّ: العجز عن الإفصاح والتبيين.

وَحَـدِيُّ الـصـفـاتِ بَـلْ جَـلَّ عـنـهـا ... جَـلَـلاً قَـدْرُهُ الـجـلـيُّ الـعـلـيُّ[١]

غَـيْـر أنـي أنـصُّ مـنـهـا عـلـى قـد ... رِ إذ الاحـتـفـال صـعـبٌ أبـيُّ[٢]

بَـهَـرَ الـواصـفـيـن أنَّ تُـقـاهُ ... مَـلَـكـيٌّ وَشَـخْـصَـهُ بَـشَـرِيُّ[٣]

مَـنْ ثَـنَـى حِـلْـمُـهُ الـشَّـذا فَـشـذاهُ ... أَبْـطَـحِـيٌّ وَحِـلْـمُـهُ مَـدَنِـيُّ[٤]

إنْ أُثـيـرَ الـحـديـثُ والـرأيُ مـنـهُ ... لَـمْ يَـمُـتْ مَـالِـكٌ وَلا الـنَّـخَـعِـيُّ[٥]

كـيـدُه فـي الـعِـدا الـغـنـاءُ الـذي[. . .] ... فـتـأثـيـرُه سَـرِيـعٌ بَـطِـيُّ[٦]

وَقـد أغـزيـتَ جَـحْـفَـلاً لـكَ فـيـهِ ... نـظـرٌ ظَـاهِـرٌ وَسِـرٌّ خَـفِـيُّ[٧]

ومنها في ذكر حَسَن بن قَنون:

كـيـفَ يُـرْجَـى بـأن يُـوفِّـي قـريـشـاً ... حَـقَّـهـا وَهْـوَ مـن قُـريـشٍ نَـفِـيُّ[٨]

قَـدَّمـتْـهُ الـطـغـامُ أنْ قـال جـدِّي ... حَـسـنـيٌّ وَلـيْـتَـهُ حـسـنـيُّ[٩]

فَـيَـرى فـي أمـيّـةٍ مـا رآهُ ... حَـسَـنُ الـفَـاضِـلُ الـتـقـيُّ الـرضـيُّ

أقـصـدتـهُ آراؤك الـغُـرّ مـا تـقـ ... ـصـدُ مـن نـافـذِ الـسـهـام الـقِـسيُّ[١٠]

إنَّ لـي فـي الـقـضـاءِ بـالـزّكـنِ صِـدقـاً ... لَـمْ يَـنـلْـهُ إيـاسـنـا الـمُـزَنِـيُّ[١١]

---

(١) وحدي الصفات: منفرد الصفات. الجَلِيُّ العَلِيُّ: الواضح السَّنِيُّ.

(٢) الأَبِيُّ: المُسْتَعْصِي.

(٣) بَهَرَ: أدهش وحيَّر. مَلَكِيٌّ: نسبة إلى الملائكة.

(٤) الحِلْمُ: الأناة وضبط النفس، أو العقل. أبطحيٌّ: نسبة إلى بطحاء مكة. مَدَنِيٌّ: نسبة إلى المدينة المُنوَّرة.

(٥) مالك: هو الإمام مالك بن أنس، صاحب المذهب المالكي عند أهل السنة. توفي سنة ١٧٩هـ/ ٧٩٥م.
النخعيُّ: لعله أبو عمر، حفص بن غياث بن معاوية النخعي الكوفي، القاضي، الفقيه، الحافظ، الثقة، المتوفى سنة ١٩٤هـ/ ٨١٠م.

(٦) الغَنَاءُ: النَّفْعُ والكفاية.

(٧) الجَحْفَلُ: الجيش الضخم الكثير العدد.

(٨) النَّفِيُّ: المَطْرُود، المُبْعَدُ.

(٩) الطَّغام: أراذل الناس وسفهاؤهم.

(١٠) أقصده: رماه فأصابه.

(١١) الزّكْنُ: الفراسة، أو قوة الحدس، أو الظنُّ المُداني لليقين، يقال: زَكِنَ الأَمْرَ: ظَنَّهُ ظَنًّا كان عنده بمنزلة اليقين.
إياس: هو إياس بن معاوية بن قُرّة المزني، قاضي البصرة، الذي يُضرب به المثل في الذكاء والفطنة، المُتوفَّى سنة ١٢٢هـ/ ٧٤٠م.

إنــهــا لِــلإمَــام بُــشــرى سُــرورٍ إذْ لأهــلِ الــخــلافِ فــيــهــا نَــعِــيُّ
حــفــظ الــلّــه بــلــدةً مــا عَــداهــا بِــالــمُــوالــي مــن الــحِــبــاءِ الــحــبــيُّ[١]
تُــربــةٌ لَــدْنــةٌ وَريــحٌ بَــلــيــلٌ وَطــلاعٌ طــلــقٌ وجــوٌّ عَــذيٌّ[٢]
ثُــمَّ مــا شِــئْــتَ مــن ريــاضٍ جَــنَــاهَــا بَــثَــنــيٌّ وَنَــسْــجُــهــا عَــبْــقَــريُّ[٣]
حَــكَــمَ الــمــســلــمــيــن فــيــهــا إمــامٌ وهــشــامٌ لــلــعــهــدِ فــيــهــا ولــيُّ
ذا ســمــيٌّ لِــمُــصــطــفــيــه، وهــذا لإمــامَــيْ هُــدىً سَــمــيٌّ كَــنِــيُّ[٤]
وَهْــوَ لِــلــمُــســلــمــيــنَ كِــفْــلٌ وَفــيُّ بِــأمــانــيِّــهــمْ وكــفــوٌ كــفــيُّ[٥]
وأحــقّ الــوَرَى بِــشُــكْــر بــنــي مَــرْ وَان [. . . .] حِــزْبُــهــا الــحــكــمــيُّ[٦]

وهي طويلة.

وفي يوم الاثنين صدرَ شوّال منها خرج الموكلون بابن الخال سَعِيد المعزول عن ولاية كورة إِشْبِيليَّة نحو الوزير صاحب المظالم عبد الرَّحْمٰن بن مُوسَى بن حُدير المرسل لإشْبِيليَّة لمحنة ما تشكاه أهلها من حَيْفِه عليهم لِيَقِفَه مع المتظلمين منهم ويمتحن عليه ما نسبوه إليه من مظالمهم، فينتصف منهم وممَّن استعْدَوْا عليه من حاشيته وخَدمته.

وفي يوم السبت أُعيد أَصْبغ بن قَاسِم بن أصبغ[٧] إلى ما كان بيده من قضاء قَرْمُونَة[٨]، ونقل أحمد بن مُحمَّد بن مُفرج عن قضاء شَذُونَة، وأشُونة، وَتَاكُرُنَّا إلى القضاء بكورة رَيَّة، مكان خالد بن هِشَام صاحب الشرطة الصغرى المعزول عنها في هذا التاريخ.

وللنصف من شوّال منها ورد الخبر بقبض مُحمَّد بن سُلَيْمان التاجر المعروف

(١) الحِبَاءُ: العطاء.
(٢) لَدْنَةٌ: طَرِيَّةٌ. جَوٌّ عَذِيٌّ: طَيِّب رَضِيٌّ، يقال: عَذا البلد عَذْواً: طاب هواؤه.
(٣) البَثَنيُّ: نسبة إلى البَثْنَة: الروضة، أو الأرض الطيبة الإنبات. العبقري: الديباج، أو الطنافس الثخان، أو كُلّ ما بُولِغ في وصفه، ولا يَفُوقه شيء، فيقال: رجلٌ عَبْقَرِيٌّ، وثوبٌ عَبْقَرِيٌّ.
(٤) سَمِيّ: يقال: فلان سَمِيُّ فلان: أي اسمه مثل اسمه. وفلان كَنِيُّ فلان: أي كنيته مثل كنيته.
(٥) الكِفْلُ: الضامن. الكُفْوُ: الكُفؤُ: الكُفْءُ: القوي القادر على تصريف الأمور. الكَفِيُّ: الكافي.
(٦) في البيت نقص لم نهتد إليه.
(٧) هو أبو القاسم، أصبغ بن قاسم بن أصبغ.
(٨) قَرْمُونَةُ، وقيل: قَرْمُونِيَة: كورة غربي قرطبة، وشرقي إشبيلية، قديمة البنيان، وبينها وبين إشبيلية سبعة فراسخ. (معجم البلدان، الحموي: ٤/ ٣٣٠).

بابن نقورة على الفاسق عبد الملك بن سميت المعروف بِخنُّوْص الآبق[١] من مصافّ السلطان إلى الملحد الشيعي معدٍّ بن إسماعيل المتحرك الآن إلى أرض مصر الواغل[٢] ـ في ضَعْفَةِ بني العباس ـ في سلطان المشرق الذي يدبره لهم أمراء الديلم. وكان هذا الفاجر وَقتَهُ هذا متجولاً ببعض سواحل إفريقيَّة، ساعياً للفتنة، فتحيل عليه هذا التاجر مُحمَّد بن سُلَيْمان وكاتَبَ صاحبَ الشرطة العليا قائد البحر عبد الرَّحْمٰن بن رُماحس أن يوجه إليه بمركبٍ معمر مع من يثق به، فأرسل نحوه مركباً مناسباً فيه عبد اللّه بن شُعَيْب وابن الأزرق صاحبه البحريان ليستعين بهما في ما احتاج إليه من ختل هذا الفاسق خِنّوص. فلما وصلا إليه بنى على خِنُّوص بنياناً أحكمه وأبرمه، فعلق في حبالهما وقبضا عليه وعلى ولده أسراً، فتوثقا منهما بالحديد الثقيل، واحتلّا بهما قرية بَجَّانَة لإحدى عشرة ليلة خلت من شوّال المؤرخ، فأقبلا به وبولده نحو قُرْطُبَة ومعهما البحريان اللذان أعاناه عليهما ابن شعيب وابن الأزرق، فوصلوا إليها يوم الاثنين لسبع بقين من شوّال منها، وقد تقدم بالفاسق خِنُّوْص وبابنه، مغلولين مصفودين[٣] إلى الزهراء، ووقفا بباب السُدّة من قصرها، فوبخه صاحب المدينة بها مُحمَّد بن أفلح، وأغلظ له وأمر بضمه وضم ابنه إلى السجن بالزهراء، وتوصل موثقهما مُحمَّد بن سُلَيْمان التاجر مع ابن شُعَيْب وابن الأزرق البحريين المعينين عليه إلى الخليفة المستنصر باللّه معرِّفين بشأنه، فأَحْمَد سعيهم وأثنى على طاعتهم وخرجوا عنه. وقد تقدَّم للوزراء بالخروج إلى بيتهم والدعاء بالتاجر مُحمَّد بن سُلَيْمان وغبطه بصالح فعله وإسلام ما أُمِرَ له به من الصلة والخلع، مكافأةً له على سعايته، وذلك ألف مثقال جعفرية، ومنديل مشدود على خلع من شكله سنية، إلى ما له عند أمير المؤمنين من حسن الرأي ذخيرة؛ وأن يدعوا بابن شعيب وابن الأزرق البَحْرِيَّيْن، فيدفعوا إلى كل واحد منهما ما أمر له من الصلة والكسوة أيضاً، وذلك خمسمائة دينار وكسوة من سَرِيّ الخزّ؛ فانطلقا شاكِرَيْن مَغْبُوطيْن.

وركب أيضاً صاحب المدينة بالزهراء مُحمَّد بن أفلح بأمر أمير المؤمنين إلى الدويرة المبتناة في هذا العام قرب سجن الزهراء في الدار المنسوبة إلى السقائين، فامتحنها وثقفها من جهاتها، ثم نقل إليها من داخل السجن عبد الملك بن شُعَيْب المعروف بِخنُّوْص الموصد في قيوده مع ابنه، وقاسم الموثَق قَبْلَهما في السجن

---

(١) الآبقُ: المتمرد، الشَّاقُ عصا الطاعة.

(٢) الواغل: من وَغَلَ في الشيء وغولاً: أمعن فيه، ويقال: أوغل في البلاد: ذهب وبالغ وأَبْعَد، وأوغلت الحاجة فلاناً في كذا: أولجته فيه.

(٣) مغلولان مصفودان: عليهما الأغلال والأقياد.

بالاتهام بالتشريق[١] وهو الذي كان الوزير سَعْد بن الحكم وجّه به من بَطَلْيُوس أيام ولايته لها، إذ ذكر له يومئذٍ أنه قرابة لمَعَدّ الشيعيّ فَرَّ قُدَّامه لأمرِ دار بينه وبينه، فأوغل في بلاد الغرب كاتماً لخبره مريباً مُستريباً؛ فلما صحّ عند سَعْدٍ أمرُهُ قبض عليه وأرسل به مكبولاً، فأوصل إلى حبس الزهراء، إلى أن نُقل عنه إلى هذا المحبس الخاص مع خِنَّوْص، فاستقر هناك.

وفي آخر شوّال المؤرخ ورد الخبر أيضاً بالتقبض على مُحمَّد بن سُلَيْمان المعروف بولد معلم حمه، وكان قد أبِقَ من قُرْطُبَة أيضاً وقصد الشيعي مَعَدًّا فلم ينفق عنده، فانصرف مستأمناً، فأمِّن ولم يعاقب، ثم خرج إلى ناحية الثغر الأعلى مشاقّاً مُصِرّاً على ضلالته، فَعُثِر عليه وكتب العامل عليه بخبره.

ذِكْرُ حُرُوب العُدْوَة

وفي يوم السبت لأربع خلون من ذي القعدة ورد كتاب صاحب الشرطة العليا وقائد البحر عبد الرَّحْمٰن بنِ رُماحس بن مُحمَّد بما هيأه اللّٰه لأمير المؤمنين من فتح مدينة طَنْجَة من أرض العُدْوَة، بعد أن دعا أهلها إلى الطاعة، والعَوْد إلى ما فارقوه من الجماعة، فأساؤوا الردَّ عليه وسارعوا إلى حربه، وكان داخلها حَسَن بن قنون مغويهم يشد عزائمهم، فضبط المدينة، ولم يكن في نهاره هذا حرب؛ فلما كان صبيحة يوم الخميس أمر حَسَن بوضع القتال، وأبرز من المدينة عدداً كثيراً من جنده وأنصاره، فلما أصحروا رشقتهم النبل فانتظمت خلقاً منهم ونكأتهم[٢] فولّوا مدبرين. وتأمل ذلك حَسَن، مُغويهم، فاعتزلهم وفرَّ هارباً في خاصة من أصحابه لا يلوي على أحد، ولم يعرّج على ما كان له ولهم بالمدينة من أموالهم وأمتعتهم، وما قد كانوا أعدوه فيها من أذوادهم وذخائرهم. فلما أمعن في هربه وأسلم أهلَ طَنْجَة، خرج شيخهم ابن الفاضل إلى القائد ابن رُماحس بولده ومشيخة قومه فاستقبل الجندَ المنقضين عليه، يقول: «الطاعة للّٰه تعالى ولأمير المؤمنين المستنصر باللّٰه»، فاكتنفه الجند وقدموه إلى القائد، فلما مثل بين يديه تطأطأ مُسلِّماً، ثم استهل بالدعاء لأمير المؤمنين ولأنصار دولته، ثم أتبع ذلك بالرغبة لنفسه وأهل بلده في الأمان وصون الحريم، فأعطاه ذلك وأرسل معه من بثّ عنه أمانهم، وأباح الجندَ نَهْبَ ما في المدينة للغاوي حَسَن بن قَنُّون وأصحابه من مالٍ وَرَحْل وزادٍ، فوضعوا أيديهم في ذلك منقرين عنه، فحصلوا

---

(١) التشريق (هنا): هو التَّوجّه نحو الشَّرْق في الصلاة. ومن الذين اتّهموا بذلك أيضاً بعض أتباع ابن مَسَرَّة، كمُحمَّد بن حمدون الخولاني، المعروف بابن الإمام، المتوفى سنة ٣٨٠هـ. (تاريخ علماء الأندلس، ابن الفرضي: ٢/ ٩٣).

(٢) نَكَأَ العَدُوَّ نَكْئاً: جرحه وقتله.

منه على مناهبَ واسعةٍ جاسوا لها خلال ديار طَنْجَة، وتم افتتاحها وحوزها[١]، ولما يبرح القائد ابن رُماحس من مقامه الأول ببابها، عليه درعه وبيمناه سيفه وفي يسراه درقته[٢]، قد كلل مراكبه بأنواع السلاح الشاك والعدد المتظاهرة، ينفذ أموره من موقفه ولا يبرح العَرْصة، آخذاً بالحزامة. وأنفذ كتابه من مكانه بالفتح عليه يوم الخميس المؤرخ مع فَحْلون بن هُذَيْل ومَسْعُود بن مُحمَّد الفُرانِقَيْن[٣]، من وقته ذلك، فوصلا إلى الزهراء يوم السبت المتقدم تاريخه، فتوصلا إلى أمير المؤمنين، فاستخبرهما فشفياه خبراً، فوصل كلَّ واحد منهما بمائة دينار دراهم، وخلع عليهما خُزوزاً طِرَازية.

ثم ورد كتاب الوزير القائد بالعُدْوَة مُحمَّد بن قاسِم بن طُملس يوم الأربعاء لتسعٍ بقين من ذي القعدة منها فذكر أنه التقى مع الغويّ حَسَن بن قَنُّون يوم الأحد لإحدَى عشرة ليلة خلت من ذي القعدة منها كفاحاً، فدارت بينهما حرب شديدة أجلت عن هزيمته. وكان القتال فيه من ضحى النهار إلى اصفرار الشمس. وقتل اللّٰه من شيعته في هذا الوقت نيفاً على مائتي رجل، وفرَّ الفاسق في من بقي معه إلى جبل حصين يُدعى جبل الريح، ارتقاه فتحصن فيه، وقد تبعه الجند المؤيد وانقضوا عليه فدارت بينهم حرب يسيرة، ثم انهزم الخبيث متخففاً في خيله وخلَّف أثقاله بالجبل الذي كان ارتقاه، وفرَّ لا يلوي على شيء، فصار الجبل بأيدي الجند ونهبوا ما فيه وباتوا ليلتهم فيه. ثم نهضوا في اليوم الثاني إلى مدينة دلول ففتحها اللّٰه لهم، ولحق بهم الوزير القائد مُحمَّد بن قاسِم بن طُملس في جماعة العسكر، فقصد في اليوم الثاني مدينة أصيلا وقد نخِبَتْ قلوبُ أهلها، ففتحها اللّٰه عليه ودخلها بعسكره مالكاً لها. ودخل الوزير القائد إلى جامعها وقد عرف بخبر منبر جديد وضع فيه، موسوم باسم الدعيّ مَعَدّ بن إسماعيل، إمام الشيعة، فأمر باقتلاعه وإضرامه بالنار بعد أن خلع من أعلاه اللوح الذي كان نقش باسم الدعي مَعَدّ بن إسماعيل، وكان فيه من الغلو في ذكره أمر كبير. فأمر باقتلاعه، وأرسله مع كتاب إلى الخليفة. فوصل إلى قصر الزهراء بوصوله، وانصرف الوزير القائد بجمع العسكر من يومه إلى مدينة دلول، محلّةِ الفاسق حَسَن بن قَنُّون، فبات في داخلها وأنهب الجند بقية ما غادر الفاسق بها واستوسعوا في أطعمتها، ثم أمر بهدم أسوارها وتضريم بيوتها ناراً فتركها جوفَ حمار[٤].

وفي يوم الثلاثاء لخمسٍ خلون من ذي الحجة منها سِيرَ بأَحمال الأموال والكُسى

---

(١) حوزها: امتلاكها.

(٢) الدرقة: الترس من جلد ليس فيه خشب ولا عَقَب.

(٣) الفُرانِقُ (هنا): القائم بأمر البريد.

(٤) فتركها جَوْفَ حمار: أي مُوحشة خالية.

إلى الوزير القائد بالعُدْوَة مُحمَّد بن قَاسِم بن طُملس للنفقات على الحروب المشبوبة هناك، وكان عددها خمسةً وعشرين حملاً توجّه بها ثقاة من رجال الصيديين[١] وعرفاء أصحاب الرسائل الخصيان وكتاب الفُرانِقين، وتوالى الحمل إلى العُدْوَة كل حين فأجحفت الأموال. وأشخص الخليفة في هذا الوقت صدر ذي القعدة إلى ما هنالك الأمينَيْن: مُحمَّد بن أحمد بن مُفرِّج قاضي رَيَّة، وأبا عُبيد القَاسِم بن خَلَف الجبيري[٢] الفقيه مُطالعَيْن للأحوال ومستألفَيْن للناس، قضيا من ذلك وَطَراً، ورجعا إلى قُرْطُبة في غُرّة ذي الحجّة من هذه السنة. فَوَلّى الخليفة أبا عُبيد يومئذٍ القضاء بكورة إشبيلية.

وفي ذي القعدة منها قدم عبد اللّه بن أحمد المعروف بابن الإفليلي إلى أمانة الطراز وقدم فيه مُحمَّد بن الوليد إلى كتابة الطراز، اختير لها، وكان من متقدمي الكُتَّاب ونحاريرهم[٣]، ومن أهل الكفاية والبصر بالعمل.

وفي يوم السبت لِستٍّ بقين منه ركب الخليفة الحكم إلى دار الطراز اعتناءً بمطالعتها، فدخلها وقد استقبله قُوّامها من الوكلاء والقُوّام بالأعمال فيها، فقضوا حقّه. وساءَلهُمْ عن أشياء من أعمالهم وأنعم توصيتهم. وكانت طريقه إليهم على مقبرة باب اليهود المنسوبة إلى أم سَلَمة، فأجال بصره فيها وتأمل ما بها من ضيقة لتكاثر الدفن فيها، فعهد بابتياع دورٍ جَمَّة منها حدّها كيما تُهْدَم وتُزاد فيها، فَعُمِلَ بذلك.

وفي عقب ذي القعدة منها أمر الخليفة الحَكَم الوزير صاحب المدينة بِقُرْطُبَة جَعْفَر بن عُثْمَان بأن يتقدم إلى مُغِيث بن مُحمَّد بن مُغِيث، وأحمد بن عبد اللّه بن أبي عَبْدَة، وياسِر الفَتَى، أمناء العطب والنزائل بالوقوف يوماً من كل جمعة يعيِّنونه لا يتعدونه بدور أولاد إخوته الأموات لتعرف أحوال أبنائهم وأهليهم، وامتحان أخبارهم وإنهاء ذلك إليه ليقابل بما يستحقه، ولا يُخلُّون به، فأتمروا بذلك.

وفي هذا الوقت عهد الخليفة بإلحاق عَبْد الرَّحْمٰن بن جُرج في جملة الموالي القُرْطُبيِّين.

وفي يوم الثلاثاء لخمسٍ خَلَوْنَ من ذي القعدة منها احتل مدينة الزهراء صاحب الخيل زِياد بن أفلح، وصاحب الشرطة العليا هِشَام بن مُحمَّد قائد الصائفة، قافلَيْن من

---

(١) لعلها «العبيديين».

(٢) فقيهٌ، عالمٌ، حسن النظر، استقضاه المستنصر باللّه على طرطوشة وأعمالها، فاستعفى ذلك، وعهد إلى الحكام بمشاورته، فكان صدراً في أهل الشورى. توفي سنة ٣٧١هـ/ ٩٨٢م. (تاريخ علماء الأندلس، ابن الفرضي: ١/ ٣٦٩).

(٣) النحارير: جمع النحرير: العالم الحاذق في علمه.

غزاتهما إلى ساحل الغرب لتتبع أخبار المجوس الأَرْدُمانيين ـ أهلكهم اللّه ـ المتوقعين بالناحية، فتوصلا إلى أمير المؤمنين وأنبآه بما قضيا في وجههما، وحيث بلغا من قصدهما، وأنهما انتهيا إلى مدينة شَنْتَرِين[١] قاصية ذلك الصقع، وتظاهرت لديهما الأنباء الصحيحة بأن الأَرْدُمانيين ـ لعنهم اللّه ـ نكصوا عن الإقدام على المسلمين عند تسمعهم بخبر الدلوف إليهم والاستعداد لهم برّاً وبحراً، فانقلبوا على وجوههم وجدُّوا في نكوصهم. وأن الجواسيس الذين أرسلوا لامتحان أخبارهم عادوا إليها بعد بلوغهم «شَنْتَ ياقُب»[٢] من قاصية بلد العدو، ولم يختلف عليهم في فرارهم بفضل اللّه تعالى ومنته.

ذكر عيد الأضحى الكائن في هذه السنة

وافى عيد الأضحى هذه السنة يوم الأحد عاشر ذي الحجة خلال أيام مطيرة ورذاذ مؤذية، ابتدأت بالرش غداة يوم العيد حتى لَهَمَّ الخطيبان بالحضرتين، قُرْطُبَة والزهراء، بتعطيل المُصَلَّيَيْن فيهما وقضاء الصلاة بجامعيهما، ثم أقصر الرذاذ لحينه. فاستعزما اللّه تعالى في الإصحار، فتمَّت صلاة أهل الحضرتَيْن بمُصَلَّيهما على طمأنينة. واستوى قعودُ أمير المؤمنين المستنصر باللّه على السرير للتهنئة على العادة بالمجلس الشرقي على الرياض أتمَّ استواء، وتوصل إليه الإخوة قبل الناس فسلَّموا وقعدوا على مراتبهم، وقعد منهم شقيقه أبو الأصبغ عبد العزيز عن ذات اليمين، وتحته أبو المُطرِّف المغيرة، وعن ذات اليسار أبو القَاسِم الأصبغ. وقعد الوزراء إثرهم على مراتبهم، وتحتهم يحيى بن مُحمَّد بن هَاشِم التُّجيبي، وبعده جَعْفَر بن عليّ. وحجب الخليفة عن ذات اليمين صاحبُ المدينة بِقُرْطُبَة جَعْفَر بن عُثْمان، وتحته صاحب الشرطة العليا مُحمَّد بن سَعْد، وحجبه عن ذات اليسار صاحبُ المدينة بالزهراء مُحمَّد بن أفلح، وتحته أخوه صاحب الخيل زِيَاد بن أفلح. وحُمَّ مُحمَّد بن أفلح في مقامه ذلك فنزل فصار أخوه زياد مكانه. وقام بإثر مَنْ ذكرنا طبقات أهل الخدمة على مراتبهم بحسب منازلهم، ووصل صَفَّيْهم المرسومون بمدِّهما، من أكابر الفتيان الصقالبة، ومن دونهم من طبقاتهم [من] الجند ما بين ممرات القصر وأفنيته إلى باب السُّدَّة. ثم اطّردَ الإذن بالوصول إلى مَنْ حضر من أفناء الناس، فتقدمت في أوائلهم رجالاتُ قُرَيْش، ثم الموالي، ثم الحكام وقضاة الكور، ثم الفقهاء وأهل

---

(١) شَنْتَرِين: مدينة تتصل أعمالها بأعمال باجة غربي الأندلس. وهي مدينة حصينة، بينها وبين قرطبة خمسة عشر يوماً. (معجم البلدان، الحموي: ٣/ ٣٦٧).

(٢) شَنْتَ يَاقُب: قلعة حَصينة بالأندلس.

الشورى، وغيرهم، والعدول، ثم صنوف الحشود والوفود. وظلت الخطباء والشعراء خلال ذلك ترتجل وتنشد، فكان من أحسن ذلك قول مُحمَّد بن حُسَيْن الطُّبْني في قصيدة حسنة له أولها: [من الكامل]

بَخِلَتْ بِجَوْهرِ لَفْظِها أَنْ يُلْقَطَا ... لَمَّا رَأَتْهُ مِنَ الجَوَاهِرِ أَبْسَطَا
يا أيها الملكُ المتوّجُ بالهُدَى ... نُوراً على غَسَقِ الظلام مُسلَّطَا[١]
صِلْ عِيدكَ البَهِجَ السَّنا في غِبْطةٍ ... وَازْدَدْ مِنَ الأعيادِ ألفاً مُغْبَطَا
أَمَلُ الفُصولِ وُمَنْيَةُ الأعوام أنْ ... يُطْوَى لَديْكَ مَدَى الزمانِ وَيُبْسَطَا
عِيدٌ أتاكَ الغيثُ فيه مُسَلِّماً ... وَفَدَ السُّرورُ بهِ فَصَحَّ وأَفْرَطَا[٢]
وَلو انَّ ساقي الأرض جُودك دُونَهُ ... أمِنَتْ مَدَى أيامها أنْ تَقْحَطَا[٣]

وفي ذكر هشام ولده منها:

وَأشِدْ بِذِكْرِ أبي الوليد فَشِدْ به ... مَجْداً هِشَامياً وَعِزّاً أغْبَطَا[٤]
ما فوقَ بيعته مَدَى أُمنِيَّةٍ ... مِمَّن تَسَامَى في المنى وَتَشطَّطا[٥]
نِعْمَ الذخيرةُ للعزائم تُنْتَضَى ... دُونَ الخلافةِ والمنابرِ تُمْتَطى[٦]
نظرتْ قُريشٌ في كَريم نِظَامها ... فَرأتْهُ مِنْهُ في القلادة أوْسَطا
آباؤنا والأمهاتُ له الفدا ... ما أكرمَ المَرْجُوَّ مِنْهُ وأغْبَطا
هِي بيعةُ الرضوان تُحيي كُلَّ من ... أصفى ويقتلُ سَيْفُها مَنْ خلَّطا[٧]
أربطْ بها الأيدي فإنَّ قلوبنا ... مَكْفِيَّةٌ بِودادها أن تُرْبَطَا
شَرَطَتْ مَحبَّتُه على أهلِ النُّهى ... ما لا يكادُ مُوَثَّقٌ أنْ يَشْرُطَا

وقول مُحمَّد بن مُطَرِّف بن شخيص في قصيدة له حسنة: [من الطويل]

وَلمَّا جَلاهُ البِشْرُ غَيَّبه السَّنا ... كَذلك قُرْصُ الشَّمْسِ بادٍ مُغَيَّبُ
فيا حُسْنَ قدرِ الملكِ يَوْمَ طُلوعِهِ ... لنا لو بَدَا مِنْ جانبِ الطور كَوْكَبُ

---

(١) الغَسَقُ: ظلمة الليل.
(٢) أفرطَ: تجاوز الحَدّ.
(٣) الجود: السَّخاء والبَذْلُ.
(٤) أشاد بالشيء: نَوَّه به، أو أثنى عليه.
(٥) تسامى: تعالى. شَطَّطَ: بالغ في الشطط: وهو تَجاوزُ الحَدّ.
(٦) يقال: انتضى السيف: أخرجه من غمده، استعاره للعزائم. تُمتطى: تُتَّخذُ مَطِيَّةً.
(٧) خَلَّطَ فلان: مَزَجَ الطاعة بالعصيان، أو المحبة بالكره، أو نحو ذلك.

ولا يـخـفَ مَـنْ أعـنـي وإن تـسـألـوا بـهِ فـإنَّ الـنـبـيَّ الـعَـمُّ والـحَـكَـمَ الأبُ

* * *

قال حيَّان بن خَلَف بن حيَّان مؤلف هذا التاريخ: ها هنا انقطع في كتاب عِيسَى الرازي ـ رحمه اللَّه ـ الذي إليه [رَجعْتُ] في خبر دولة الحكم بن عبد الرَّحْمٰن ـ رحمة اللَّه عليه ـ فنظمت منه كتابي هذا المؤلف المتصل بما قبله من أخبار سلفه خلفاء بني مَرْوَان بالأندلس إلى أن انقطع في نظامه عند إتياني على آخر أخبار سنة إحدى وستين وثلاثمائة بخرم واقع في أصله أفضى بي نقصه إلى أخباره في نصف سنة اثنتين وستين وثلاثمائة تِلْوَها، فسقتُ وجدان توصيلها إمتاعاً لمطالعها بالحاصل منها، إلى أن يتيح اللَّه تكميلها لي أو لسواي ممَّن يعتني بتكميل كتابي هذا، حرصاً على توفي فائدته، إن شاء اللَّه.

وجد في كتاب عِيسَى بن أحمد الرازي ما هذا نصه: في أول سنة اثنتين وستين وثلاثمائة فيها قتل الوزير القائد مُحمَّد بن قاسِم بن طُملس بِفَحْصِ مَهْران على يدي حَسَن بن قَنُّون يوم الأحد لسبعٍ بقين من ربيع الأول. وقُتِلَ في ذلك النهار جملة من الجند الذين كانوا معه نحو الخَمسمائة من الفرسان، ومن الرجالة نحو الألف.

ذكر الأخبار الكائنة شطر اثنتين وستين وثلاثمائة

قال عِيسَى بن أحمد الرازي: في يوم السبت غرّة جمادى الآخرة سنة اثنتين وستين وثلاثمائة، دخل إلى قُرْطُبة جمع من قبيلة مَضْمودة من أهل العُدْوة الذين حَشَّتهم حرب الملحد حَسَن بن قَنُّون الحسني المنتزي فيها على الخليفة المستنصر بالله، عدتهم سبعون رجلاً نزعوا إلى الطاعة. فأرسل بهم صاحب الشرطة العليا قائد البحر عبد الرَّحْمٰن بن رُمَاحس أكبر قواد الخليفة المستنصر بالله المتكاملين بالعدة، ذكر أنهم قصدوا نحو مدينة طَنْجَة راغبين في الطاعة، ووصفهم بالنجدة، فَقُبِلَت إنابتهم، وأُنزلوا بمنية نجدة المنسوبة إلى الأقرع، ووسع عليهم. وَجُووِبَ صاحب الشرطة ابن رُمَاحس والقائدين معه بِطَنْجَة سَعْد وقَيْصَر مولى الخليفة، وعبد الرَّحْمٰن بن يُوسُف بن أرمطيل القائد بأصِيلاَ[*] عن كتابهم الذي ذكروا فيه دعاءَ المُلحد حَسَن إياهم إلى الدنوِّ منه لافتتاح القول في إيقاع السلم والتنصل من الذنب والإنابة[١] إلى الطاعة بعد الاستيثاق بالتراهن على عادة أهل الشرك مع المسلمين عند مثل هذه المشاهد الممحصة، آبياً[٢] لنفسه ولهم من إيتائه هذه الخطة، وتمنّعه بها، و [أن] تؤخذ عليه أنفاق كيادِهِ[٣] التي ما يزال يفتحها، ويعرّفهم أنه نافذُ البصيرة متأكد العزيمة ممرّ المريرة[٤] في التمادي على مجاهدة الملحد ومجاهدة من كان معه وعلى مذهبه حتى يفتح الله عزَّ وجلّ فيه وفيهم وهو خير الحاكمين. وأما سائر الناس من جميع القبائل المنتشبين معه والواقعين تحت رهبته وسيف إخافته ونكال رهقه[٥]

(*) أصيلا، أو أصيلة (بالتاء): هي أول مدينة العدوة مما يلي الغرب، سهلة الأرض، وحولها رَوَابٍ لِطَافٌ، ويحفها البحر من الغرب والجنوب. ولها خمسة أبواب. (معجم البلدان، الحموي: ١/ ٢١٣).

(١) الإنابة: العودة والرجوع.

(٢) آبياً: مترفعاً، أو مستعصياً، أو كارهاً.

(٣) الكِيَادُ: المكر والخديعة.

(٤) المَريرة: العزيمة، أو عِزَّة النفس، أو طاقة الحبل.

(٥) الرَّهَقُ: الشَّرُّ والظلم والسَّفَه.

فآمنون بأمان اللّه التام، فليكن منكم إلى خاصتهم وعامتهم دسيسُ إعلام وتقديمُ تعريفٍ باعتقاد هذا المذهب ومبايعة الربّ تعالى عليه، وإشاعته في جميع النّاكثين من جميع القبائل الصاغين إلى الملحد، والناشبين في حبالته، ليكونوا على علمٍ برأي أمير المؤمنين في استصلاح أحوالهم، وتقبل إنابة منيبهم، وإجارتهم من الظالمٌ المستحل لمحارمهم، المستهلك لنعمهم، المنتهك لحرمهم. وأن أمير المؤمنين غير مقلع عنه،ولا صارف بأس عزمه دونه. واستعانته على ذلك كله باللّه تعالى حتى يأخذ له بناصيته فهو من ورائه محيط، تعالى جدّه.

وفي فصل من هذا الكتاب: «إن أفضل ما احتمل عليه، وعمل به، استشعار الحزم، وادِّراع التحفظ، واستنصاحُ الاتهام، وإذكاء العيون، وبثّ الجواسيس، والاستكثار منهم ومن حَمَلَةِ الأخبار، حتى لا يخفى لِحسَن ـ أهلكه اللّه ـ حركة ولا يتوارى له مذهب».

وجواب خاص من الخليفة المستنصر باللّه إلى عبد الرَّحْمٰن بن يُوسُف بن أرمطيل في شأن حسن نسخته: «أما بعد فقد بلغ أمير المؤمنين كتابك تذكر فيه ما أتاك به حَمُّود بن مُحمَّد، وحنون بن سروح، ويحيى السّراقة، من أتباع الملحد ـ أهلكه اللّه ـ عند خروجك لملازمة الطلائع، على عادتك، من استئذانهم إياك في القرب منك والمشافهة لك، وأنك أجبتهم إلى ذلك، وفهمت عنهم ما أبلغوك من رغبته في الإنابة. وقد ضرب اللّه تعالى بينه وبينها بسورٍ من الخذلان قطع به دونها في حينها وأوان قبولها، ليقضي اللّه أمراً كان مفعولاً. وكيف يذهب الآن هذا المذهب وهو في طغيانه مستمر، وفي دينه مستبصر، ولكم في كل أيامه محارب! هذا هو الضلال والمحال عين المحال وسبب الخبال(١). وقد رأى أمير المؤمنين تأمين جميع الناس لديه غيره، وغير من أصرَّ إصراره وتمادى تماديه، إلى أن يحكم اللّه عليه ويفتح فيه، وهو خير الفاتحين لا شريك له. فلا يتعرض أحدكم لمقاولة أحدٍ ممن يأتي عنه، فانظروا في أمركم وَجِدُّوا في تثقيف ما له قُدِّمْتُم نظراً يدل على اجتماع نفوسكم وتآلف بصائركم وتضافر أيديكم ﴿وَلَا تَنَـٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦] واللّه المستعان لا رَبَّ سواه».

وفصل في شأن حَسَن أيضاً في بعض الكتب إلى القواد: «وإنّ اللّه تعالى جدُّه أحلَّ حَسَن بن قَنُّون من المعصية له والتعطيل لحقوقه ومفارقة أولياء الطاعة محلَّ من لا تُسمع له كلمة، ولا يوثق منه بإنابة، وأمير المؤمنين في محاكمته مستنصر، وفي

---

(١) الخَبَالُ: الفساد.

مجاهدته ومطالبته حتى يمكنه اللّه منه بحوله ويظفره وينصره عليه، إن شاء اللّه».

وفصل في شأن حَسَن أيضاً تضمنه جواب من الخليفة المستنصر باللّه إلى صاحب الشرطة وقائد البحر عبد الرَّحْمٰن بن رُمَاحس عن كتاب منه اجتلب فيه عن حَسَن ما ذكره من سابق طاعته وقديم محبته وتصرفه بين الأوامر والنواهي الواردة عليه، وأنه كان المنقطع إلى هذه الجنبة دون سائر أهله، فكان الجواب عن هذا الفصل في مضمون الكتاب في الحجة على حَسَن، وأنه احتاج إلى إحداث تنصُّل مختلق فتح له أبواباً، وسبب فيه أسباباً، ونهج له سبلاً. ولو كان ما عامله به أمير المؤمنين محجوباً عن الموالاة والمشاركة والمناصحة لاحتاج إلى كشفه، لكنه ظاهر مكشوف، وبيِّن معروف، فإنه لمّا استنصره على بني عمه المشاقين له أمر بمجاوبته مُعرّفاً لما هو عليه من حسن الرأي فيه والإيثار له والرغبة في قوام أمره. وأنّ الذي رآه أن يدعو بني عمه إلى الصلح الذي رضيه اللّه عزَّ وجلَّ وندب إليه، وأن يخاطبهم. فإن صاروا إلى ما دعاهم إليه، وإلّا حاربهم فصار معه إلْباً[1] عليهم بحكم اللّه عزَّ وجلَّ فإنه يقول: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحجرات: ٩]. فكان جوابه عن هذا الفصل الجامع لصلاح الدين والدنيا الذي يلزمه شكره أن وضع يده في بنيان طَنْجَة؛ وقد كان سلفه أقدر على ذلك فامسكوا عنه تمهيداً للعواقب واستدفاعاً للنوائب واستدامة للصلاح، ثم أطلق لسانه بما لو سمعه من غيره لكان الحقيق بإنكاره للمحلّ الذي أحلَّ اللّه أمير المؤمنين به، ومحافظة على ما سبق إليه من فضله وأسلفه من إكرامه. فقطع القربة وصار إلى هذه الحال الموبقة، وصار بنو عمّه إلى الانقياد والتسليم والتحكيم لما رآه والشكر على ما قضاه، وضادَّهم هو فيما انتحاه فأحفظ[2] أمير المؤمنين ما كان منه، وتمادى هو في جماعته بلسانه ويده فأقام الخطبة لمن أقامها مجاهراً بالمكروه ومظاهراً بالقطيعة وموقداً لجمر العقوق، حتى أخرجه عن سجيته وذهب به عن فطرته:

والنار قَدْ تَلْتَظِي[3] مِنْ نَاضِرِ السَّلَمِ

ثم عاد أمير المؤمنين إلى إيثار الفضل الأغلب عليه والحلم الذي هو أملك له فتأنّى فيه وانتظر فَيئته[4]، فركب رأسه واستمر في غيّه.

وفي فصل منه: «وأما ما دعا إليه الآن من الإنابة والمراجعة والتحكيم في النفس

---

(١) الإلب: القوم يجتمعون على عداوةٍ وبغضاء.

(٢) أحفظ الأمير: أغضبه.

(٣) تَلظَّت النار، والتظت: التهبت.

(٤) الفَيْئَةُ: الرَّجْعَة.

والولد والمال والبلد فكلمة حسنة لا يدع أمير المؤمنين قبولها إذا صدَّقها فِعلٌ وحققها برهان، احتمالاً على قول النبي ﷺ، إذ أتى مكّة فقال: «لا تدعوني قريشٌ إلى خُطةٍ يسألوني فيها صلةَ الرحم إلا أعطيتهم إياها»، وأخْذاً بالعفو الذي وصف اللّه به نفسه وأحبَّه من أوليائه؛ لكن ذلك لا يكون إلا بفعلةٍ معروفةٍ مكشوفةٍ كما كان فعله ظاهراً بقتله الجند صبراً، وقذفهم في النار الجاحمة[١]. فإنْ كان معتقداً ما قاله أو منطوياً على صحته مؤثراً له راغباً في استجزال[٢] حظّه من حسن رأي أمير المؤمنين ورضاه، وتوطين بلده لولده، وأنّ مذهبه تمحيص[٣] ما فرَّط وتكفير ما سبق والإصحار بموالاته وانقياده، أَخَذَ البيعة على أهل عمله وخرج مُطهراً لنفسه إلى باب سُدَّته، فإنه إذا أتى ذلك خرج مما دخل فيه، وفاز بالقِدْح المُعَلَّى[٤]، والمنزلة الكبرى عنده؛ وَصَدَرَ عنه لابساً ثوب كرامته وغذيّ نعمته التي قد عرفها ولبسها».

وفي جمادى الآخرة منها خرج صاحب الردّ عبد الملك بن المُنذر بن سَعِيد إلى الكُوَر الغربية، وهي شَريش[٥]، ولَقَنْت[٦]، وإشْبيلِيَّة، ولَبْلة، وقَرْمُونة[٧]، وَمُورُور[٨]، وإسْتِجَة، وشَذُونة، لِمطَالعة رعاياها، وتعرّف أحوالهم، والكشف عن سَيْرِ أعمالهم فيه.

وفيه خرج صاحب الشرطة والسوق أحمد بن نَصْر قاضي كَوْرَة جَيّان لامتحان ما رفع به بعض أهلها على العارض عبد الرَّحْمٰن بن جمهور عاملهم.

وفي آخر العشر الأول من جمادى الآخرة المؤرخ الموافق لِشَطْر شهر مارس العجمي هاجت بِقُرْطُبَة وما يليها رياح شديدة وأنواء غليظة متوالية، ونزلت بقبليها أرِذَّةٌ شديدة أعقبت بعد أيام غيثاً وابلاً صحِبَتْه بروقٌ خاطفة، دام أكثر نهاره، فروَّى الثرى، ونفع اللّه به. ثم كرَّ الغيث على قُرْطُبَة وما يليها.

---

(١) النار الجاحمة: الشديدة الاشتعال، المُتأجِّجة.

(٢) استجزله: استجاده.

(٣) التمحيص: من مَحَّص الشيءَ: خَلَّصَهُ من عيوبه، أو مَحَّص اللّه التائب من الذنوب: طَهَّره منها.

(٤) المُعَلَّى: سابع سهام المَيْسِر، له سبعة أنصباء عند الفوز، وعليه سبعة أنصباء عند الخسارة. ويقال: له القِدْحُ المُعلّى: أي الحَظّ الأوفر.

(٥) شَرِيش: مدينة كبيرة من كورة شَذُونة، وتسمى «شرش». (معجم البلدان، الحموي: ٣/ ٣٤٠).

(٦) لَقَنْت: حِصْنَان من أعمال لَارِدَة: لَقَنْت الكبرى، ولَقَنْت الصغرى، وكل واحدة تنظر إلى صاحبتها. (معجم البلدان، الحموي: ٥/ ٢١).

(٧) قَرْمُونَة أو قَرْمُونِيَة: كورة يتَّصل عملها بأعمال إشبيلية، غربي قرطبة، وشرقي إشبيلية. وهي قديمة البنيان. (معجم البلدان، الحموي: ٤/ ٣٣٠).

(٨) مُورور: في معجم البلدان: «مُورة»: حصن من أعمال طليطلة.

وفي العشر الأواخر من جمادى الآخرة تمادى أياماً يسكب تارةً ويقلع تارةً، ثم أقصر الغيث فيما بعد، وخيف على الزرع، فاستسقى الخطيبان بالجامع، القاضي مُحمَّد بن إسحاق بجامع قُرْطُبَة، ومُحمَّد بن يُوسُف قاضي قَبْرة بجامع الزهراء، فاجتهدا في الدعاء، واستمر القحط؛ وتنزَّل على ذلك في ليلة الأحد لسبع خلون من رجب بِقُرْطُبَة وما يليها جليد أسود. ونزل ليالي ثلاثاً فساءَ تأثيره، وامتدَّ نزوله إلى بعض الكور الدانية من قُرْطُبَة، فأحرق كثيراً من الكروم وشجر التين وغيره. وكان أكبر ضرره في البطون والوهاد. وأعاد الخطيبان المتقدم ذكرهما الاستسقاءَ بالجامعين فيهما يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من رجب منها، وكان اليوم التاسع والعشرين من شهر نيسان، فلم تَجُد السماء، إلى أن تفضَّل اللّه بالسقيا من ليلة يوم الاثنين لثمانٍ خلون من رجب، فَروَّى الثَّرى واستنقذ الزرع برحمته.

وفي آخر جمادى الآخرة صرف الخليفةُ الحكمُ صاحبَ الشرطة أحمد بن نَصْر إلى كورة جَيّان لمشارفة ما كان تقاضاه مُحمَّد بن عبد الملك عاملها من الرعية أهلها عن الخشب والزفت والقطران اللائي كان العهد قد نفذ إليهم بإعداد الأعداد المحدودة لهم منها واحتمالها إلى إشبيلية ثم إلى الجزيرة للأساطيل المصنوعة فيها. فرأى الآن إسقاط مؤنة ذلك عنهم واحتسابه في خاصة نفقاته رفقاً برعيته وترفهاً عنهم. فصرف العامل مُحمَّد بن عبد الملك إلى جميع أهل القرى ما كان لزمهم من ذلك بحضرة أحمد بن خالد، لم ينتقصوا منه قُلامة[١]، فحسنت منه عليهم العائدة.

ذكر استدعاء الوزير القائد الأَعلى غالب بن عبد الرَّحْمٰن، لحرب العُدْوَة مع حَسَن بن قَنُّون الحَسَني

وفي آخر جمادى الآخرة احتل الوزير القائد الأَعلى غالب بن عبد الرَّحْمٰن بمحلة فَحْص السُّرادق شرقي قُرْطُبَة مُستدعىً من مولاه الخليفة الحكم، مهيباً به لحربِ الغويِّ حسن بن قَنون الحسني المنازع له عمله بأرض العُدْوَة عندما تفاقم أمره، وأعيا مراسه[٢]، وأثخن[٣] في قتل الجند، وانتحل ولاية الدعيّ الشيعيّ مَعدّ.

(١) القُلامة: ما يُقطع من طرف الظُّفر، أو الحافر، أو العود، وقلامة الظفر: مثل في القلة والحقارة.

(٢) المِرَاسُ: الجَلَدُ والقوة والشدَّة في معالجة الأمور.

(٣) أثخن في الأمر: بالغ فيه، يقال: أثخن في العدو: بالغ في قتاله.

فاضطرب غالب بمحلته تلك يومئذٍ في يومين في الدَّهم[١] الذين أمر باستنفارهم من حَشْدِ الثغر الأعلى إلى من استنهضهم من جيش السلطان لديه، ثم تقدم بهم في اليوم الثالث إلى الزهراء وطن الخليفة مولاه مُشتَقًّا قُرْطُبَة. واجتهر[٢] أهلها من احتفال جيشه، واكتمال عدده، واطّراد ترتيبه، ما امتلأتْ به قلوبهم فرحاً وشمخت[٣] له أنوفهم عِزًّا. وأقام بِقُرْطُبَة أياماً اتصل فيها عمل السلطان ورجاله في تجهيزه وإزاحة علله وتقوية أيْدِه[٤] إلى أن بلغ منه ما ارتضاه، ففصل عند ذلك في جموعه يوم الثلاثاء لتسعٍ خلون من رجب منها.

وورد على أمير المؤمنين يوم فصوله هذا، كتاب فتح من قبل القوّاد بمدينة أصيلا القائمين في وجه الغَوِيّ حَسَن بن [قَنون]: رَشِيق بن عبد الرَّحْمٰن، وعبد الرَّحْمٰن بن يُوسُف بن أرمطيل، وإسماعيل بن عبد الرَّحْمٰن بن الشيخ، يذكرون أنهم التقوا مع الغويّ حَسَن بن قَنون، فدارت بفنائهم حرب شديدة هزمه اللّٰه غبَّها[٥]، وقتَلَ الجند كثيراً من حُماته، وأسروا منهم يَحْيَى بن قشاش رئيس لوائه وخَتن حسن، وأناقول بن سبع في عدد كثير من أبطالهم. وإن أبا حَسن علياً نجا بجراح مثخنة نالته. فتضمن الجواب إليهم أنّ الرأي ترك الحركة إليه والتعرض لحربه حتى يلحق بهم الوزير القائد الأعلى غالب بالقوة، إن شاء اللّٰه.

وفي هذا الوقت قدم إلى قُرْطُبَة رسول حنون بن إدريس صاحب مدينة الأقلام بالعُدْوَة، ورسول عبد الكريم صاحب مدينة القرويين من مدينة فاس، يرغبان في الدخول في طاعة أمير المؤمنين والقيام بدعوته، فَكُرِّم رسولاهما وأجمل موعودهما.

وفي هذا الوقت نالت دُرِّيًا الكبير الخليفة الصقلبي المعروف بالخازن مَوْجِدة[٦] من مولاه أمير المؤمنين لتقصير معه في خدمته، أقصاه له وأهانه، وولّى إذلاله صاحبَ المدينة بالزهراء مُحمَّد بن أفلح مولاه، فأحضره عن عهده إلى مجلسه بكرسي الشرطة عند باب السُّدَّة بالزهراء، ووقفه قائماً على قدميه إلى جانب الكرسي فوبّخه وفنَّده[٧]

---

(١) الدَّهم: العدد الكثير.

(٢) اجتهر الأمرُ القومَ: عَظُمَ في أعينهم، وراعهم جماله وهيئته.

(٣) شَمَخَتْ أُنوفهم: ارتفعت.

(٤) الأَيْدُ: القوة.

(٥) غِبُّ الشيء: عقبه.

(٦) المَوْجِدَةُ: الغضب.

(٧) فَنَّدَ فُلاناً: خَطَّأَ رَأْيَهُ.

وأوعده دون أن يُغلِظَ له، وهو ساكت كاظم[١]، فلما أنهى كلامه، تولّى عنه داخلاً إلى موضع سُكناه من القصر لم يدفع عن ذلك، فصار فيه، ونفذ الأمر إليه للنصف من رجب بعده بالانتقال من قصر الزهراء إلى قصر قُرْطُبَة والمقام به متخلياً عن الخدمة، قد نفذ العهد بإسقاط رزقه الخلافي عنه، وقصره منه على عشرة دنانير وازنة، تجري عليه في كل شهر، فأقام على ذلك إلى أن انتشله الرضى عنه في غرّة ذي القعدة من هذه السنة بشفاعة الأمير أبي الوليد هشام له ولميسور الفتى الكبير الجعفري، وأحمد بن بَكْر الزّنجي المسخوط عليهما بعده، توسلت جماعتهم بكتاب الأمير هشام بخطّ يده إلى الخليفة في الرضى عنهم، فعجل إسعافه، وأعادهم إلى حسن رأيه فيهم، وصرفهم إلى خططهم ومنازلهم.

وفي ليلة الجمعة لخمسٍ خلون من رجب منها سقطت نارٌ في دار القَوَمةِ بجوف المسجد الجامع بمدينة قُرْطُبَة فأضرمت غرفها وسقف بيوتها وأساءت التأثير فيها.

وفي يوم الأحد لسبعٍ خلون من رجب أحضر صاحب المدينة بالزهراء مُحمَّد بن أفلح بمجلسه بكرسي الشرطة بمدينة الزهراء أحمد بن هَاشِم [وابن مقيم وابن العاصي] إحضار إعتابٍ وتأديبٍ بعهدٍ نفذ إليه من الخليفة، نسبوا عنده إلى الغمص[٢] للسيرة والتخطي بفضول[٣] القول، فأقامهم بين يديه مقام خزاية، وأنعمهم تقريعاً وتوبيخاً وإيعاداً، ثم تقدم إلى ابن هاشم منهم بالتزام داره لا يعدوها، وقذف ابن مقيم وابن العاصي معاً في سجن الزهراء.

وفي يوم الثلاثاء لسبعٍ خلون من رجب منها خرج صاحب المخزول سَلَمة بن الحكم إلى العُدْوَة وبين يديه عدة أحمال من المال العَيْن لإعطاء معاريف المجهزين بها.

وفي هذا الوقت خرج صاحب الردّ قاضي فَحْص البَلُّوط[٤] عبد الملك بن مُنْذِر بن سَعِيد ومعه الخازن أحمد بن مُحمَّد الكلبي إلى مدينة الفرج أمينين ليتعرفا حقيقة ما رفعه أهلها على قائدها رَشِيق بن عبد الرَّحْمٰن صاحب الركاب فينصفانهم منه.

وفي سلخ شهر رجب منها وصل إلى قُرْطُبَة أحمد بن مُحمَّد بن عبد اللّٰه بن إسماعيل بن طَاهِر بن عبد اللّٰه بن مُحمَّد بن عبد الرَّحْمٰن بن القاسِم بن مُحمَّد بن

---

(١) كاظمٌ: من كظم غيظه، وعلى غَيْظِهِ: أمسك على ما في نفسه، صافحاً، أو مغيظاً، ومنه: كَظَمَ نَفَسَهُ: حَبَسَهُ.

(٢) الغَمْصُ: التحقير والاستصغار، أو جحود النعمة وكُفرانُها.

(٣) الفضول من كلّ شيء: ما لا فائدة فيه.

(٤) فحص البلوط: ناحية بالأندلس تتصل بجوف أُوريط، وتُشْتَهرُ بمعدن الزئبق وغيره. (معجم البلدان، الحموي: ١/ ٤٩٢).

أبي بَكْر الصديق ـ رضوان اللّه عليه ـ من ساكني بلد العُدْوَة ـ من ثغر أرض الشام الذي غلبت عليه الروم في هذا الوقت، قدم زائراً للخليفة المستنصر باللّه متعرضاً لنائله، وأوله من المدينة الهارونية المنسوبة إلى هارون الرشيد من ثغور مدينة المَصِّيصَة(١). وكان قد رحل عنها قبل فتحها مع أبيه فقضى فريضة الحج ودخل اليمن ولقي ملوكهم وجال تلك البلاد مع أبيه. ثم رجعا إلى مصر يبغيان الانصراف إلى وطنهما، وقد غلبت الروم على الهارونية وما يليها من ثغور الشام. فانتقلا عنها إلى الغرب واستوطناه متنقلين في مواطنه ما بين «شمس» من عمل أولاد البوري بن أبي العافية إلى «فلواته» من عمل أخيه مرين بِعُدْوَة القرويين من عمل فاس، ولا تليقهما أرض بعد فراق الوطن وفراق النعمة. وتوفي أبوه مُحمَّد بن عبد اللّه منذ ثلاثة أعوام فنزعت به همته إلى قصد هذا الخليفة السنيّ المبرز في الخيرات، فَأَمَّهُ(٢)، واقترن به في قصده لحضرته إبراهيم بن مسهول الصّنهاجي، ومُحمَّد بن خلف الكتامي، وَجْهَان من وجوه قومهما في نفر من أصحابهما، فتقبلت وفادتهم ورحب بهم، وأنزلوا بالمدينة في الدار المنسوبة إلى بني غانم التي هلكت فيها تلك الأيام «معشوق» أم ولد مَنْصُور بن سِنَان، وأكرم مثواهم.

وفي غرَّة شعبان منها خُوطب صاحب البحر عبد الرَّحْمٰن بن رُمَاحِس والقواد معه: سَعْد وقَيْصَر وعبد اللّه بن مَرْوَان يستقصرون ويعنفون فيما قلدوه من أمر البنيان لِطَنْجَة، فلو أنّ لهم في الاعتزام منزلة لاستبان ذلك وهم على حركاتهم المتوانية، لكنهم أخذوا بالهوينا وأخلدوا(٣) إلى الأرض كأنهم بمفازةٍ من إنكار أمير المؤمنين ونجوة من تغييره، فإن هذا الكتاب قد جعله إعذاراً لهم وإنذاراً فإن ظفر منهم وراءه بما يمحص سيئاتهم، وإلّا كان نظره من ورائهم.

وفي صدره خرج صاحب الشرطة العليا والحشم قَاسِم بن مُحمَّد بن قَاسِم بن طملس إلى الجزيرة بطائفة من الجند مُمِدًّا للوزير القائد الأعلى غالب بن عبد الرَّحْمٰن، فكان خروجه فخماً نبيلاً اجتهره الناس وسرّوا به. وخرج بخروجه أحمد بن مُحمَّد بن حُدير بثمانين ألف دينار دراهم لقطائع الأجناد المُشْتَرِينَ بِطَنْجَة وأصيلا، لشهر رمضان منها وما بعده، وَخُوطِب صاحب المخزول سَلَمة بن الحكم الجَعْفَري بقبضها وتوزيعها بين يديه.

---

(١) المَصِّيصَةُ: مدينة على شاطىء جيحان من ثغور، الشام، بين أنطاكية وبلاد الروم، تقارب طرسوس. وقيل: المصيصة: قرية من قرى دمشق. (معجم البلدان، الحموي: ٥/ ١٤٤).

(٢) أَمَّهُ: قَصَدَهُ.

(٣) أخلد إلى الشيء: اطمأنّ وسَكَنَ.

وفي النصف من شعبان أنفذ الخليفة صاحب الشرطة الوسطى والمواريث قاضي إشبيلية ووكيل الأمير، أبي الوليد هِشَام، مُحَمَّد بن عبد اللَّه بن أبي عامر فتى الدولة، وصاحب الشرطة الصغرى قاضي الثغر الأعلى مُحمَّد بن عليّ بن أبي الحُسين، والخازن أحمد بن مُحمَّد الكلبي، إلى مدينة أصِيلا بالعُدوة، أمناء وممتحنين على القواد بها. وأوعز إليهم بأشياء يقضونها. فمضوا لسبيلهم، وخرج بخروجهم مُحمَّد بن فُرتون من موالي الجند في طائفة من أصحابه.

وفي هذا الوقت أخرج الخليفة جمهور بن عبد الرَّحْمٰن بن الشيخ إلى مدينة سَرَقُسْطَة أم الثغر الأعلى بطائفة صحبته من أنجاد الأجناد[١] مَدَداً لذلك الثغر، ربطهم فيه.

وفي النصف من شعبان منها اقترب الفتى الكبير دُرّيُّ الأصغر الخازن الصقلبي إلى الخليفة مولاه بإهدائه إليه مُنيته الغرَّاء بوادي الرُمَّان المنسوبة إليه، وكانت اختراعَه ومرسى جنته ومستفرغ نفقته حتى أبلغ منها الغاية التي ناغاها كثير مِن مُنى مولاه، وقسمت له حظاً من هواه صَيَّره ينتابُها أيام نزهه ويقسم لها من راحاته. تَحَرّى لها هذا الفتى مسرَّته فَزفَّها[٢] عند استوائها واكتمالها هدية إليه، بجميع ما كان له فيها داخلها وخارجها من البساتين المسقية والأراضين المزدرعة[٣]، وما كان له بها من عبد وأمة وثور ودابة، اشتمل ذلك على أعداد متوالية وأموال وافرة ونعم مؤثلة[٤] تَقَبّلها منه الخليفة مولاه وأبدى لها مَسرَّة، وتقدم إليه بإقراره عليها وكيلاً له ومسنداً إلى نظره فيها، كيما لا ينخرم شيء من عمرانها. فعمل بذلك، وسأل الخليفة إثر ذلك أن يشرفه بحضور دعوة يعدها له فيها، فيشهدها بالأمير هشام وَلَدِه وعياله فينيف بمقداره، فأسعفه الخليفة بذلك، وركب إليه من قصر الزهراء إلى هذه المُنْية الرّمانية المهداة له، يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت من شعبان منها قاصداً مع الأمير هشام ولده والعيال. وقد قدَّر المبيت فيها ليلته فأقيم له داخلها بيوت المنام وضربت حولها الفساطيط والأبنية لمن حفَّها[٥] من الخدم والغلمان. فنزلها عامة يومه ذلك، عاكفاً على نعيم لا يُنادى وليده، مُطَهَّر من حرام يشوبُه[٦]. وأفاض ربُّ[٧] الدعوة على

(١) الأنجاد: جمع النَّجد: الماضي في ما لا يستطيعه سواه.
(٢) زَفَّ الشيءَ إليه: نقله، وأسرع به.
(٣) المُزْدَرعة: المزروعة.
(٤) مُؤثَّلة: ثابتة، أصيلة.
(٥) حَفَّها: أحاط بها.
(٦) يَشُوبه: يُخالطه، يمازجه.
(٧) رَبُّ الدعوة: صاحبها.

جميع من حضره داخلاً وخارجاً من صنوف الأطعمة الغريبة وأنواع الفواكه الملذة ما غالب شهواتهم وعمَّ طبقاتهم، فأجمعوا أنهم لم يشاهدوا في المتنزهات السلطانية أكمل ولا أهذب ولا أعمّ من صنيع دُرِّيّ هذا. ودنا المساء وقد بدا للخليفة في المبيت بمنزهِ المنية، فانصرف مع الأمير ابنه وعياله إلى قصره بالزهراء.

وفي هذا الأوان من منتصف شعبان منها الموافق للعشر الأخر من شهر مايه الشمسيّ نزل بِقُرْطُبَة وما يليها مطر ليّن حَدَتُهُ[1] رياحٌ شداد وبروق خواطف، ثم وليه إلى أيام نزولُ مطرٍ وابل، وزلزلت الأرض بِقُرْطُبَة وما يليها ليلة الاثنين لأربع عشرة خلت من شعبان في الساعة التاسعة منها.

فصل من أخبار
غَالِب بن عبد الرَّحْمٰن في مَسِيره إلى العُدْوَة

وفي يوم الثلاثاء لثمانٍ بقين من شعبان منها خُوطِب الوزير القائد الأعلى غالب بن عبد الرَّحْمٰن بالبعثة إليه بعشرة آلاف دينار لصلات الخارجين إليه من وجوه القبائل المنحرفين[2] عن المخذول حَسَن بن قنون وزعمائهم، يوزعها عليهم حسب مقاديرهم، استئلافاً[3] لهم واستصفاء لبصائرهم. وقُرِنَ بها من فاخر الكسوة: الديباج والخزّ والمطارف[4] والسيوف المحلاة عددٌ، للخلع عليهم، عدد ذلك من الديباج المضطلع الملوّن منه خمسون جُبّة، والخزّ العبيدي الملوّن خمسون جُبّة، والخزّ الطرازي الملوّن أيضاً خمسون جُبَّة، ومن المطارف المفصلة الملونة مائة جُبّة، ومن العمائم اللاسيَّة الملوثة مائة عمامة، ومن السيوف العدوية الحالية، والشطر منها مخرمة، عشرة سيوف.

وفيه ورد كتاب الوزير القائد الأعلى غالب بن عبد الرَّحْمٰن من الجزيرة يذكر أنه ورد عليه كتاب عبد الكريم بن يحيى، ومُحمَّد بن يحيى الصنهاجي صَاحِبَيْ مدينة فاس[5]. ثم كتاب إسماعيل بن البوري، ويحيى بن البوري، وغيرهم من وجوه أهل العُدْوَة يذكرون ما هم عليه من الجنوح والصاغية[6] واعتقاد الطاعة، وأنه أجابهم عن كتابهم قابلاً منهم مؤكداً لبصائرهم مُعرِّفاً لهم [ما] فيه من خير العاجلة والآجلة.

(١) حَدَتُهُ: دفعته، ساقته.
(٢) انحرف إلى فلان: مال إليه.
(٣) استألف القوم: جمعهم على الألفة والمودّة.
(٤) المطارف: جمع المطرف: رداء أو ثوب من خَزٍّ مُربَّع ذو أعلام.
(٥) فاس: مدينة كبيرة على بَرّ المغرب، من بلاد البربر، وهي حاضرة البحر، وأجلّ مدنه قبل اختطاط مراكش. (معجم البلدان، الحموي: ٤/ ٢٣٠).
(٦) الصَّاغية: صاغية الرجل: خاصته الميَّالون لاتباعه، ومنه: صَغَى إليه: مال.

فَجُووبَ بإحماد رأيه وحسن موقعه من سلطانه وإبلاغه بالازدياد منه. وضمّن الجواب فصلاً في إرسال مُحمَّد بن حُسِين التميمي، المعروف بالطّبْني الشاعر إليه ليستعين به في شأنه وقد تقدم لغالب رغبة في إصحابه إياه: «وإنّ أمير المؤمنين عهد بتوجيه مُحمَّد بن حُسِين الطُّبْني إليك على ما رغبت فيه، فقد وقع اختيارك منه على خيار وثقة في جميع أحواله، مع نفاذ دربته وصدق ممارسته لما يرمي إليه. واعترف أحمد بن يَعلى ـ رحمه اللّه ـ بذلك، وشكرنا له تصحيحه ومناصحته ولن يألوك عوناً وتزييناً، إن شاء اللّه».

واستحضر الخليفة الحكم مُحمَّد بن حُسين الطُّبْني يوم الإثنين عقب شعبان، فأمره بالخروج إلى العُدْوة واستصحاب الوزير القائد الأعلى غالب بن عبد الرَّحْمٰن والتصرف في شؤونه ومؤازرته في تدبيره، فنفذ لسبيله، سلخ شعبان المؤرخ.

وفي آخر شعبان المؤرخ وصل إلى قُرْطُبَة القَاسِم بن يَحيى بن القَاسِم بن إبراهيم بن مُحمَّد الحسني المُسمَّى حَنون، وهو ابن أخي حَسَن بن قَنون المنتزي على الخليفة الحكم بالعُدْوَة، مفارقاً لعمه جانحاً إلى طاعة الخليفة، فَتُقُبِّلَ نزوعه وأُكرم مورده وأُنزل في دار ابن أُمية بمدينة قُرْطُبَة، وأُوسعت عليه الجراية.

وفي هذا الوقت أعذر[1] القاسم بن إبراهيم بن عيسى بن حنون وابن عمه أبو العيش بن ميمون بن القاسم الحسنيان المستأمنان إلى الخليفة الحكم بَنين لهما بمُنْية المنتلي شرقي قُرْطُبَة، مكان إنزالهم، وأعلما بذلك الحكمَ. فاحتمل عنهما كلَّ الإنفاق في غد يومهم، وعهد بإقامة صنيع فخم عندهم بالمنتلي يحتفل فيه وَيُسْتَدعى له وجوه الناس؛ ولي ذلك الوزير صاحب المدينة بِقُرْطُبَة جَعْفَر بن عُثْمَان، فأوسع نطاقه وأحسن تهذيبه، واستعمل فيه كُفاته من كتابه وخدمته فانتهى [إلى] الغاية من تحسينه. واستدعى لمشاهدته طبقات الأصناف من قريش ومن توافى فيها منها يومئذٍ من رؤساء البرابر وفرسانهم، وجمهرة من وجوه أهل قُرْطُبَة، وبياض أهل السوق فطعِمُوا وغلفوا بأثْرِ البخور بالغالية[2] الخالصة، وانقلبوا مكرمين. واعترف القرشيان، أَبَوا الغلمة المعذَّرين، للخليفة بفضل ما أجدَّ من التخصيص والتكرمة، فاغتبطا باعتقاد الطاعة.

ودخل شهر رمضان سنة اثنتين وستين وثلاثمائة فعهد الخليفة الحكم في غُرَّته بتضعيف صدقاته المعاوَدَةِ الإخراج في مثله، في تجديد ما اعتاد في ما قبله من زلفاته[3]

---

(١) أعذر فلان: أقام طعام الإعذار (الختان).
(٢) الغالية: خليط من الطيب كالمسك والعنبر.
(٣) الزلفات: جمع الزُّلْفَى: القُرْبَى والمنزلة.

إلى بارئه، وقرباته إلى ربّه فأبرز الأموال الرغيبة إلى أُمنائه وحكامه الذين نصبهم لها ليجولوا بها في أرباض حضرتيه [قُرْطُبَة] والزهراء وأكنافهما يتحرون بها أهل الستر وذوي الحاجة، فعمتهم وتخطتهم إلى أبناء السبيل، ومكشفي الستر، فنالوا منها ذَنوباً، وفرج اللّه بها عن كثير منهم كروباً.

وفي يوم الثلاثاء لِستٍّ خلون منه عهد أمير المؤمنين الحكم إلى الوزراء بالقعود في بيتهم لرؤساء البرابر القادمين من العُدْوَة المتكامل عددهم في هذا الوقت، ومشاهدة توزيع الصلات والكسى عليهم التي أمر بها لهم ووسمها لكل واحد منهم. ففعلوا وقعدوا لهم، وكان الإنذار قد نفذإلى جميعهم فحضروا وَدُعي بإمامهم أبي العيش بن أيوب بن بلال، رئيس كُتامة، فدفعت إليه خرائط[1] عدة من المال وأعداد من صنوف الخلع الرفيعة، وحمل على فرس رائع بسرج مُعرَّق ولجام مفرغ، وخُلعَ على ابنه خلع فاخرة. فخرجا وبين أيديهما خرائط المال ومناديل الخلع. ثم دُعي بمن معه من الرؤساء أولاً فأولاً فأسلمتْ إليهم صِلاَتهم وخِلَعهم، وأفيضت في جميع أصحابهم وأعوانهم حسب مقاديرهم.

وكان القُرَشيّ البَكْريّ[2] أحمد بن مُحمَّد الوافد على الخليفة قد اسْتُحْضِر معهم يومئذٍ فَوُصِل بمائتي دينار وخُلِعَ عليه خلعة تشاكله، وقال له الوزير صاحب المدينة جَعْفَر بن عثمان متولي ذلك عن الخليفة: هذه صلتك فيما تستقبله لكلِ عام إن شاء اللّه زائدة على راتب شهرك. فدعا وأظهر الرضى، وقد أسرّ بهواه. وأُوذن لكلٍّ من قبض الصلة في هذا اليوم بالانطلاق لسبيلهم، فأخذوا في شأنهم، ودفع إلى أبي العيش بن أيوب كبيرهم سجله المعقود له على قومه من قبائل كُتامة الذين عاهدوه على طاعة أمير المؤمنين، وعدد فرسانهم فيما ذكروه ثلاثة آلاف وخمسمائة ونيف، ورجالتهم ستة آلاف وأربعمائة، معروفون بالبسالة. وكانت نسخة السجل له، وهو من كلام الوزير الكاتب صاحب المواريث جَعْفَر بن عُثْمان:

«بسم اللّه الرَّحْمٰن الرَّحيم. كتاب من عبد اللّه الحَكَم المُستنصر باللّه أمير المؤمنين لأبي العيش بن أيوب، أنه ولَّاه النظر في قبيلة أطانة مهران من كُتامة مؤثراً له ومظهراً لحسن رأيه فيه وثقته به فيما فوّضه إليه للذي أحبه من استصلاحه واستصلاح أحواله وأحوالهم وصلة أسبابهم وتمهيد أمورهم. وأمره بتقوى اللّه العظيم فإن اللّه مع الذين اتّقوا والذين هم محسنون، والتزام طاعته وطاعة خليفته التي افترضها عليه،

---

(١) الخرائط: جمع الخريطة: وعاء من جلد أو نحوه، يُشَدُّ على ما فيه.

(٢) أي الذي ينتسب إلى أبي بكر الصِّدِّيق.

مستشعراً لها مخلصاً فيها محافظاً عليها معتقداً للقيام بوظائفها وشروطها، والوقوف عند حدوده، والانتهاء إلى عهوده، والتصرف معها كيف تصرفت به وافقت محبوبه أو خلافه، عالماً بما له في ذلك من خير العاجلة والآجلة. وأن يعطي صفقة أيمانه بين يدي الوزير القائد الأعلى غالب مولى أمير المؤمنين على الوفاء بما التزمه من الطاعة والنصيحة، وأن يأخذ على ذلك أيمان وجوه القبائل المصروفة إليه، وعلى مسالمة مَنْ سالمه ومحاربة مَنْ حاربه، دَنَوْا منه أو بعدوا عنه».

«وأمره أن يحتمل في أحكامه على كتاب اللَّه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وسنة مُحمَّد ﷺ المرسل بهما، وأن يأخذ أَخذَ نفسه بمراعاتهما والاهتداء بهما، فإنهما مفتاح جنته والنور الذي لا يضلّ من استضاء به ولا يستبهم[1] باب من أبواب الصواب عليه. وأن يقف عندما أمره به من استصلاح أحوالهم والعفاف على أموالهم واستعمال العدل فيهم، والأخذ لهم ومنهم وعليهم، والتسوية فيه بين شريفهم ومشروفهم، وقويهم وضعيفهم، وفتح بابه، ورفع حجابه، ومباشرة أمورهم بنفسه، وحملهم على واضح الديانة ومناهجها المستقيمة وما عقده منها الكتاب والسنة، ومراعاة الصلاة لأوقاتها وإقامتها على كمالها، بحدودها والأذان لها على حسب ما كان في عهد رسول اللَّه ﷺ والراشدين من بعده، وما عليه جماعة المسلمين فيه والإفطار عند رؤية الهلال كما أمر به رسول اللَّه ﷺ فإنّه قال: «**صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإنْ غمَّ عليكم فأكملوا العدة ثلاثين يوماً**». وأن يأخذ زكواتهم من الحبوب المرفوعة عندهم والثمرات الموجودة بأرضهم وصدقات مواشيهم على حدودها وشرائعها غير مُقصِّرٍ عنها، ولا متجاوزٍ لها ولا مُبدّلٍ لشيء منها، وذلك من الذهب والفضة ربع العشر إذا كان المال حاصلاً بيد المزكي وغير خارج عنه في دين أو تجارة، وليس فيما دون عشرين مثقالاً زكاة، ولا فيما دون مائتي درهم زكاة. والزكاة كلها في كل عام مرة، وزكاة الإبل في كل خمسٍ شاة وليس فيما دون هذا زكاة إلى أن تبلغ إلى عشر ففيها شاتان، فإذا انتهت إلى خمس عشرة ففيها ثلاث شياهٍ، وإذا انتهت إلى عشرين ففيها أربع شياهٍ إلى أربع وعشرين، فإذا بلغت خمساً وعشرين ففيها بنت مخاض[2]، فإن لم توجد فابن لبون[3] ذكر إلى خمس وثلاثين، فإذا كانت ستاً وثلاثين ففيها ابنة لبون إلى خمس وأربعين، فإذا كانت سِتًّا وأربعين

(1) استبهم الأمر: استَغْلَق وأَشْكَل.

(2) المَخاضُ: الحوامل من النوق، ومنه قيل للفصيل إذا استكمل السنة ودخل في الثانية: ابن مخاض، والأنثى ابنة مخاض. ويقال للفصيل إذا لقحت أُمّه: ابن مخاض، ومثله الأنثى.

(3) اللبون من الشاء والإبل: ذات اللبن، وولدها في تلك الحال: ابن لبون، والأنثى: ابنة لبون.

ففيها حقة[١] إلى ستين، فإذا كانت إحدى وستين ففيها جذعة[٢] إلى خمس وسبعين، فإذا كانت ستًّا وسبعين ففيها ابنتا لبون إلى تسعين، فإذا كانت إحدى وتسعين ففيها حقتان، فإذا كانت مائة وعشرين فما زاد ففي كل أربعين ابنة لبون وفي كل خمسين حقة. وفي كل أربعين من الغنم شاة وليس فيما دون هذا العدد بصدقة، إلى مائة وعشرين. فإذا زادت شاة [. . .] وإذا زادت على هذا العدد ففي كل مائةٍ شاة؛ وإذا بلغت البقر ثلاثين ففيها تبيع ذكر، وليس فيما دون هذا العدد زكاة إلى أن تبلغ أربعين، ففيها مُسِنَّة. فإذا زادت على ذلك ففي كل ثلاثين تبيع وفي كل أربعين مُسِنّة. ولا يجمع بين مفترق ولا يفرق بين مجتمع خشية الصدقة، وذلك أن يكون لثلاثة رجال مائة وعشرون شاة لكل واحد منهم أربعون تلزمه عنها شاة واحدة، وأن يكون لرجلين مائتا شاة وشاة يجب عليهما فيها ثلاث شياه، فإذا أظلهم المصدق فرقاها فلم يكن على كل واحد منها إلا شاة. والمأخوذ في الصدقة الثني والجذع، ولا تؤخذ الربّى وهي التي قد وضعت، ولا الأكولة، ولا فحل الغنم. وأن تؤخذ الزكاة من جميع الحبوب المدخرة؛ وليس فيما دون خمسة أوسق زكاة؛ والوسق ستون صاعاً، والصاع أربعة أمداد بمد النبي ﷺ، فإن زاد العدد على هذا كانت الزكاة فيه العُشر، إذا سقته السماء والعيون، وإن كان بعلاً أو سُقي بالنواضح ففيه نصف العشر. ولا زكاة في تينٍ ولا جوزٍ ولا لوزٍ ولا في الفواكه كلها رطبها ويابسها. وتخرج زكاة النخيل والأعناب، وتخرج زكاة الزيتون من زيته إذا عُصِر؛ ولا زكاة على أهل الذمَّة رجالهم ونسائهم، ولا في شيءٍ من أموالهم ولا مواشيهم إنما عليهم أداء الجزية، وإنْ ضربوا من بلد إلى بلد فعليهم العشر بعد أن يبيعوا. وعليه أن يعدل في قبض الزكاة وتوزيعها على الثمانية الأصناف الذين سماهم اللّه، فإن لم يجد في بلاده جميعهم عادت حصص المفقودين منهم إلى أولياء الحق الذين يجاهدون الكفار والملحدين، على ما يراه قواد أمير المؤمنين المتصرفين بالمغرب، وألا يستأثر منها بغير الثمن الذي أوجبه اللّه للعاملين عليها غير مُتزيّد ولا مُتجاوزٍ له. ولا يبقي في شيء من البلد المصروف إليه مرصداً يأخذ فيه من مجتاز أو عابر سبيل شيئاً، ولا يتعرض لهم في إتاوة[٣]،

(١) الحِقُّ من أولاد الإبل: الذي بلغ أن يُركب ويُحمل عليه ويُضرب، وقيل: إذا بلغت أمه أوان الحمل من العام المُقبل، وقيل: إذا بلغ هو وأخته أن يُحمل عليهما، وَيُرْكَبا، فهو حِقٌّ، وهي حِقّة.

(٢) الجذع من الإبل: الذي يستكمل أربعة أعوام، ويدخل في الخامسة، والأنثى: جذعة. والجذع من الخيل: إذا استتمّ الفرس سنتين، ودخل في الثالثة. والجذع من البقر: الذي يتم السنتين ويدخل في الثالثة.

(٣) الإتاوة: الجزية أو الخراج.

ولاقبالة[١]، ولا مغرم[٢] من المغارم، ولا رسماً من رسوم المأكل، ولا ظلامة، ولا كلفة يعود أثقلها على أموالهم في برّه وبحره».

«وأمره أن يعرف للمؤلفة قلوبهم وأهل الطاعة السابقين لهم حقوقهم ويقرب منازلهم، وأن يقمع أهل العَدَاءِ والظلم وقاطع السبل حتى تأمن طرق المسلمين بأرضه فلا تهتك حرمة ولا تستهلك نعمة ولا يبطل حق ولا يُعطل حدّ، حتى تكون الأمة سواء في عدل أمير المؤمنين وفضله وينال المقيم والظاعن بركة عهده؛ وأن يلتزم إنهاء الأخبار على وجهها واستطلاع الرأي فيما أظله منها مما لم يقع في عهده هذا فيأتي ما أتاه منها على بيان وهداية إن شاء اللّه. ويستشعر الحزم والعزم والمناصحة والاجتهاد في جهاد المارقين من سلطانه والفاسقين عن طاعته. فمن قرأ عهد أمير المؤمنين هذا من أهل قبيلة أطانة أو قُرىء عليه فليسمع لأبي العيش بن أيوب وليطع فإنه حجّة له ولسامعيه إذا عملوا بما فيه وحجّة له عليهم إذا خالفوه، واللّه المستعان لا ربّ غيره».

قال: ودفع إلى جميع من سجل له على قومه من قبائل البرابر ممن اجتمع بالباب من رؤسائهم في هذا اليوم الذي أذن لهم بالإنطلاق فيه من سجلاتهم المنعقدة لهم على نسخة سجل أبي العيش بن أيوب زعيمهم، فأظهروا الرغبة فيه ووعدوا بالقيام بما أخذ عليهم من العمل بها وترك الخلاف لها، فكان ممن دفع إليه سجله منها يَحْيَى بن فتوح على قبيلة أجاز، والحسن بن صَرْحَان على قبيلة عَصْمَان، وإبراهيم بن علي على قبيلة نَفيس، وَخَلوف بن عمَّار على قبيلة مَاسْواه، والقاسِم بن نَصْر على بني معار، ونحيل بن عفي على قبيلة لهيصة، وابن جلاد الكُتامي على قبيلة بجرمة، وخلّاد بن سَعيد على قبيلة مُسالمة، وَمُهَارش بن عِمْرَان على قبيلة مَرْهَاجة، وأبو رسة بن الأحسن على قبيلة نورسة، ومُحمَّد بن أعصر على قبيلة إفلاسة، وأبو مُوسَى بن أبي زيد على قبيلة هيوسة، وعيسى بن يملول على قبيلة بني مُغاور وراء الجبل أيضاً، وصَنْعَان بن خليفة على قبائل غمارة، وأبو دسيس بن طيوس على قبيلة ولوسة، في آخرين أخفضَ منهم، تركنا ذِكْرَهُم، فكان انقلابهم إلى أوطانهم في النصف من شهر رمضان منها.

ونفذ العهد باحتمال مظل فخم بفرشه وآلته مع زعيمهم أبي العيش بن أيوب بن بلال المستقودِ منهم لنزوله فيه إكراماً له، وخلف بِقُرْطُبَة ابنه محمَّداً وعياله تحت جراية واسعة.

وفي عقب رمضان منها خرج عن قُرْطُبَة أحمد بن مُحمَّد القرشي التَّيْميّ الزائر منصرفاً إلى مكان استيطانه بالعُدْوَة مكرماً محبوراً.

---

(١) القَبَالةُ: وثيقة يلتزم بها الإنسان أداءَ عمل أو دين أو نحو ذلك.

(٢) المَغْرَمُ (في المال): ما يلزم أداؤه تأديباً أو تعويضاً.

وفي هذا التاريخ وصل إلى قُرْطُبَة عدد جمّ من قبائل البربر الجانحين إلى الطاعة المتعرضين للنوال كان فيهم من الأعلام المذكورين نحو من الستين فارساً فأنزلت جماعتهم وتوسع عليهم، واتسع النطاق في وفادهم من كل أوب مُقِرّين بالانحراف عن مُغويهم حَسَن بن قَنّون الحسني، داعين إلى حثهم لحربه، فعموا بالقبول وأرضوا بالعطاء وَصُبّ المال في أطنابهم[١] صبًا. وقعد الخليفة للموافين منهم إلى بابه في هذا الوقت قعوداً فخماً محكم النظام شهده الوزراء وأكابر أهل الخدمة ووجوه الجند، فتوصلوا يقدمهم رئيس غمارة مع أصحابه [إلى] من سواه من وجوه القادمين، فشكر لهم طاعتهم وأحمد بِدَارهم ووعدهم بالإحسان إليهم والإنعام عليهم وأقرّهم تحت الجرايات الواسعة إلى أن يفرغ للنظر في شأنهم.

وفي هذا الوقت ورد الخبر بركوب الوزير القائد الأعلى غالب بن عبد الرَّحْمٰن البحر في الأسطول من مدينة الجزيرة فرضة المجاز إلى بلد الأندلس بعد طول مقامه فيها، بعد أن استكمل أهبته فيها، وقدّم إجازة الأجناد والخيل والأثقال وآلات الحروب، فتوافت إلى هنالك كاملة، وإن ركوبه من الجزيرة كان في يوم الأحد لإحدى عشرة ليلة خلت من شهر رمضان منها وقلد رافعاً إلى جهة طَنْجَة من أرض العُدْوة، فلما أشرف عليها حرفته الريح[٢] إلى مَرْسَى بطنة المعروف بمرسى قبالة بغربي الجزيرة التي ركب منها وعلى أربعة أميال منها، فأرسى هنالك مضطراً وتلوّم أياماً يستطيب الهواء إلى أن ارتضاه، فأعاد الركوب ورزقه اللّه طيب الريح، فقطع البحر سهلاً سُرُحاً. ووافى كتابه في يوم الاثنين لأربع بقين من شهر رمضان يذكر أنه احتل بمرسى اليمّ المعروف بباب القصر على مقربة من مدينة طَنْجَة يوم الخميس لثمانٍ بقين من شهر رمضان مسلّماً هو وجميع من ركب معه من الحشم والآلات، وأنفذ كتابه عشي يومه ذلك، فحلّ الفرج وارتقب الفتح وعظمت المسرّة.

وفي يوم الأربعاء لخمسٍ خلون من شوّال بعده ورد الخبر بانتقال الوزير القائد الأعلى غالب بن عبد الرَّحْمٰن من محلته بِطَنْجَة يوم الأحد لليلتين خلتا من شوّال مستقدماً نحو الملحد حَسَن بن قَنّون إلى محلته بجرماية. ثم وافى كتابه يوم الاثنين لعشرٍ خلون من شوّال يذكر احتلاله بمحلة جرماية يوم الأربعاء لخمسٍ خلون من شوالٍ، وحكى أن حسناً المُلحد ارتفع إلى الأجبل المتصلة بجبل الكرم حياداً عنه.

وورد كتاب صاحب الشرطة وقائد البحر عبد الرَّحْمٰن بن رُمَاحس يذكر حركته بالأسطول إلى أصيلا لما في القرب من الوزير القائد الأعلى واجتماع الأسطولين من

(١) الأطناب: الأطراف والنواحي.

(٢) حرفته الريح: أمالته، صرفته عن وجهته.

صواب التدبير والأخذ بالحزم، فَجُووب بتصوّب رأيه، وَجُووب الوزير غالب بمثل ذلك. وأُرسلت إليه كسى فخمة وسروج وألجُم محلاة فَفضَّها فيمن جاءه من الرؤساء. وفي هذا الوقت أرسل الخليفة المستنصر باللّه إلى الوزير القائد الأعلى غالب بن عبد الرَّحْمٰن بالقبة الحمراء الفخمة المرأى البديعة الصنعة التي أمر باتخاذها له على حدّه ووصفه كيما يرفعه وسط محلته، ويكون نزوله وقعوده فيها إسماءً لقدره ورغماً لقلب عدوه. وكانت غريبة الابتداع عجيبة الاختراع لها منظر رائق ومرأى فائق، جرى للناس في اتخاذها كلامٌ كثير.

وفي هذا الوقت وافت إلى المدينة الزهراء المِهَارُ[١] والفلاءُ[٢] المستنتجة في مدائن إشبيلية ولَبْلَةَ في عدد وافر وصفات مقبولة سرّتِ الخليفة حتى تحمله الإعجاب بها على أن جلس لرؤيتها في بعض مجالسه المطلة على الرياض بالزهراء ومعه الأمير هشام ابنه، فتولى فَضَّها واعتراضها بين يديه الفتى الكبير فائق صاحب البُرد والطراز، وصاحب الخيل والحشم زِيَاد بن أفلح مولاه.

وفي هذا الوقت نالت مَيسوراً الفتى الكبير الكاتب الصقلبي الجَعْفَري موجدةٌ من الخليفة لأمرٍ قصَّر فيه، فأمر بضمه إلى سجن الزهراء، فبات فيه ليلة، ثم أمر بحمله إلى داره من يومه مسخوطاً عليه قد وكل به الوزير صاحب المدينة بالزهراء مُحمَّد بن أفلح مولاه مُؤنساً الصقلبي، ثم لحقه صفح الخليفة عنه فأطلقه وأعاده إلى خدمته في العشر الأخر من شهر رمضان.

وفي هذا الوقت أُعيد رَائِقُ بن الحَكَم خال الأمير هشام إلى خُطَّة المخزول، وارتفعت الغضاضة[٣] عنه.

وللنصف من شهر رمضان ورد كتاب مُحمَّد بن حَسَن بن قَاسِم صاحب عُدْوَة القرويين من مدينة فاس يذكر راسخَ محبته وصادقَ موالاته ومتمكن رغبته في اعتلاق حبل الخليفة الحكم والركون إلى سلطانه واستجزال رأيه وموالاة من والاه ومعاداة من عاداه، عالماً بما له في ذلك من حسن العاجلة والآجلة. فَجُووب عن كتابه بأنه إذا اعتبر مذهب أمير المؤمنين ووقف على سيرته في سلطانه ازداد اغتباطاً بما صار إليه ودخل فيه، فليتمادَ على بصيرته وواضح طريقته، فإنه نصيح من السابقين الأولين إلى سلطان أمير المؤمنين اللاحقين بشأوِ أوليائه الأولين. وليسبق إلى مواصلة القائد الأعلى غالب مولاه مستظهراً بذلك على مذكور طاعته مؤكداً لوسيلته.

---

(١) المِهَارُ: جمع المُهْر: أو ما يُنْتَج من الخيل والحُمُر الأهلية وغيرها.
(٢) الفلاء والأفلاء: جمع الفِلْو: الجحش أو المهر يُفْطَمُ، أو يبلغ السنة.
(٣) الغَضاضة: الذِّلَّة والمنقصة.

وفي هذا الوقت قدم إلى قُرْطُبَة الرجال الشداد الجلاد[١] الذين أرسل بهم سعادة القائد بِطُلَيْطُلة وانتقاهم في ثغرها من ذوي البأس والرجولة، وكانت عِدّتهم ألفاً وسبعمائة، وكان دخولهم معبئين في الزيّ الجميل والشكل التام، قد لبسوا الأقبية[٢] البيض، وتقلدوا السيوف الإفرنجية، وبأيديهم التراس الملوثة، والرماح المستوية الأسنة، فتقدموا إلى الزهراء وعليهم العرفاء الموكلون. وقعد الوزراء لاعتراضهم وأصحاب الحشم معهم، فكمل اعتراضهم والإنفاق فيهم، وأزعجوا مع النظار عليهم إلى العسكر بالعُدْوَة.

وفي العشر الأخر من شهر رمضان منها انصرف الأمناء من العُدْوَة، صاحب الشرطة الوسطى والمواريث قاضي إشبيلية مُحمَّد بن أبي عَامِر وصاحب الشرطة الصغرى قاضي الثغر الأعلى مُحمَّد بن عليّ بن أبي الحسين، والخازن أحمد بن مُحمَّد الكلبي، فتوصلوا إلى الخليفة الحكم عشيَّ يوم مقدمهم وسألهم عن ما أرسلهم من أخبار العُدْوَة واستقصاهم عن جميع ما هنالك. فأوسعوه علماً وشفوه خبراً، فأحمدَ سعيهم، وسكن إلى صحة أخبارهم، وأثنى عليهم، وأمر يومئذٍ بخطاب الوزير القائد الأعلى غالب بن عبد الرَّحْمٰن ببعثه له أعداداً جَمَّة من ثياب الديباج المخيطة والجبب العبيدية والطرازية ومن السيوف المحلاة، أتى على جميعها الوصف، وأمر بأن يكسوها من سُمي في الكِتَابِ من أعيان وجوه البرابر المنحاشين إلى الطاعة، وهم وارث بن سعادة، ومخلد بن مروة، وحسين بن خيران، ورقان بن عون، وإدريس بن حماد، وضيفان بن خليفة، وحَنون بن عبد اللّٰه. وأمر الوزير غالب بن عبد الرَّحْمٰن أن ينزل كل واحد ممن تضمن هذا الكتاب منزلته ويوفيه حقه.

وفي ليلة الأربعاء لتسع بقين من شهر رمضان منها وذلك في الساعة الثالثة منها طلع في السماء من ناحية القبلة كوكبٌ ضخم الجرم شديد الضوء أخذ إلى جهة الجوف، أضاء منه جميع الأفق وكان في مقياس ضيائه فوق بَرْقِ الخلّب[٣].

ذكر عيد الفطر الكائن في هذه السنة

وافى يوم السبت غرة شوّال منها، وقعد له أمير المؤمنين على السرير في المجلس الموفي على الرياض بقصر الزهراء أفخم قعود وأكمله ترتيباً وأبهاه تزييناً.

(١) الجِلّاد: جمع الجَلْد: القَوِيُّ، الصابر على المكروه.
(٢) الأقبية: جمع القَبَاء: ثوب يُلبس فوق الثياب أو القميص، وَيُتَمَنْطَقُ به.
(٣) الخُلّبُ: السحاب يُومض برقه حتى يُرْجَى مَطَرُه، ثم يُخلف وينقشع، ويقال: بَرْقٌ خُلَّبٌ، والبَرْقُ الخُلَّبُ، وبَرْقُ الخُلَّب.

وأذن للناس فتوصل أولهم الإخوة، وقضوا حق التسليم والتهنئة، وقعد منهم عن ذات اليمين الشقيق أبو الأصبغ عبد العزيز، وتحته أبو المُطرِّف المغيرة الصغير، وقعد عن ذات اليسار أبو القاسم الأصبغ ثم الوزراء، فقعدوا بعد التسليم على مراتبهم بإثر الإخوة، وقعد جَعْفَر بن علي تحتهم. ووقف على جانبي السرير من الفتيان الأكابر عن ذات اليمين صاحب البيازة والصاغة جؤذر الفتى الكبير، وتحته مَرْسَن الفتى الكبير، وعن ذات اليسار صاحب البُرْد والطراز فائق الفتى الكبير. وكان الحاجب عن ذات اليمين الوزير الكاتب صاحب المدينة بِقُرْطُبَة جَعْفَر بن عُثمان، وتحته صاحب الشرطة العليا يحيى بن عبد اللّه بن يحيى بن إدريس، وتحته صاحب الشرطة العليا والحشم قاسم بن مُحمَّد بن طُمْلس، وبعده صاحب الشرطة الوسطى والمواريث قاضي إشبيلية مُحمَّد بن عبد اللّه بن أبي عامر؛ والحجاب عن ذات اليسار صاحب الخيل والحشم زِيَاد بن أفلح، وتحته صاحب الشرطة العليا أحمد بن عِيسَى بن فُطيس، وبعده صاحب الشرطة الوسطى عبد الرَّحْمٰن بن مُحمَّد بن هَاشِم التُّجيبي؛ وحجب بإثرهم بعد فرجة طبقات أهل الخدمة على مراتبهم من أصحاب المخزول والخُزَّان والعرَّاض والكُتَّاب والأمناء على طبقاتهم؛ ورتب معهم يومئذٍ يحيى بن علي الأندلسي قائماً يحجب معهم تشريفاً له. ووقف في هذا المجلس عن ذات اليمين وذات اليسار الخلفاء الأكابر من الفتيان الخصيان على منازلهم، ثم الكُتَّاب منهم، ثم الوصفاء، ثم أصحاب الركاب على مراتبهم إلى آخر المجلس. واتصل منهم في البُرْطُل[1] وساحة السطح العلي سائر الفتيان الخصيان أهل الخدمة على طبقاتهم صَفَّيْن إلى باب المجلس الغربي مجلس الأجراء، وإلى باب الفصيل الأول من السطح العلي أصحاب الخطط وأهل الأسنان من الفتيان وغيرهم، عليهم القلانس الموشية والسيوف الحالية إلى الفصيل المعروف بفصيل مُرهف. وقد انتظم الفتيان الكتَّاب فانتظمت إلى باب المدينة البراني، باب الصورة.

فلما استقرت هذه المراتب بالقوم وانتهت حدود كمالها، أُذن لطبقات قريش الأقرب فالأقرب، فتقدموا للسلام وبين أيديهم الكُتَّاب المرتبون في المجالس الجوفية المرسومة لقعودهم، وصار بينهم أولاد علي بن يحيى الحسني ومن توافى بِقُرْطُبَة من رهائن بني إدريس، فتوصلوا زُمَراً[2]، وقضوا حق تسليمهم، وأقعدوا في البهو، المنتظم بالبهو الذي قعد فيه أمير المؤمنين عن يساره. ثم توصل بإثرهم الموالي، فأقعدوا بعد التسليم في ذلك المجلس أيضاً، ثم توصل بعدهم الحكام وقضاة الكوَر

---

(١) البرطل: المظلة الصَّيْفِيَّة.

(٢) الزُّمَرُ: الجماعات.

وأهل الشورى وطبقات العلماء والعدول وبياض أهل قُرْطُبَة، ثم قبائل البربر والنزّاع من أهل العُدْوة ووفود الأمصار، ثم طبقات الجند على مراتبهم من الأحرار والعبيد والخمسيين إلى الطنجيين. فكان يوماً حافل الجمع رفيع القدر جداً. وكانت الخطباء والشعراء طول مدة القعود ترتجل القول وتنشد الشعر وتَسْحَنْفِر[1] في الوصف، فكان ممن قام بين يديه في المحفل يومئذٍ من الشعراء منشداً شعره في مديحهم شيخهم طَاهِر بن عليّ البغدادي المعروف بالمهند فقال فيه: [من المنسرح]

بادرْ إلى مَسْلَكٍ خُلِقْتَ له ... فَخُذْ بحظِّ اللّبيبِ مِنْ قِسَمِهْ[2]

وَكَفِّرِ الزُّورَ بالحقيقةِ في ... وَصْفِ إمامِ الهُدى وفي كَرَمِهْ[3]

وَحبِّر القولَ في عُلاه وَصُغْ ... جَواهرَ القول حَشْوَ مُنْتَظِمِهْ[4]

وَهلْ لهذا العَرُوضِ مِنْ أحدٍ ... يصدقُ في مَدْحِهِ سِوَى حَكَمِهْ

مَن جَعَلَ اللّه خَلْقهُ كَرماً ... عِيَاله والملوكَ مِنْ خَدمِهْ

فَفَضْلُهُ في البلادِ مِنْ نِعَمِه ... وَصَولُهُ في البلاد مِنْ نِقَمِهْ[5]

ألبسه اللّه ثوبَ مقدرةٍ ... أدخلَ منها الأعداءَ في سَلمِهْ[6]

وَزادَهُ هَيْبةً مُمَثَّلةً ... في كلِّ قلبٍ تجولُ في وَهمِهْ

فَكُلُّ مَنْ غابَ عنه حَاضِره ... في خوفه أو نَدَاه أو هِمَمِهْ

بَحْرٌ نداهُ مِيَاهُ لُجتهِ ... وَدُرُّهُ ما يبثُّ مِنْ كَلِمِهْ[7]

إنْ جادَ عَمّ الأنامَ نفحتُهُ ... أو قالَ نَصَّ العلومَ في حِكَمِهْ[8]

لَوْ كان في البحرِ مِنْ خلائقهِ ... طَيَّبَهُ بالعِذَابِ مِنْ شِيَمِهْ[9]

أو كان مُزناً فلم يَضِرْ بلداً ... أظلّه في دَوامِ مُنْسجِمِهْ[10]

---

(١) اسْحَنْفَرَ الرجل في منطقه: مضى فيه ولم يَتَمكَّث.

(٢) اللبيب: العاقل. القِسَمُ: جمع القِسْمَة: النصيب.

(٣) كَفَّرَ الشيءَ: غطّاه وستره. الزُّورُ: الباطل.

(٤) حَبَّرَ القَوْلَ: زَيَّنَهُ ونَمَّقه.

(٥) الصَّوْلُ: القهر والسطوة. النِّقَمُ: جمع النَّقْمة: العقوبة.

(٦) السَّلَمُ: الاستسلام، أو التسليم، أو الأسر من غير حَرْبٍ.

(٧) نَدَاهُ: عَطاؤه.

(٨) جاد: أعطى وتكرّم. نَصَّ الحديث: رفعه وأسنده إلى المُحدَّثِ عنه، ونصَّ على الشيء: حَدَّده وعَيَّنه، ونصَّ الشيءَ: رفعه وأظهره.

(٩) الشِّيَمُ: الطِّباع، الخِصَال.

(١٠) المُزْنُ: السَّحاب يحمل الماء، الواحدة: مُزْنَة.

صَامَ فَصامَتْ صُبحاً جَوارِحُهُ وَقامَ في لَيْلِهِ عَلى قَدَمِهْ
[يا] مَنْ تَلا للكتابِ مُعتبراً مُغْتَنِماً مِنْ يَقينِ مُغْتَنَمِهْ
يَا خيرَ مَنْ يَحملِ السَّريرُ وَمَنْ يَراهُ ربُّ الأنامِ مِنْ نَسَمِهِ[1]
تَبسَّمَ العيدُ بالطلاقة وَالبِشْـ ـرِ فأصبحتَ حُسْنَ مُبْتَسِمِهْ[2]
وَجاء بالأنعمِ العظامِ على الخلْـ ـقِ فَكُنتَ الجليلَ مِنْ نِعَمِهْ
وقبَّلَ الناسُ مِنْ أناملكَ الخمْـ ـسِ سحاباً يَعمّ مِنْ دِيَمِهْ[3]
وقابلوا مِنْ بَهاء وَجْهِكَ ما بَرَّحَ مِنْ وُدِّهم بِمُكْتَتمِهْ
فَزادكَ اللَّه في الورَى سبباً تنفذ في عُربِهِ وفي عَجمهِ
فَأنتَ مَنْ لَيسَ مِثْلُه أحدٌ في مُحْدَثِ الدهرِ لا ولا قِدَمِهْ

وتلاه مُحمَّد بن شُخَيْص الشاعر منشداً قائماً فقال: [من الطويل]

طَلعْتَ إلى الدنيا بِسَعْدِ مُقابلِ فَأنسأَكَ الإقبالُ عاماً بِقَابلِ[4]
أبى يَوْمُكَ الجاري بإقبالِ ناقصٍ على الخلقِ أَنْ يَجْري بِنُقْصَانِ كاملِ
وَمِنْ حسدِ الساعاتِ في سَبقِ بعضها إلى وَجْهِكَ اصفرَّتْ وُجوهُ الأصائلِ
أرَتنا بِكَ الزهراءُ يَوْمَ استِلامنا مِنَ الراحةِ العُليا أديمَ الأناملِ[5]
أتينا فَقبَّلنا النَّدى وَلو اَننا أقمنا أتانا في ظِلَالِ المنازلِ[6]
يَمينٌ وَقى اللَّهُ الجميعَ بِيُمْنِهَا من الخوفِ ما يُخْوي بُطونَ الحواملِ[7]
سقى اللَّه مَغْنَى بُقعةٍ ضمَّ شَمْلَنا ذُرَاها إلى واقٍ من الأمرِ شاملِ[8]
[و] باتَ أميرُ المؤمنين ونجلهُ بأسعدِ مَنْجُولٍ وأكرمِ ناجلِ[9]
وعهدُ وليِّ العهدِ رِفْدٌ لطالبِ وَأمنٌ لمذعورٍ وَعزٌّ لِخاملِ[10]

---

(١) بَرَاهُ: خلقه. النَّسَمُ: الروح.
(٢) الطلاقة: البشاشة، تَهلُّل الوجه، والبِشْرُ: طلاقة الوجه.
(٣) الديم: جمعُ الديمة: المطر يدوم في سكون.
(٤) أنْسَأكَ: أخَّرَك.
(٥) الأديم: الجِلْد.
(٦) النَّدى: الجود والكرم.
(٧) اليُمن: البركة. يُخوي: يُخلي، يُفرغ، والمراد: إسقاط الحمل من الخوف.
(٨) المَغْنَى: المكان الذي يغنى به أهله. ضَمَّ شملنا: جَمَعَنا.
(٩) منجول: مولود. ناجل: والد.
(١٠) الرِّفْدُ: المعونة والمساعدة. الخامل: المغمور، الذي لا يعرفه الناس.

وَكَمْ تُمطلُ الأيامُ بالعِدَةِ التي غدا آجلٌ منها شبيهاً بعاجلِ[١]
أثارت ببشرى عهده طير سَعْدِهِ رواية آثارٍ وصدقُ مخايلِ[٢]
دَلائل يُحصى قَبْلَ إحْصَائها الحصى وَلكِنْ أجي مِنها بخمسِ دلائلِ:
زكانةِ سمتٍ واتقادِ قريحةٍ وحليةِ آدابٍ وحُسنِ شمائلِ[٣]
وعرفَةِ نفسٍ يشهدُ الملكُ أنّها له خُلِقتْ من قبل مَقتلِ هابلِ[٤]
هلالٌ تناهى في النُّهَى وبروجه هوادج مَهْدٍ أو حجورُ عقائلِ[٥]
شفيعُ الموالي بلْ شفيعُ جميعنا إلى بَذْل مولانا لِعَفْوٍ ونَائِلِ[٦]
لقدْ قابلتْ باليُمن والأمنِ والمُنَى طوالع لَقْتْهُ أكفُّ القَوابلِ[٧]
فلا فَتِئَتْ مروانُ تجري مُلوكها مَجَاري الدَّراري طالعاً إثْرَ آفلِ[٨]
همُ أُسوةُ الأمجادِ، لولا سماحُهم لما اهتزَّ مأمولٌ لإسعافِ آملِ[٩]
هُمُ كَسَروا حَدَّ المُلوكِ وَقلَّما يُفلُّ الحصَى إلا بِصُمِّ الجنادلِ[١٠]
شُغِلْتَ من الدنيا بتأمين سُبْلِها فلا فارقَ المشغولَ حَفْزُ الشَّواغلِ
كأنْ لَسْتَ للإسلامِ أصونَ صائنٍ إذا لم تَكُنْ للنفسِ أبذلَ باذلِ
يَرى الباقياتِ الصالحاتِ نَوافلاً إذا لم يُكثّر بَيْنَها بالنوافلِ[١١]
وَلم يُوهِ شهرُ الصومِ من جِسْمِك القُوَى لما اعتدتَ من إدمانِ صَوْمِ المواصلِ[١٢]

(١) تُمطل: تُؤَخَّر. العِدَةُ: يقال: وعده الأمر، وبه، وَعْداً، وعِدَةً، ومَوْعداً: مَنَّاهُ به.
(٢) المخايل: جمع المخيلة: الظَّنُّ، أو السحابة التي تخالها ماطرة لرعدها وبرقها.
(٣) الزكانة: الفِراسة، أو أن يَظُنَّ المَرْءُ فَيُصيب. السَّمْتُ: السكينة والوقار، أو الهيئة.
(٤) هابل: ابن آدم عليه السلام، الذي قتله أَخوه، وهي أول عملية قتل بين البشر.
(٥) الهوادج: جمع الهودج: أداة ذات قبة، تُوضع على ظهر الجمل، لِتَرْكَبَ فيها النساء. الحُجور: الغُرَفُ. العقائل: جمع العقيلة: السَّيدة المُخدَّرة، أو الزوجة الكريمة.
(٦) النائل: العطاء.
(٧) القوابل: جمع القابلة: الداية: المرأة التي تُساعد النساء على الولادة.
(٨) الدَّراري: الكواكب المتلألئة. الآفل: الغائب.
(٩) الأُسْوَةُ: القُدْوَةُ. الأمجاد: الأشراف. السَّماح: التسامح والتساهل، أو الجود والكرم. الإسعاف: المساعدة والمعونة.
(١٠) يُفَلُّ: يُكْسَرُ. الجنادل: الصخور الضخمة.
(١١) الباقيات الصالحات: أعمال الخير، التي تبقى ذخراً للإنسان يوم الحساب. النوافل: جمع النافلة: ما زاد على الفَرْضِ من الأعمال والطاعات.
(١٢) أَوْهَى الجَسَدَ: أضعفه. أدمن الأمر، وعليه: واظب.

سَرَتْ في نواحي الأرضِ أفعالُك التي غدا فاعِلُ الحُسْنَى بها غَيْرَ فاعلِ
مَحَلُّكَ في حَيَّيْ قُرَيْشٍ كِلَيْهما مَحلُّ قريشٍ في جميع القبائلِ

وفي صدر شوال المؤرخ أرسل الخليفة الحكم ثقته مُحمَّد بن عبد اللَّه بن أبي عامر إلى العُدوة بأحمال مالٍ وحلْيٍ وخِلعٍ، لفضِّها على النُّزّاع والمستمالين من أكابر البرابر إلى الطاعة، ولامتحان ما أمره به بالجهةِ، وولَّاه في هذا الوقت قضاء القضاة بالعدوة مجموعاً إلى ما يتقلده من خطتي الشرطة الوسطى والعليا، والمواريث، وقضاء كورة إشبيلية، فارتفع قدره في الدولة وبلا منه السلطان نصيحة وكفاية مكنتا لديه الحظوة.

وفي يوم الأربعاء لأربعٍ بقينَ من شوال أرسل الخليفة المستنصر باللَّه إلى مُحمَّد بن أبي عامر وهو بطَنَّجَة مالاً واسعاً لينفقه بِطَنْجَة وأَصِيلا، وكتب إليه في فصل من الرسالة النافذة إليه: «وما يشكُّ أمير المؤمنين في مناصحتك واجتهادك، وشكرك للنعمة بك والمشتملة عليك، واللَّه المستعان».

وفي يوم السبت للنصف من شهر شوّال منها قعد الخليفة بقصر الزهراء قعوداً فخماً حجبه فيه الحجاب وشهده الوزراء، فأوصل إلى نفسه بني خزر المقيمين ببابه منذ أتوا مع جَعْفَر بن عليّ، فبسطهم واعترف لهم بقديم سلفهم واقتفارهم الأثر في صحيح ولايتهم، وأمرهم بالتهيؤ للحاق بعسكرهم عند القائد الوزير الأعلى غالب بن عبد الرَّحْمٰن، للاجتماع على حرب الملحد المخذول ابن قنّون، وذكر لهم أنّ بني عمّهم ومن لفّ لفّهم بالعُدْوة استجابوا لدعوته ونفروا في سبيله، فعسكر وزيره وقائده غالب مولاه واشتد في حربه، وأمرهم بمجامعتهم على رأيهم ومؤازرتهم في صَدَرهم، وتصديهم لقضاء حق النعمة عليهم. فاعترفوا بذلك وهشّوا للنفوذ فيما أهيب بهم إليه؛ وكان الذين حضروا هذا المجلس منهم زعماؤهم وهم عَبْدُوس بن الخير، ومُقاتل بن عَطِيّة، ومَسْعُود بن أبي الغمر، وعبد اللَّه بن أبي دواس، وسرغين، وحمليل، ونظراؤهم. فدفعت إليهم الصلات، وأصلحوا من شأنهم، ومضوا لسبيلهم يوم السبت لثمانٍ بقين منه فلحقوا بالعسكر.

وفي يوم الخميس لعشرٍ خلون من شوّال ورد كتاب الوزير القائد الأعلى غالب بن عبد الرَّحْمٰن يذكر استصرافه عن قبيلتي منوسة وعثمان وكثير من أطانة إليه، وزوال الخبيث حسن بن قنون من بين يديه، واتباعه له، وأنه لما قفا أثره ألفاه قد ضبط جبل مَهْران بابنه وابن عمه، وضبط جبل الكرم بنفسه، راجياً أن يمنع الجيش الانبساط في الوادي الذي بين جبل الكرم وجبل مهران وهو نهر المصارة. ولم يكن للجيش بُدٌّ من النزول عليه لمنعه الماء، وأنه لما قصد نحوه ألفى شرذمته[1] المتألفين

(١) الشرذمة: الجماعة القليلة من الناس.

لديه والمرتهنين عنده بأبنائهم وأهلهم وأموالهم قد تداعوا إليه من كل ناحية، وحاولوا منعه الماء للياذهم[١] من الأوعار[٢]، فحال اللّه بينهم وبين ذلك فأخذهم بمكرهم. وأنه عند ذلك نظر في حط الأثقال وإقامة المحلة بحيث انتهى، وقدم عدة من الفرسان لمقاتلة الخيل التي ظهرت في السهل. فلما اطمأنت المحلة وتأهب الرجال للقتال نهض الوزير القائد الأعلى غالب، وأمر بشد الحرب، فاستمرت بالفريقين، وطال أمرها، وصابر الفسقة ساعة إلى أن عضّتهم السلاح وفشا فيهم القتل فولّوا مدبرين، واستلحم[٣] كثير من أبطالهم وحُماتهم ولاذ فلُّهم[٤] بجبل الكرم، واقتحم عليهم استناده، فغنموا ما كان فيه من ماشية الفسقة وأنعامهم، واحتجروا بقية القبل[٥]. وقد حال الليل دون اتباعهم، فَصَدَرَ الوزير القائد غالب والجند معه عن معركتهم سالمين ظاهرين، واخْتزُّوا[٦] كثيراً من رؤوس حماتهم إلى ما حازوه من سَوَامهم. وكانت هذه الوقيعة عشيَّ يوم الجمعة لأربع عشرة خلت لشوّال. فَجُووِب القائد غالب عن كتابه بهذا الفتح: يحمد مقامه ويشكر فعله وَيُستَتَب صبره وجدّه ويعرَّفُ أن أمير المؤمنين جادٌ في حرب الفاسق حسن ومحاكمته إلى اللّه ما امتدت به حياة حتى يحكم اللّه بينهما بعدله. وقد أمر بإخراج الإخوة التجيبيين يُوسف وهَاشِم وهُذَيْل بني مُحمَّد بن هَاشِم وإخوة العاصي بن حكم بني عمهم وحميد بن قياطن وعدة من ثقات أصحابه ومائة غلام من الرماة المماليك وطائفة من فرسان الرياضة إليه، وأنّ بني خزر اللاحقين بباب سدَّة أمير المؤمنين لاحقون به إثر كتاب أمير المؤمنين إذ رغبوا الكون معه، والتصرف بين يديه إلى أن يلحق بهم بنو عمهم إذ صاروا اليوم في بادية فاس على ما ذكره رسول عبد الكريم صاحب عُدوة الأندلسيين منها. وأُمر عند احتلالهم بحفظهم وتكريمهم وتلقيهم أحسن التلقي لشرفهم وقديم طاعتهم وتأميلهم. فخرج بنو خزَر هؤلاء نحو العُدْوَة للحاق بالعسكر يوم السبت لثمانٍ بقين من شوّال.

وفي يوم السبت المؤرخ ورد كتاب الوزير القائد الأعلى غالب بن عبد الرَّحْمٰن يذكر أنه دار بينه وبين الملحد حَسَن بن قَنّون قتال عظيم كان له فيه الظهور عليه فقتل فيه من حماته عدداً كثيراً، ومن أهله خاصة عشرين رجلاً، فجُووِب بإحماد سعيه وسدّ بصيرته، وأرسل إليه مع هذا الجواب أعداداً مذكورة من الكسى الفاخرة والسيوف

(١) اللِّياذُ: يقال: لاذ بالشيء لَوْذاً، وَلِياذاً: لجأ إليه واستتر به وتحصّن.
(٢) الأوعار: جمع الوعر: المكان الصلب، أو المكان المُخيف.
(٣) استلحم الأبطال: اشتبكوا واختلطوا وتضاربوا عن قُرْبٍ.
(٤) الفَلُّ: الجماعة المنهزمون.
(٥) كذا في الأصل. ولعل الصواب: «واحتجزوا بقية الثَّقَل».
(٦) اخْتَزُّوا الرؤوس: قطعوها.

الحالية ليجعلها على من يغني في الحرب ومن يلحق من وجوه المستأمنة، فكانت عِدّةَ جُببِ الديباج المرسلة من المضلعة المُلوَّنة خمسة وثلاثون مِطْرَفاً(١)، ومن العمائم اللاسيَّة الملوثة سبعون عمامة(٢).

وفي يوم الإثنين لليلتين خلتا من شهر ذي القعدة منها ورد كتاب الوزير القائد الأعلى غالب بن عبد الرَّحْمٰن من محلته بالمصارة يذكر فيه استبصار الملحد حسن في الحرب على ضعف أركانه وبيان الظهور عليه واحتفاله في جمع محاشه(٣)، وتكثير حشده ونُجْحه(٤) الآن بإقبال العاقّ المشاقّ ناقض العهد مُحمَّد بن أحمد بن عِيسَى ابن عمّه صاحب البصرة إليه، وسُمُوّه للحرب إثر ذلك، وأنه أخرج خيلاً كثيفة نحوه يوم الثلاثاء لعشرٍ بقين من شوّال متعرضاً للحرب، ابتدرها أحداث من الحشم ناشبوهم القتال، فتتابع الناس إليهم وحمي الوطيس(٥) بينهم، فأحسن القائد غالب تثقيف محقبات العسكر وتسريب الرجال إلى مأقِطِ(٦) النزول، فاتصل العراك وقتاً، وكانت الدائرة بالفاسق ورجاله، وأصيب من الجند من كتب اللّه له الشهادة باستبصاره في تأوُّله، فالحرب سجال والعاقبة للمتقين بوعد اللّه الذي لا إخلافَ له، فمحامدُ صُنعهِ تعالى في الفاسق لائحة ظاهرة. ونالت في هذه الوقعة مُحمَّد بن فرتون جراحةٌ توفي منها يوم السبت لليلة بقيت من شوّال، تجاوز اللّه عنه.

وفي يوم الإثنين المؤرخ جُووِبَ عبد الكريم بن يحيى صاحب عُدْوَة الأندلسيين من فاس عن كتابه الذي خاطب به يذكر صحة معتقده في الطاعة واعتدال طريقه في الولاية فكان في فصلٍ من الكتاب: «وقد قبل أمير المؤمنين معاذيرك وأصغى إليها، فإن يُردِ اللّه عزّ وجلّ بك خيراً في عاجلتك وآجلتك يشرح صدرك لطاعة أمير المؤمنين وموالاته، وَيُيَسِّرْكَ لما يلبسك رضاه ويقربك منه فإنه جامعٌ في ذلك أحوالاً تحمد مواردها ومصادرها، وإحياء ما أماتته الأيام منها وتجديد ما أخلقه المنحرفون عنها، ورفع بأس الجور الذي قد أظل أهله وغشيهم وشملهم وأطبق عليهم وأوقعهم تحت الذلّ والصغار(٧)، والتغرير بحرمهم ونعمهم واستهلاكها وانتهاكها من بين

---

(١) المِطْرَفُ: رِدَاء أو ثوب من خَزٍّ مُربَّع له أعلام.
(٢) الملوثة: الملفوفة، من لاث العمامة: لَفَّها.
(٣) المَحَاشُ: أثاث البيت.
(٤) النُّجْحُ: النجاح والظَّفَر.
(٥) الوطيس: المعركة، وحمي الوطيس: جَدَّت الحرب واشتدت.
(٦) المأقط: المكان الضَّيِّق في المعركة.
(٧) الصَّغَارُ: الذُّلُّ والهوان.

أيديهم ومن خلفهم. وأن تكون زكواتهم التي أوجبها اللَّه عليهم مصروفة إلى الأصناف التي وضعها اللَّه فيهم، فإن فقد صنف منها صرف إلى مصالحهم لا يستكثر بشيء من ذلك في مال الفيء، فإن اللَّه عزّ وجلّ قد وسع فيه عليه وبسط يده في وجوهه وسبله التي يذبُّ اللَّه بها عن بيضة المسلمين، ويحمي حوزتهم ويدرأ(١) عنهم عدوهم ويملأ من مغانمهم أيديهم، حتى أخضع اللَّه تبارك وتعالى بفضله لهم رقابهم وأسكنهم قواعدهم وكثَّر في عيونهم عددهم بروابط الخيل التي ارتبطها أمير المؤمنين في دروبهم وعلى أيديهم وجيوشه المصروفة إليهم؛ إذ ليس اليوم في جميع الأندلس من مشارقها إلى مغاربها باسطٌ يداً رافعٌ رأساً إلا تحت الرغبة والرهبة من اللَّه تعالى عليه وعليهم، فله الحمد كثيراً كما هو أهله، إلى أن قام حَسَن بن قاسِم الظالم لنفسه الحاطب على ظهره فاتح باب الفتنة بخسارهِ، الكاسر أقفُلها باختياره، والمستوقد لنارها لحين، أطفأها تعالى وأخمدها، لغير ضرورة حافزة له من تلقاء أمير المؤمنين، ولا مكروه ناله بل قابل الحسنة بالسيئة، وكافأ الصلة بالقطيعة» في كلام كثير انقطعت عليه الرسالة.

ذكر إرسال الوزير يَحْيَى بن هَاشِم التُّجيبي الثَّغْري إلى العُدْوَة مدداً لِغَالِب بن عَبْد الرَّحْمٰن

وفي يوم الخميس لخمسٍ خلون من ذي القعدة منها أحضر الخليفة الوزير يَحْيَى بن مُحَمَّد بن هَاشِم التُّجيبي الثَّغري المنتشل من النكبة، فتوصل إليه في جملة الوزراء أصحابه، وكلّمه بما رآه من إنفاذه إلى العُدْوَة قائداً لمن يضمه إليه، ومُمِدًّا للوزير القائد الأعلى غالب بن عَبْد الرَّحْمٰن، وجامعاً لليد معه على الملحد حَسَن بن قَنُون؛ وأمره بالتأهب لذلك عاجلاً، وحدَّ له ما يحتمل عليه في وجهه الذي أهاب به إليه، وخرج بخروج أصحابه إلى مجلس النظر بدار الجند البرانية، فخرج إليه على إثر ذلك دُرِّيّ الأصغر الفتى الكبير الخازن بموضع قعوده معهم بصلة من أمير المؤمنين، بدرة ضخمة ومنديل واسع مشدود [على] خلع نفيسةٍ عاليها سيف ضروبٌ محلّى بحلية فاخرة، أعلن بها الشكر وانبعث في ما أهيب به إليه من الحركة.

فلما كان يوم السبت لسبع خلون منه قعد أمير المؤمنين في محفل من الفتيان والخلفاء والوزراء وأهل الخدمة فأوصل إلى نفسه إخوة الوزير القائد يحيى المُبتَعَث في هذا الوجه: يُوسف ومُحمَّداً وهاشماً وهذيلاً بني مُحمَّد بن هَاشِم، وإخوة الوزير

---

(١) يَدْرَأُ: يَدْفَعُ، يقال: دَرَأَ الشيءَ، وبه، درءاً، ودرأةً: دفعه.

المُتوفَّى العاصي بن الحكم التُّجيبي وأولاده بني عمهم فبسطهم بالقول الجميل، ووعدهم بالإحسان الجزيل، وأمرهم بالخروج مع زعيمهم الوزير القائد يَحْيَى بن مُحمَّد والانضمام إليه والتدبر بأمره، فأجابوا وأثنوا وشكروا، وخرجوا، فأُخْرِجَت إليهم صلاتٌ سَنِيَّة وخلعٌ رفيعة، ورُدّوا بأسيافٍ حالية زادتهم إلى تتميم الرضى عنهم غبطة.

وتوصل أيضاً في هذا النهار إلى الخليفة رشيق المعروف بالبرغواتي مولاه، وإسماعيل بن عبد الرَّحْمٰن بن الشيخ، وعبد الرَّحْمٰن بن يُوسُف بن أرمطيل المعتوب عليهم في مفارقة عسكر العُدْوَة، فصفح عنهم وأصلح من حالهم وأمرهم بالانصراف إلى العُدْوَة.

فلما كان يوم الإثنين لسبع خلون منه خرج الوزير القائد يَحْيَى بن مُحمَّد بن هَاشِم من قُرْطُبَة نافذاً إلى العُدوة خروجاً ظاهراً، بين يديه التعبئة الكاملة والترتيب المنظوم، وخرج بخروجه إخوته المتقدمة تسميتهم وبنو عَمِّه التُّجيبيون في عسكرٍ ضخم ممن ضم إليه من طبقات الأجناد وفيهم قطع من العبيد الرماة ومن الرماة الأحْرار وغيرهم من جند المملكة، راقَ إبصارهم النظارة، فاحتل يومه ذلك على نهر شوش. وخرج بخروجه الخازن أحمد بن مُحمَّد بن حَاجب وبين يديه ستة عشر حِمْلاً من المال العين[1]، وعدة أحمال من الكسى الفخمة والسيوف الحالية المرسلة إلى الوزير القائد غَالِب بن عبد الرَّحْمٰن لفضّها[2] فيمن يستأمن إليه من أكابر البرابرة. ووافى كتاب الوزير القائد يَحْيَى بن مُحمَّد بن هَاشِم باحتلاله من الجزيرة الخضراء يوم الأربعاء لإحدى عشرة خلت منه؛ ثم وافى كتابه يوم الأربعاء لخمس بقين منه بعبوره البحر بجميع من معه سالمين مسهلاً عليهم واحتلاله بمدينة طَنْجَة، واحتلاله بالعسكر لدن القائد الأعلى غَالِب بن عبد الرَّحْمٰن يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة بقيت منه، وضمن الكتاب النافذ من الخليفة إلى الوزير القائد الأعلى غَالِب مولاه بإنفاذ الوزير القائد يَحْيَى بن مُحمَّد بن هَاشِم التُّجيبي إليه فضلاً في إظهار أثرتِه[3] وتشريفه ورفع منزلته، نصه: «وأن العهد عند الوزير القائد يَحْيَى بن مُحمَّد مقرر بالخفوف إليك[4] والبدار نحوك، متى ورد كتابك في ليل أو نهار، وأن يتصرف كيف رأيت تصريفه فهو مدد لك وعون على محاولتك، فانظر في جميع ما بين يديك ومن يحويه عسكرك نَظَرَ مَنْ أفرده أمير المؤمنين ببعثه وقلَّده ما بين يديه».

---

(١) المال العين: ما ضُرِبَ نقداً من الدنانير، يُقال: اشتريت بالعَيْنِ لا بالدَّيْن.

(٢) فَضَّها: فَرَّقَها.

(٣) الأثرة: المنزلة، يقال: لفلان عندي أثرة: أي منزلة.

(٤) خَفَّ إليه خفوفاً: أسرع.

وفي سلخ ذي القعدة جلس أمير المؤمنين مجلس خاصته مع الوزراء وتوصل إليه يَحْيَى بن عليّ الأندلسي المستأمن، فأمره بالتأهب للخروج إلى الوزير القائد الأعلى غَالِب مولاه في رجاله القادمين معه وحاشيته وعسكر من الجند أمر بتجريدهم معه، فاهتش لذلك وأبدى السرور به، وأنفذ الخليفة إليه من المال والخلع ما ملأ عينه، وشرع في اعتراض الجند المضمومين إليه والنفقة عليهم.

وورد في هذا الوقت كتاب الوزير القائد الأعلى غَالِب بن عبد الرَّحْمٰن من محلته بالمصارة يذكر حلول بني إدريس الحسنيين أقارب المُلْحِد حَسَن به مقتربين منه منحازين إلى الطاعة، واضطرابهم في محلته مُعْصَوْصِبين[1] بشيخهم أحمد بن عِيسَى وأخيه إبراهيم في بنيهم وعبيدهم ومن لفّ لفهم؛ وذكر أيضاً وصول بني خزر إليه وحلولهم بطواعِيَتِهِمْ وفي أهبتهم[2] واحتفال الخلق لديه، وخوفه من جموح السعر باكتمالهم وكثرة كراعهم[3] عنده. فَجُووِب على ذلك [بكتاب] طويل متناسق الفصول، كان الفصل منها في ذكر ما تشكّاهُ من تعذُّرِ الأقوات لديه ونزع[4] سعرها: «وقد كفاك اللّٰه الاشتغال بالتفكير في مال أو طعام، فموادها موصولة بك متلاحقة لديك، حتى يفتح اللّٰه في الظالم القاطع بعدله ولو أتى ذلك على بيوت الأموال المترعة[5] وأهراء الأندلس المغتصّة، فلو لم يبق منها غير ما في الأهراء الخاصة بِقُرْطُبَة لاحتمل إليك جميع ما فيها، كما أنه لو تقاصرت يدك والتوى عزمك وَانتكأت[6] الأحوال بك ـ ولن يفعل اللّٰه ذلك ـ لاستسهل أمير المؤمنين التحرك إلى الجزيرة واتخاذها وطناً ومستقراً وَلأجاز لمجاهدة هذا الفاسق كلَّ جنديٍّ في ديوانه مع كل متصرف في مملكته غضباً للّٰه ـ تعالى جدُّه ـ وإنكاراً لما ركبه الملحد من انتهاك محارمه واستهلاك نعمه. فأقبل على ما بين يديك إقبالَ من لا يناجي نفسه بانصراف أو انحراف إلا بعد الظهور على عَدُوّك بحول اللّٰه وقوته أو اضطراره إلى الجنوح[7] والرجوع عن غَيِّه والإنابة[8] إلى رشده باللحاق بباب سُدَّة أمير المؤمنين؛ فهذه أقل الأحوال المرتضى بها منه أو نفيه عن أرضه وإخراجه عن جميع ذلك البلد، بعون اللّٰه

(١) اعْصَوْصَبَ القوم: تَجمَّعوا وصاروا عصبة واحدة.
(٢) الأُهْبَةُ: العُدَّة، وتأهَّب له: اسْتَعدَّ.
(٣) الكراع (من الغنم والبقر): المُسْتَدِقُّ السّاق العاري من اللحم.
(٤) نُزوع سعرها: ارتفاعه، أو تَغيّره واضطرابه.
(٥) المُترعة: الممتلئة.
(٦) انتكأ الحَقَّ: قبضه، وانْتَكَأَ العَدُوُّ: جُرِحَ أو قُتِلَ.
(٧) الجُنُوح: المَيْلُ، الانعطاف.
(٨) الإنابة: العودة، الرجوع.

عليه وقوته. وإذا تصفحت مكانك من العبودية ومحلك من النصيحة والخدمة ومكانك من الخصوصية والنعمة والنصاب[١] الذي نصبت فيه والمحلَّ الذي أُحللته والاسم الذي حملت عند عدو الإسلام من فرق الشرك في الحنكة والتجربة ومقارعة الحروب ومساجلة الخطوب والوقوع تحت وقائعها المثخنة[٢] والمنازلة لأقرانها المتألبة حتى طالت يدك على من طاولك وقرعت قناتك من قارعك، أبت لك هذه الأحوال المتظاهرة والحقوق المتوافرة من الرضى بغير ما يرضاه أمير المؤمنين منك أو الانقياد لما لا يستقيدُ لك حُسن رأيه أو الانصراف إلا على ما لم تزل منصرفاً عليه من الظهور والعلاء بفضل الله تعالى المرجو لك والموثوق به في كفايتك ورعايتك، فاستقبل نظرك استقبال من استشعر مذهب أمير المؤمنين ووطّن فيه على أنه لا مرجع له عنه إلا بما يجب أو يموت فيعذر».

وأدرج لغالب في هذا الكتاب الذي جُووِب به قنداقاً[٣] بتفسير الصلاة والكُسَى والسلاح التي أنفذها الخليفة الحكم إليه مع الخازن أحمد بن محمد بن حاجب إلى المسمَّينَ فيه من أكابر المستأمنين إليه من أعالي رجال الحسنيين وغيرهم من وجوه البرابرة على تفصيلٍ مُقْسِطٍ لكل رجل منهم، فكان منها:

صلة أحمد بن عيسى شيخ بني مُحمَّد المعروف بِحَنون: سبعة آلاف دينار من الصحاح، وسيف عربي بحلية ذهب كاملة غمده سفن؛ ومن الكسوة ثماني شقاق عبيدية ملونة ومبطنان عبيديان أحدهما سمائي والآخر ببغائي اللون بأعلام وكتب، وثلاث عمائم خزّ إحداهما سمائية والثانية حمراء والثالثة خضراء، وفرس أشهب إلى الحمرة نتاجيّ بسرج ولجام محليين من مراكب الخلافة.

صلة إبراهيم بن عيسى أخيه: خمسة آلاف دينار من الصحاح، وسيف عَربي بحلية ذهب كاملة غمده سفن؛ ومن الكسوة مبطنان عبيديان عدسي وروسيّ بأعلام وكتب، وثماني شقاق عبيدية مختلفة الألوان، وثلاث عمائم خزّ تفاحية وخضراء مسنية وفيروزية كلها بأعلام وكتب، وفرس كُميْت مُجنَّب[٤] بسرج حلي ولجام حلي من مراكب الخلافة أيضاً.

صلة حَسَن بن أحمد بن عِيسَى: ألف دينار وسيف عربي حليته فضة مذهبة؛

---

(١) النِّصَابُ: الأصل والمرجع، ومن المال: القدر الذي تجب معه الزكاة.
(٢) المُثخنة: من أَثْخَنَ في الأمر: بالغ فيه، يقال: أثخن في العدو، وأثخن في الأرض.
(٣) القنداق: الدرج أو الطومار.
(٤) الكُميت من الخيل: ما كان لونه بين الأسود والأحمر. وفرس مُجنَّبٌ: بعيدُ ما بين الرجلين من غير فَحَجٍ، وهو مَدْحٌ له.

ومن الكسوة مبطن عبيدي أَحمر وأربع شقاق عبيدية مختلفة الألوان وعمامتا خزٍّ سمائية وحمراء وفرس أشهب أرقط عدوي من جنس الابتياع وسرج ولجام معرقان من القروية.

صلة عليّ بن أحمد بن عليّ: خمسمائة دينار وسيف عربي حليتُه فضة مذهبة، ومبطن عبيدي ياقوتي وشقة عبيدية وشقتان طرازيتان وعمامتا خزٍّ وفرس كُمَيْت بهيم نتاجي، وسرج ولجام من فضة أبيضان.

صلة إبراهيم بن الحويطي: خمسمائة دينار وسيف عربي حليتهُ فضة مذهبة مزيّنة ومبطن عبيدي أخضر وشقة عبيدية سماوية وشقتان طرازيتان وفرس أشقر أغرُّ مجنب أرقط ينسب إلى ابن أبي عامر بسرج ولجام أبيضين.

صلة خزر بن لقمان: خمسمائة دينار وسيف عربي حليته فضة مذهبة مزينة بنيل ومبطن عبيدي أخضر وشقة عبيدية سماوية وشقتان طرازيتان وعمامتا خَزٍّ وفرس أشهب مقلس نتاجيّ بسرج ولجام مُحلّيين بفضة.

صلة أيوب بن أبي الحسين: خمسمائة دينار وسيف عربي حليته فضة مذهبة مزينة بنيل ومبطن عبيدي سفرجلي وشقة عبيدية وشقتان طرازيتان وعمامتا خَزٍّ وفرس أخضر أغرّ مجنب نتاجي، وسرج ولجام مُحلّيين بفضة.

صلة حجّاج بن خلوف: خمسمائة دينار وسيف عربي حليته فضة مذهبة مزينة بنيل ومبطن عبيدي وشقة عبيدية وشقة طرازية وعمامتا خَزٍّ وفرس مجدع وسرج ولجام مُحلّيين بفضة.

ذكر إدناء الزُّبَيْديّ النَّحويّ(١)

وفي يوم الأحد للنصف من ذي القعدة منها نفذ العهد إلى مُحمَّد بن حَسَن الزُّبَيْدي ثم الإشبيلي النَّحْوِيّ بالتزام مدينة الزهراء لمجالسة الأمير أبي الوليد هِشام بن أمير المؤمنين ومفاتحته النظر في العربية. وقد أُعتِدَتْ لنزوله منها الدار التي كان يسكنها صاحب الشرطة أحمد بن سَعيد الجَعْفَري في حياة والده، وأجريت الأرزاق الواسعة عليه، واستقبل في هذا اليوم بصلة سنية وخلعة فاخرة جزاء على الذي تولاه

(١) هو أبو بكر، محمد بن الحسن الزبيدي النحوي: عالم باللغة والأدب، شاعر. وُلد ونشأ واشتهر بإشبيلية، وتوفي فيها سنة ٣٧٩هـ/ ٩٨٩م. وترجمته في: بغية الوعاة، السيوطي: ٣٤؛ وفيات الأعيان، ابن خلكان: ٤/ ٣٧٢؛ معجم الأدباء، الحموي: ٦/ ٦١٨؛ شذرات الذهب، ابن العماد: ٣/ ٩٤؛ بغية الملتمس، الضبي: ٦٤؛ كشف الظنون، حاجي خليفة: ١١٠٦، هدية العارفين، البغدادي: ٢/ ٥١؛ معجم المؤلفين، كحالة: ٩/ ١٩٩.

من اختصاره لكتاب العين، للخليل بن أحمد[١]، وإقامته على الترتيب والتصنيف اللذين حَدَّهما له أمير المؤمنين فيه، فارتضى عمله فيه عند تصفحه له، وأجزل صلته وأدنى مكانه وأوصله إلى نفسه يومه هذا، ففاوضه في عمله الذي برع فيه واستثار له من غوامض فنونه، وناظره بين يديه يومئذ الوزير الكاتب الأديب جَعْفَر بن عُثْمَان في غرائب من فنه في النحو واللغة والشعر، فتباريا في الشأو وتسابقا في ميدان الإصابة، فسرَّ بهما قَيُّوم المعرفة؛ وانتظم اتصال الزُّبَيْدِيّ من يومئذ بالخليفة الحكم وابنه هشام الأمير ونال حظوة.

وفي يوم الإثنين لتسع بقين من ذي القعدة ورد كتاب الوزير القائد الأعلى غَالِب بن عبد الرَّحْمٰن يذكر صنع اللّٰه في استباحة حصن الكرم وهرب المخذول عنه حَسَن بن قَنّون مع صهره مُحمَّد بن حَنون صاحب البصرة وعَليّ بن خلوف وغيرهما من حاشيته ونوابه بالصَّغَر والقهر؛ وذلك أن الوزير القائد غالباً لمَّا علم امتناع جبل الكرم وبعد مرامه وأن الحرب غير متمكنة فيه سعى في استمالة حليمة أهل الكرم، وهم من كتامة، فسخرهم اللّٰه لإجابته وأتوه راغبين في دولته، فدبر معهم على الفاسق، ووجه نحوه معهم ليلة الخميس لإحدى عشرة بقيت من ذي القعدة المؤرخ من نخبة رجاله خمسمائة فارس ومثلهم من الرجالة بالبنود[٢] والطبول والعدة، وأمرهم بمناهضته من ناحية حدَّها لهم، وعزم هو على أن ينهض في أبطاله وحماة رجاله من مضطربه؛ فلما أن تحرك هو من ناحيته وأنهض قبيلة حليمة المواطئين عليه من الجانب الثاني، ونظر الملحد إلى إحاطتهما به لم يتمالك أن ركب مع خاصته فارًّا بنفسه لا يلوم على أحد متقدماً إلى حصن الحجر معقله، فارتقى إليه، ودخل الوزير القائد حصن الكرم يوم الخميس، فاحتوى على كل ما غادره الفاسق فيه من الأمتعة والأبنية والمواعين والأقوات والأطعمة والأسلحة وغير ذلك، وصار جميعه فيئاً له ولأصحابه بحمد اللّٰه. وألفى في حبسه هنالك سُلَيْمَان بن أبي الجوشن، وابن أبي غرقلة العريفين، وعَوْمَس من أصحاب الغويّ، وغيرهم من الجند؛ مَنَّ اللّٰه عليهم بالانطلاق. وألفى في سجنه أيضاً أعداداً من وجوه قبائل البربر كان قد ارتهنهم عنده وأوثقهم في الحديد، فسرح جميعهم، وتسارب إليه أكثر غلمان الفاسق الذين كان مداره عليهم في الحرب، فقبل نزوعهم وألحقهم وحملهم ووسع عليهم وملك الحصن ليومه فهدم مساكن حَسَن فيه وأضرمها ناراً وندب فيه ألف فارس وَشَطْرَهم من

(١) هو أبو عبد الرحمن، الخليل بن أحمد الفراهيدي الأزدي اليحمدي: من أئمة اللغة والأدب، وواضع علم العروض. توفي سنة ١٧٠هـ/ ٧٨٦م (الأعلام، الزركلي: ٢/ ٣١٤).

(٢) البنود: الأعلام، الرايات.

الرجالة عاملاً على ضبطه وحمايته. ثم انقلب بجميع من لدنه إلى محلته بالمصارة والقبائل متساربة نحوه هاوية الأفئدة إليه، وعدو نفسه حسن مذعور لا يقرُّ به القرار. فَجُووِب الوزير غالب على كتابه هذا: يشكر فعله ويحمد مقامه ويعرف أن ضبط تلك القلعة التي أتيح له فتحها من عزم الأمور إذ هي قلعة البلد المشرفة عليه ومرقبته الآخذة بمخنقه. وضمن الجواب فصلاً في استشعار الحذر وإيقاظ النظر، نسخته: «وليس يخفى عليك أن الشتاء بين يديك والبحر دونك وربما تعذر ركوبه فاجعل الطعام ذخيرتك وحفظه تجارتك، فالأموال بحمد اللّه موفورة، واحتمالها في كل وقت متمكن، فمن مذهب أمير المؤمنين إخراج خازن من قبله بألف ألف دينار إلى سبتة يقرها هناك بالقرب منك فيسهل كل وقت إنفاذ الحاجة منها إليك فاسكن إلى ذلك، واحتط في الطعام جهدك، ووطّن على الصبر نفسك، ولا تُمنّها برجوع إلى بيتك حتى يقطع اللّه دابر الفاسقين ويفرق ملأ الملحدين الضالِّين الذين صاروا حَزباً لِلغَوِيّ وإلباً معه[١] على المسلمين. ولو أمكن وجوه أهل المسكن أن يقيموا أزواجاً من البقر يزدرعون بها في الأرضين المحوزة من الفاسقين بحيث لا يوصلون بذلك إلى أهل البلاد ضرراً ولا يلحقونهم تضييقاً لكان ذلك من أفضل ما يقع بموافقة أمير المؤمنين إذْ مذهبه تعمير البلد وتأمين أهله وتعريفهم ألا إقلاعَ[٢] له عن عَرْصتِهِ[٣] حتى تكون كلمةُ أهله واحدةً، وأيديهم مترافدة[٤]، والدين قيِّماً والسنَّة مُتَّبعة، بحول اللّه وقوَّته». وضمن هذا الكتاب ما رآه الخليفة من إقامة البرد قِبَله، وأن يرتب في العسكر لديه وبمدينتي طَنْجَة وأصيلا منها ما يراه الوزير القائد كافياً بالركضِ بالإخبار لانتظام الناحية، فتعجل باتخاذ الدواب لها، وتعهد إلى الخارجين بالعسكر عنه بدفع أجر خَدَمته لكل شهر، وإلى الخازن بإجراء العلوفة على الدواب والنفقة على الفرانقين[٥] والخدمة، إن شاء اللّه.

ذكر عيد الأضحى الكائن في هذه السنة

وافى يوم الثلاثاء العاشر لذي الحجة والثاني من شهر شتنبر الشمسي، فقعد أمير المؤمنين على السرير في المجلس الشرقي في السطح العلي بقصر الزهراء على العادة أفخم جلوس وأحكمه تعبئة، فتوصل إليه الإخوة ثم الوزراء فقعدوا بعد التسليم على

(١) الإِلْبُ: القوم يجتمعون على العداوة والشَّرِّ.
(٢) أقلع عن الأمر: كَفَّ عنه وتركه، وأقلع الملّاح السفينة: رفع شراعها ونشره لتسير.
(٣) العَرْصَةُ: المَحلَّة، أو ساحة الدار.
(٤) مُتَرافدة: مُتعاونة.
(٥) الفرانقون: جمع الفرانق: القَيِّمُ على البريد، أو دليل الجيش.

مراتبهم، وحجبه عن ذات يمينه الوزير الكاتب صاحب المدينة بِقُرْطُبَة جَعْفَر بن عُثمان وتحته صاحب الشرطة العليا يَحْيَى بن عُبيد اللّه بن إدريس، وعن يساره صاحب الخيل والحشم زِيَاد بن أفلح، وتحته صاحب الشرطة عبد الرَّحْمٰن بن هَاشِم التُّجيبي، وانتظم صَفًّا أهل الخدمة في الجانبين تحتهم على طبقاتهم، فلما استقرت قرارها أذن أولاً لرجالات قريش ومواليها، [ثم] للحكام وقضاة الكور والفقهاء أهل الشورى، [ثم] لمن بعدهم من الفقهاء والعدول وبياض أهل قُرْطُبَة، ثم لطبقات الجند من القُرْطُبيِّين والزهراويين على منازلهم، فتوصلوا طائفة إثر طائفة وسلم جميعهم، ثم امتازوا من الناس باجتماعهم إلى حضور الطعام لِسماط(١) العيد في مجلس الأجراء.

وظلت الخطباء ترتجل والشعراء تنشد مُسحنفرين(٢) على العادة، فكان من أبرع مَن قام يومئذ منشداً شعره مُحمَّد بن شُخَيْص سابق الحلبة، فأنشد شعرا طويلاً حسناً له سبق فيه إلى ذكر فتح حصن الكرم من أرض العُدْوَة على المارق حَسَن بن قَنُّون فقال: [من الطويل]

لَقَدْ حَلَّ بأسُ اللّهِ بالكَرم الذي ... غَدَا وَهْوَ في حِزْبِ الضَّلالِ بَلاقعُ(٣)
فَلَوْ حَلَّهُ غِيلَانُ نَادَى طُلُولَهُ ... «هَل الأزمن اللائي مَضَيْنَ رَواجعُ»(٤)
وما حَجَرُ النَّسْرِ المنيعُ بِزَعْمِهِ ... مَنيعٌ، وهَلْ حِصْنٌ مِن اللّهِ مانعُ
فَلوْ طارَ فَوْقَ الأرضِ أو غارَ تَحْتَها ... لما خَالَ أنّ المُنتأى عَنكَ وَاسِع(٥)
وَما يَضَعُ الإدبارُ مَنْ أنتَ رافعٌ ... ولا يرفعُ الإقبالُ من أنتَ وَاضعُ(٦)
وَقدْ عَلِمَ الإسلامُ ما أنت مُنفقٌ ... وفي نَصْر مَنْ تَسْعَى وعَمَّن تُدافِعُ
جَمعْتَ بما فرّقتَ شَمْلَ جَميعنا ... فأنتَ بِتَفْريقِ الذخائرِ جامعُ(٧)

---

(١) السِّمَاطُ: ما يُعَدُّ لِيُوضَع عليه الطعام في المآدب ونحوها.
(٢) مُسْحَنْفِرون: مُتَوسِّعون في الإنشاد، مُجَوِّدُون.
(٣) البلاقع: جمع البلقع: المكان الخالي من كلّ شيء.
(٤) غيلان: هو غيلان بن عقبة بن بهشي، المعروف بذي الرُّمّة، الشاعر الأموي، المُتوفَّى سنة ١١٧هـ/ ٧٣٥م. (الشعر والشعراء، ابن قتيبة: ٢/ ٤٣٧؛ الأغاني، الأصفهاني: ١٧/ ٣٠٦).
الطلول: جمع الطلل: ما بَقِي شاخِصاً مِن آثار الديار.
(٥) غار تحت الأرض: ذهب واختفى. خَالَ: ظَنَّ. المنتأى: الموضع البعيد. وهذا من قول النابغة الذبياني (ت نحو ١٨ق. هـ/ نحو ٦٠٤م):
وإنَّكَ كاللَّيلِ الذي هُوَ مُدْرِكي ... وإنْ خِلْتُ أنَّ المُنْتأى عَنْكَ وَاسِعُ
(ديوان النابغة الذبياني: ٨٠).
(٦) وَضَعَ الرَّجُلَ: حَطَّ من قدره ودرجته. الإدبار: الذهاب. الإقبال: المَجِيء.
(٧) الذخائر: المُؤَنُ والأمتعة والأموال.

ومنها في ذكر ابنه الأمير أبي الوليد هِشَام:

وَجَـدْنَـا هِـشَـامـاً لِـلائـمَّـة عَـاشِـراً إذا أكملَ التِّسْعِينَ في الملكِ تَاسِعُ
أَتَـانـا بِـتَـصْـديـق الـروايـة مُـذْ أَتَـى بـهِ أَوّل الـشُّـهْـب الـدَّراريّ رَابِـعُ[١]
سَرَتْ فيـه أَعـراقُ الـنـجـابـة إذْ سَـرَتْ مِـنَ الـحَـكَـمِ الـمَـهْـدِيّ فيـه طَبَـائِعُ[٢]

وفي السحر من ليلة الإثنين لأربع عشرة خلت من ذي الحجّة خسف بالقمر كله وانجلى قبل ابتلاج الصبح.

وفي يوم الإثنين المؤرخ ورد كتاب صاحب الشرطة العليا والمواريث قاضي القضاة بالمغرب مُحمَّد بن أبي عامر يذكر تعييدَ الناس لديهم بالعُدْوَة يوم الخميس، وقيام الخطبة في المصليات هنالك قبل الصلاة والتكبير على حدوده القيمة وسرور المسلمين بذلك وابتهاجهم به واعترافهم بتظاهر نعم اللّه عليهم في دينهم ودنياهم، واستهلالهم بالشكر له على ما وسعهم فيه من فضل أمير المؤمنين وبركة هدايته وسعادة دولته.

وفي يوم الثلاثاء لثمانٍ بقين من ذي الحجّة منها قعد أمير المؤمنين على السرير بقصر الزهراء قعوداً فخماً حافلاً تام الترتيب حسن التهذيب لرسل وفود اكتملوا ببابه شهده الوزراء وحجبه الحجاب. وقد أشعر القصاد فحضروا، وقدّم المسلمون في الإذن على غيرهم من رسل النصارى، فكان أول من توصّل منهم رسل أبي العافية، ثم رسل أحمد بن عِيسَى، ثم رسل مَيْمُون بن القاسم، ثم رسل عليّ بن حَنُّون رئيس كتامة، ثم رسل جرثم، ثم توصل بعدهم مُحمَّد ويُوسُف ابنا أبي سُفْيَان، ثم مُحمَّد بن منجفان الأصيل وغيرهم؛ أدّوا رسائلهم وعرضوا مسائلهم، فأجيبوا بما وافقهم وأقنعهم. وأُذن بعدهم لرسل ملوك العجم فتوصل أولهم رسل شانجه بن غرسية بن شانجه صاحب بنبلونة، ثم رسل فرذلند بن ألشور، ثم رسل بني غومس، ثم رسل لذريق بن بلشك قومس العرب، فأنهوا ما تحملوه عن مُرْسِليهم، واقتضوا أجوبتهم، ودُفِعَت إليهم صِلاتُهم.

وفي [يوم] السبت لأربع بقين منه خرج صاحب المخزول ناجيت بن مُحمَّد إلى العسكر بالعُدْوَة بأحمالٍ جمَّةٍ من الأموال للنفقات والأعطية.

وفي يوم الثلاثاء لليلة بقيت منه ورد الخبر بالوقيعة على الملحد حَسَن بن قَنُّون وقتل حماة أصحابه وثقات غلمانه؛ وذلك أن الوزير القائد غَالِب بن عبد الرَّحْمٰن

(١) الدَّرارِيُّ: الكواكب المتلألئة.

(٢) النجابة: النباهة وظهور الفضل على المِثْل.

ركب عشية الأحد من محلته بالمصارة إلى جبل الكرم مع الوزير القائد يَحْيَى بن مُحمَّد التُّجيبي لمعاينة البنيان فيه، فتوصلا إليه عشيّ النهار، وضاق الوقت عليهما عمّا كانا أمّلاه من ارتياد موضع لتخلف الأثقال، ونية الوزير القائد غالب في ذلك قصد مدينة البصرة ومنازلتها. فلما انصرف من وجهه ذلك عشيّ النهار إلى المحلة وافاه في الطريق نازعٌ[(١)] ذَكر له أن بعض المُستصبيين إلى الملحد حَسَن بن قَنُّون من قبائل البربر أقبلوا نحوه بطاغيتهم فنزلوا في قرية تتصل بالحجر معقله، وقد كان الوزير غالب دعا رئيسهم إلى الانحراف إليه والدخول في الطاعة ووعده بصلات رغيبة فأبى عليه وصرم حبله وأحفظه إباؤه، وصمد له من وقته فقدم الأدلاء والنزّاع في قطيع من الخيل نحوه كمنوا على الناحية وتفرقوا في جهاتها وتقطعوا من نواحيها، فانملص[(٢)] منهم جاسوس خالطهم لم يشعروا به، وأتى إلى حسن فأعلمه بخبر العسكر المتقرب منه وبما ينوي، فأزعج من وقته، وركب مع ولده وأهله وجميع من كان معه من فارسٍ وراجلٍ، وأحاط بالجبل الذي [ظنَّ] أنه يُؤتى منه.

فلما انبلج الصبح من يوم الإثنين لسبعٍ بقين من ذي الحجّة منها تصايح شرذمته على القطيع السابق إليهم من الجند، وقد استقلوا عددهم فامتدوا إليهم، ولحق بهم الفاسق حَسَن النافر نحوهم بخيله ورجله ملقياً نفسه عليهم، والمدد من الحجر يتلاحق به، وسعى الجند في استجرار الفسقة إلى السهل كيما يستوسع المصاعُ[(٣)]، فأفضوا إلى بعض ذلك ببسيط قرية تسمى «أحين» على نحو ميلين من المحلة، فتلاحقت بهم الخيول من المحلة تترى وتنثال[(٤)] من كل جهة فاستحرَّ القتال واشتد النزال من الصباح إلى الظهيرة، ووهب اللّه آخر ذلك انهزام المخذول حَسَن وشيعته بعد أن جدَّ جدُّه لم يلو على أحد من أصحابه حتى انجحر[(٥)] بالحجر وجارِه، والخيل تسوقه حتى اقتحمه، ووقفت الخيل على عتبته فلم يصرفها إلا رتاجه، فانقلب ذلك الفريق الآوون إليه لوقته عليه وأعلنوا بدعوة أمير المؤمنين ولاذوا بطاعته، ورفعوا لوقتهم طاعتهم بالأهل والولد إلى جوف العسكر، فكان الصنع عظيماً والفتح مبيناً والسلامة غالبة على أصحاب السلطان،

---

(١) النازع: الغريب.

(٢) انملص الرجل: وَلَّى هارباً.

(٣) المصاع: المجالدة بالسيوف ونحوها.

(٤) تنثال: تتتابع، وانثال عليه الناس أو الخيل: اجتمعوا وأتوه من كل ناحية.

(٥) انْجَحَر: دخل الجحر: حفرة تأوي إليها الهوام وصغار الحيوان، شَبَّه مخبأ حسن بن قنون الذي لجأ إليه به.

لم ينل منهم كبير منال، واستمر القتل في أصحاب الملحد فَحُزّ[١] من رؤوس مشاهيرهم ووجوه غلمانه مائة رأس، وترك من سائرهم أكثر من ثلاثمائة صريع لم تحتزّ رؤوسهم. وكان إرهاق منهزميهم إلى الحجر في مضايق أَشِبة وشعاري ملتفة لقي الجند في توغلها عنتاً[٢]؛ وقتل في الهزيمة مُحمَّد بن أبي العَيْش الكُتامي، وكان من الملحد حَسَن محل أخيه تارة ومحل ابنه أخرى، لا يورد ولا يصدر إلا عن مشورته. واشتد حزنه عليه، لا أرقأ اللّه دمعه.

(١) حَزّ الرأس: قطعه.
(٢) العَنَتُ: الشِّدَّةُ والمَشقَّة.

سنة ثلاثٍ وستين وثلاثمائة

في يوم الأربعاء لثمانٍ خلون من المحرم فاتحها قدوم قند فتى الوزير القائد غَالِب بن عبد الرَّحْمٰن بكتاب مولاه غَالِب يذكر ما صنعه اللّٰه لأمير المؤمنين من افتتاح مدينة البصرة التي كان انتزى فيها مُحمَّد بن حَنون المخذول، وأنه كان سارَ عنها في خيله لبعض ما عنَّ له من شؤونه، وخلَّف بها خاله مُحمَّد بن عبد السلام الذي كان ظهيراً له ومدبراً لشأنه لا يقدم أمراً ولا يؤخره إلا عن رأيه ومشاورته، وكان مشنوءاً إلى أهل البلد، فدبّروا عليه عند إبعاد ابن حنون عنهم وقتلوه؛ فتك به ثُعبان بن أحمد البربري البطل واحتز رأسه، وذلك يوم الجمعة لثلاثٍ خلون من المحرم منها، وابتدر أهل البصرة مخاطبة الوزير القائد غالب بن عبد الرَّحْمٰن يستجلبونه إلى ما قبله، فخرج إليهم يوم السبت لأربعٍ خلون من المحرم من محلته بالمصارة وأبقى الوزير القائد يَحْيَى بن مُحمَّد بن هَاشِمٍ التُّجيبي في حصن الكرم وقد شارف[١] البنيان فيه التمام وَثَقَّفَ الأجْبُل[٢] حول الحجر بآلاف من الفرسان والرَّجْل، وَكَلَهُمْ بالتضييق على المخذول حَسَن في حجره ومساورته في جميع أوقاته، فتوجه نحو البَصْرَة آمناً من حركته، فاحتلَّ بسوق كتامة يوم السبت المؤرخ، وتلقاه بها رسلُ أهلِ البصرة بكتابهم يدعونه إليهم، وأنفذوا إليه رأس مُحمَّد بن عبد السلام فتسلمه غالب منهم لوقته، وخاطب الخليفة بخبر البصرة، وأدرج كتاب أهلها طيّ مدينة البَصْرَة يوم الأحد فدخلها لوقته، ووصل قند فتاه إلى قُرْطُبَة عشيَّ يوم الأربعاء لثمانٍ خلون من المحرم، فتوصل إلى أمير المؤمنين في عشيته، وسرَّه ما أتاه به، فلما كان يوم الخميس بعده نفذ العهد إلى شاطر الجَعْفَري صاحب خيل الأمير هِشَام بالنهوض مع قند فتى غالب، استركب معهما من الجند في التعبئة إلى منية الناعورة التي كان قند أودع فيها رأس ابن عبد السلام في دخوله، ورفعه في قناة سامية والبروز به من هنالك إلى باب السُّدَّة الكبيرة من أبواب قصر قُرْطُبَة شاهدين له في الناس، ففعل ذلك ومرَّ به إلى باب القصر خلال فئام[٣] من الناس النظارة يكثرون اللعن له ولجميع مَنْ مذهبه

(١) شارف البنيان: دنا منه، وشارف الشيء: اطَّلَعَ عليه من فوق.

(٢) الأجبل: الجبال.

(٣) الفِئَامُ: الجماعة من الناس.

كمذهبه من أهل التشريق والبدع المضلة إلى أن انتهى إلى باب السُّدَّة، والمخلف على الشرطة المسماة بالمدينة مُحمَّد بن الوزير جَعْفَر بن عُثمان جالس فوق الكرسي، فأمر بنصبه فوق خشبة عالية سامية على الرصيف إزاء باب السُّدَّة. وقعد أمير المؤمنين في هذا النهار بالروضة، وأوصل إلى نفسه الوزراء وأكابر أهل الخدمة، ثم توصل إليه قند فتى الوزير القائد غالب جالب الرأس، فأدناه واستفهمه عن أخبار العسكر وأحوال الأجناد وأمور العُدْوَة، فأحسن الجواب، وأبان عن الصفة، فَسُرَّ أمير المؤمنين، وأمر له بصلة مائة دينار دراهم، وكسوة توافقه رفيعة، وردَّاه فوقها بسيف صارم مذهب الحلية غريب الصنعة، وحمله على فرس جواد بسرج ولجام فَخْمَي الحلية، وأمره بالانصراف إلى مولاه. ووافى إثر ذلك كتاب الوزير القائد غالب يوم الأربعاء لثمانٍ خلون من المحرم، يذكر أنه كتب من مدينة البَصْرَة، قد مَنَّ اللَّه على الإمام بافتتاحها، وبعاد الملحد مُحمَّد بن حنون عنها وحيداً شريداً طريداً سليب الأهل والمال، مفجوعاً بخاله ابن عبد السلام المُهْدَى رأسه إلى حضرة الإمام، ومصير غلمانه وعدة حربه وبنودِ له وطبوله في العسكر المؤيد عزّاً وأيْداً[1] على من لقي من الأعداء أهلكهم اللَّه، وذكر أن ابن حنون الشريد العاقّ لأبيه تخلف بمدينة البَصْرَة زَوْجَةُ بنت حسنِ بن قَنُّون الملحد أمكن اللَّه منه، فأقرَّها على حالها تحت التوكيل يستطلع فيها الرأي، فعهد إليه أمير المؤمنين بسدل الستر عليها وإكرامها ومن معها من نسوتها وإلحاقها وإياهن بالملحد والدها حسن بمعقله الحجر، ففعل غالب ذلك وحملها على فرس رائع بسرج ولجام معرقين مُفْرَغين بعد أن كسيت كسوة سنية وأفيض ذلك في خدمها ونسائها، وأركبن معها فاحتملت معهن إلى أبيها الحسن بالحجر بأفضل حال.

وفي غرّة صفر منها احتل قُرْطُبَة ثُعبان بن أحمد البربري قاتل مُحمَّد بن عبد السلام خال الفاسق مُحمَّد بن حنون في وجوه من رجال أهل البَصْرَة شَادِّين[2] لغزوة الطاغية، وقدم ثُعبان من بينهم مهاجراً إلى قُرْطُبَة بأهله وولده، موثراً الانتقال إليها والخدمة بعسكرها، أخبر عنه الوزير غالب بذلك ورغَّب في اصطناعه وأثنى على رأسه وذكر أنه من الأبطال المشاهير لا يُعرف له في المغرب نظير، فأنزل أحسن نزولٍ، ووسع عليه، وبلي من بأسه فيما بعد ما صدّق القول فيه، فاعتلت عند السلطان منزلته.

ووافى كتاب الوزير القائد الأعلى غالب أيضاً يوم الأحد لأربع بقين من المحرم من محلته على قبيلة رهونة وقد انتقل عن مدينة البصرة بعد أن ثقفها وشكّها بالرجال، وقدّم عليها عبد الرَّحْمٰن بن مُحَمَّد بن اللَّيْث، وذكر أنه لما رأى القوم ـ يعني رهونة ـ

(١) الأَيْدُ: القُوَّة والشِّدَّة. قال تعالى: ﴿والسَّماءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ [الذاريات: ٤٧].

(٢) شَدَّ شِدَّةً: قَوِي ومتن، وَشَدَّ عليه في الحرب: حَمَلَ بِقُوَّةٍ.

نهوض العسكر إليهم نزلوا بأجمعهم خاضعين مُهطعين[١] لائذين بالطاعة راغبين في العافية، فأوسعهم العفو، وقبل منهم الإنابة، وبذل لهم الأمان، واختتم كتابه بأنه لم يبق في الغرب وقت كتابه مُنابذ[٢] سوى حَسَن، والحينُ[٣] به محيط، وصنع اللّه قريب بفضله.

وفي أول العشر الثاني من المحرم الموافق مثله من شهر أكتوبر الشمسي مفتتح الزراعة نشأت الأنواء الغليظة بِقُرْطُبَة وما يليها وتراكمت، وهبت خلالها ريح شديدة غريبة، ثم نزل الغيث من أول يوم الجمعة لعشرٍ خلون منه فاتصل يومئذٍ ومكن من الاحتراث، فشرع الناس في حرث الفصيل، وتوقف السِّعْر وكان فارعاً مرنقاً[٤]. واتصل نزول الغيث المروي إلى النصف من محرم، فانطلق الحرث وابتدر العام بكل جهة، واستبشر الناس بالخصب والرحمة، وتوالى الغيث صدر صفر بعده فوبَل واتصل وكرَّ بمثل ذلك للنصف منه فأرْهَمَ وَطَشَّ وجاد[٥] خلال ذلك، وتسايلت غزارٌ خالطها رعد قاصف وبرق خاطف، ووالى مثل ذلك صدر ربيع الأول فجاء بأمطار غزار من أول يوم الثلاثاء لخمسٍ بقين منه فوالى بين ثلاثة أيام ولياليهن ونزل في صبيحة الخامس آخرها مطر غزير وابل أشدُّ مما كان قبله معه رعد وبرق، وسقط خلاله بَرَدٌ ببعض المواضع من قُرْطُبَة غليظٌ جليل وَزَنَ في حبوبٍ منه وَزْنَ ثلاثة دنانير وأكثر، وظهرت زيادة من النهر من عشيّ هذا النهار المتقدم الذكر فلم يزل مترعاً[٦] إلى يوم الجمعة لليلتين بقيتا من ربيع الأول، فتوقف وتمادى المطر والهطول[٧] بِقُرْطُبَة للنصف من جمادى الأولى منها، فجاءت السماء بماء منهمر، وظهر مدّ النهر في ذلك اليوم، فانتهى إلى رصيف القصابين، ثم زاد في ليلة الأربعاء للنصف منه وانهمر

---

(١) المُهْطِعُ: الذي ينظر في ذُلٍّ وخضوع. قال تعالى: ﴿مُهْطِعِينَ مُقنعي رُؤُوسهم﴾ [إبراهيم: ٤٣]. والمهطع أيضاً: الساكت في تذلل وخوف، ينطلق إلى من دعاه. قال تعالى: ﴿مُهْطِعين إلى الدَّاعِ﴾ [القمر: ٨].

(٢) المُنابذ: المُجاهر بالحرب، المُفارق عن خلافٍ وبُغْض.

(٣) الحينُ: الموت والهلاك.

(٤) كذا ورد، ولعل صوابه: «وكان فادحاً مرهقاً». والفارع: الطويل، العالي، يقال: فرع الشيء فراعةً: طال وعلا. والمُرنّق: المُكدّر.

(٥) أرهم: أتى بالرِّهام: جمع الرِّهمة: المطرة الضعيفة الدائمة. طَشَّ المطر: ضَعُفَ، وطَشَّت السماء: أمطرت مطراً ضعيفاً. جاد المطر: كَثُرَ، وجاد المطرُ الأرضَ: أصابها، وجاد القوم: عمَّ أرضهم وشملهم.

(٦) مُترعاً: مُمتلئاً.

(٧) الهُطول: الانصباب، الانهمار.

الغيث فيها وهمى[١] بعدها إلى يوم الخميس لسبع بقين منه، وعاد النهر في الزيادة فطما مدُّه وكثر ليلة الجمعة سلخ جمادى الأولى إلى غرة جمادى الآخرة، فزاد حمله في اليوم الثاني منه، فانتهى إلى آخر حدّ أوضام الجزارين، وأخذ في النقص من عشيّ النهار.

وفي يوم الخميس للنصف من صفر منها ورد كتاب الوزير القائد غالب بن عبد الرَّحْمٰن من محلته بالكرم يذكر منصرفه على بلد البَصْرَة وأخذه رهنهم، ويذكر أنه قد صار إلى الطاعة جميع أمراء المغرب وعامة قبائل البربر فليس فيه مُنابذ غير الشقي الحائن حَسَن بن قَنُّون، وأنه قد صار من ضيق أمره في غمة، ثم توافى كتابه بعد أيام بأنه قد أخذ على المخذول حَسَن بن قَنُّون الجبل المعروف بجبل العيون المتصل بالحجر معقله، وضبطه بألف من الرّجل مضيقاً عليه آخذاً بمخنقه، ووصل إلى قُرْطُبَة في هذا الوقت مشيخة أهل البَصْرَة المدافعين لِمُحمَّد بن حنون أميرهم الداخلين في طاعة الخليفة المستنصر باللّه موثقين لعقدهم، فأكرموا وأدنيت منزلتهم.

فلما كان يوم الإثنين لاثنتي عشرة بقيت من صفر منها قعد الخليفة الحكم المستنصر باللّه على السرير بقصر الزهراء أتم قعود وأفخمه زينةً، شهده الوزراء وطبقات أهل الخدمة، وحجبه أكابرهم على العادة، فأوصل إلى نفسه عبد الرَّحْمٰن بن مُحمَّد بن أبي العَيْش، وحُسَيْن بن يَحْيَى بن حَسَن بن إبراهيم، وحَسَن بن حنون الحسنيين ورجالهم، وتلاهم مشيخة مدينة البَصْرَة ورجالها وحملة العلم فيها. فأقبل على جميعهم وتوسع في مساءلتهم واستمع لأجوبتهم فملأهم مَسرَّةً. وتوصل إليه بعدهم رسل حلويرة عمة الطاغية أمير جليقية وكافلته، فتكلموا عن مرسلتهم بكلام بدا فيه بعض الجفاء، ترجمه نصاً عنهم أصْبَغ بن عبد اللّه بن نبيل قاضي النصارى بِقُرْطُبَة المتولي ذلك عن الأعاجم، أنكره الخليفة لوقته، فازورّ[٢] للمترجم ونهره[٣]، وأمر بتأخير الرسل عنه، وناله ببعض التوبيخ، وألزم أصْبَغ المترجم ذنبه، وأمر بإقصائه وعزله عن قضاء النصارى وإهانته، وتعريف الرسل بسوء ما أدّاه عنهم، فقعد لهم صاحب الخيل زِيَاد بنِ أفلح في بيته بدار الجند وعركهم، وعرّفهم أنه لولا احتجازهم بذمة الرسالة لَعُوجلوا بالعقوبة، وخصّ المترجم أصْبَغ بالملامة لإقدامه على ما أقدم عليه من سوء المخاطبة، وخصه بأشدّ الوعيد وعرّفه بما كان قد همّ به أمير المؤمنين فيه من غليظ العقاب والتشديد لتركه تأديب هؤلاء الأعلاج، وتثقيف ما يلقونه إليه من

---

(١) هَمَى: انهمر.
(٢) ازْوَرَّ عنه: مال وانحرف.
(٣) نَهَرَ فلاناً: زَجَرَهُ وأغضبه.

كلامهم إذ كان المقلد ذلك منهم ومن أمثالهم من رسل الطواغيت، لولا ما أعقبه من الصفح عنه؛ ونفذ العهد إلى أحمد بن عروس[١] المورورى المتفقه بالخروج إلى جليقية رسولاً إلى العلجة حلويرة مع رسلها المنقلبين عن قُرْطُبَة، وضمّ إليه عُبيد اللّٰه بن قَاسِم المطران المترجم، فخرجا مع الرسل الصادرين عنها في عقب صفر المؤرخ؛ وكان مُحمَّد بن مُطَرِّف يومئذ بناحية الغرب فَخُوطِب يُؤمر بالدخول معهما.

وفي يوم الإثنين الذي كان الجلوس فيه لمن تقدم ذكره وصل إلى قُرْطُبَة رسل عبد الكريم بن حمّاد بن عبد اللّٰه بن عبد الكريم، وقَاسِم بن حَفْصُون الكناني، ومُوسَى بن عِيسَى المعروف بابن العتّاب، ومُحمَّد بن يَحْيَى القَيْسي، وعمّار بن عبد الحميد الجُذامي [ورسولا حنون بن أبي العيش] وهما المُؤمّل كاتبه، وخلوف بن أبي قلوس[٢] خادمه، ومعهما رسول أخيه إبراهيم بن أبي العيش، وهو عِيسَى بن مُوسَى قاضيه، فأنزلوا أكرم منزل وأرغده.

وفي أول ربيع الأول بعده قدم قُرْطُبَة عِيسَى بن عبد اللّٰه قاضي أحمد بن إسماعيل الحسني، وقدم إثره لثلاثٍ خلون من ربيع الأول مُحمَّد، وإبراهيم ابنا عِيسَى بن يَحْيَى بن القَاسِم بن إدريس الحسنيان. واكتملت الرسل والوفود بباب الخليفة المستنصر باللّٰه، وقعد لهم يوم الثلاثاء لأربعٍ خلون منه قعوداً فخماً بقصر الزهراء على عادته، فأوصل إلى نفسه الرسل القادمين من فاس، ثم رسل الأمراء من بني حَسَن: رسل أحمد بن عِيسَى، ورسل حنون بن أبي العيش، ورسل أخيه إبراهيم بن أبي العيش، ثم رسل أمراء البربر: رسول ابن مَدْيَن، ورسل لُقْمَان بن خزر، ورسول ابن جُرْثُم، وغيرهم من رسل أمراء العُدْوَة الخاصة.

وفي هذا الوقت أُلحق عبد الكريم بن أحمد بن فارس المنجم المصري في جملة الغلمان برغبة والده إذ كان عطلا[٣] من المعرفة معالجاً معاني الفروسية.

وفيه عقد استثمار لإبراهيم بن جَعْفَر بن علي صاحب المَسِيلة المستأمن إلى الدولة بإجراء مائتي دينار صحاح دخل أربعين في كل شهر من مستهل ربيع الأول منها وإجراء عشرة أمداد من القمح بكيل السوق عليه لكل شهر، ومن الشعير لدوابه بكيل الهُرْي لكل ليلة قفيزان[٤] من التاريخ المذكور.

وفي يوم السبت لليلتين بقيتا من ربيع الأول دخل قُرْطُبَة قَنُّون بن عِيسَى الحسني

---

(١) ورد في ما سبق «ابن عمروس».

(٢) كذا ورد، وسيرد بعد ذلك: «ابن أبي فلوس» بالفاء.

(٣) عُطلاً من المعرفة: خالياً منها.

(٤) القفيز: مكيال قديم، مقداره نحو ستة عشر كيلوغراماً.

أخو حنون، فأكرم مثواه وأنزل في الدار المبتاعة من بني هَاشِم بالمدينة. وقدم بقدومه فرج بن عليّ بن عُمر، وإبراهيم بن عبد اللّه بن مُحمَّد، من وجوه رجاله، وحجَّاج بن مخلوف قاضيه. ووصل إلى قُرْطُبَة بوصولهم الخيل التي بعث بها صاحب عُدْوَة القرويين من فاس، وعدتها خمسة وثلاثون فرساً.

وفي يوم الأربعاء لسبع خلون من ربيع الآخر منها ورد كتاب الوزير القائد غالب يذكر صلاح حال العسكر المؤيد قِبَلهُ وَضِيقَ أحوال المخذول حَسَن وذلّه، واشتداد الحصر عليه، وسوء حاله، وأنه خرج عنه مَنْ كان استمسك به وصابَرَ الحصارَ معه نحو من سبعمائة رجل في يوم واحد، آخرهم ولده المسمّى بالمنصور مع أخته وأمها مع رجال لأبيه وخدم وأعوان لاذوا بالأمان ففارقوه مؤثر[ين] طاعة السلطان، مستعجلين الراحة من سوء الحال وفرط الحصار. وذكر أن سجَّان حَسَن الضابط لسجنه واطأ[1] من كان في سجنه من المرتهنين الذين كان المخذول حسن ارتهنهم من بعض القبائل، وكانوا عدداً كثيراً، خلّاهم[2] وفرَّ بنفسه معهم، فورد جميعهم على الوزير القائد الأعلى غَالب، فَضمَّهم وأحسن إليهم. وذكر أن مارداً من أصحاب الملحد حَسَن دسَّه لإلقاء نار حيث يمكنه من المحلة المنصورة. وكان يضطرب[3] في العسكر ليوقع فيه الحريق فتهيأ له إلقاؤها في خيمة من الخيام أيقاظ أهلها، فثقفوه[4] وأتوا به الوزير القائد غالباً فأمر بصلبه فخسر نفسه، ولم يَضْرُرْ سواها.

وفي يوم السبت لعشر بقين من ربيع الآخر منها خرج الخازن عبد الرَّحْمٰن بن أحمد بن مُحمَّد بن إليَاس بالأموال إلى العسكر بالعُدْوَة.

وفي أول شهر جمادى الأولى منها خرج الخازن عبد الرَّحْمٰن بن أحمد بن مُحمَّد بن إلياس، وولي صاحب الشرطة خال الأمير هِشَام رَائِق بن الحَكَم قيادة بَطَلْيُوس مجموعة له إلى رمكب وأروض ومدلين وأم جعفر، إلى ما في يده من فَحْص البَلُّوط.

وفي هذا الوقت سُجِّل الحجَّاج بن مُتوكل اليهودي على قسامة[5] قومه يهود اليُسانة.

---

(١) وَاطأَ فلاناً على الأمر: وافقه.

(٢) خَلَّاهُم: تركهم.

(٣) يضطرب: يَتَرَدَّدُ، يطوف.

(٤) ثقفوه: أدركوه وأمسكوا به.

(٥) القسامة: من قسم القوم الشيءَ بينهم: أخذ كل منهم نصيبه فيه، ويقال: القسامة: الجماعة يُقسمون على حَقِّهم ويأخذونه، والقُسامة (بضم القاف): ما يعزله القاسم لنفسه من رأس المال ليكون أجره.

وفي يوم الجمعة لثمانٍ خلون منه نادى مُنادٍ عند أبواب المسجد الجامع بِقُرْطُبَة عن أمر قاضي الجماعة مُحمَّد بن إسحاق بن السّليم[١] معلناً صوته فقال: «أيها الناس ـ رحمكم اللّه ـ يقول لكم القاضي وفقه اللّه إنه ليس بغائب عنكم ما فيه ضعفاؤكم ومساكينكم من الفاقة والحاجة، فحصّلوا زكاة أموالكم وكفارة أيمانكم ووصايا أمواتكم، وعجّلوا بها على فقرائكم ومحاويجكم، ولا تناسوهم فهم غداً خصماؤكم عند اللّه ربكم، وهو شهيد عليكم لا ربَّ غيره».

وأجرى القاضي مُحمَّد بن إسْحَاق هذا المعنى في خطبته صلاة هذا النهار وأوضحه، فبان نفع تذكيره بِفُشوّ[٢] الصدقات أيَّامئذٍ.

وفي هذا الوقت خرج الوزير مُحمَّد بن فُطَيْس إلى إشبيلية واستخلف على الكتابة العارض الكاتب أحمد بن أبان بن سيد[٣].

وفيه وصلت إلى الزهراء الجمال التي بعث بها بنو خزر من العُدْوَة وكانت مائة وثلاثين جملاً.

وفيه سُجِّل لِمُطرِّف بن إسماعيل بن عَامِر بن ذي النُّون على وَبْذَة[٤] حِصْنِهِ، وأُضيف إليه أكثر حصون كورة شنت بريه وقراها.

ذكر ورود الخبر السَّارّ على الخليفة المستنصر باللّه بإذعان حَسَن بن قَنُّون الحَسَنِيِّ ودخوله في طاعته

وفي يوم الجمعة سلخ جمادى الآخرة منها شهد الخليفة المستنصر باللّه صلاة الجمعة بجامع قُرْطُبَة، فقعد بعد انقضاء الصلاة في ساباط المقصورة منه على عادته، وأوصل إلى نفسه الوزراء فأعلمهم بخضوع الملحد حَسَن بن قَنُّون الحَسنِيّ المُنتزي

(١) هو أبو بكر، محمد بن إسحاق بن السليم: قاضي الجماعة بقرطبة، كان من العدول المَرْضِيِّين، والفقهاء المشهورين، وله عند أهل بلده جلالة مذكورة، ومنزلة في العلم والفضل معروفة. توفي سنة ٣٦٧هـ/٩٧٨م. (جذوة المقتبس، الحميدي: ٥٠).

(٢) فَشَت الصدقات فُشُوًّا: ظهرت وانتشرت.

(٣) هو أبو القاسم، أحمد بن أبان بن سيِّد: عالم، لغوي، مشهور. روى عن أبي علي إسماعيل القالي، وروى عنه أبو عمر يوسف بن عبد اللّه بن خيرون الأديب النحوي. توفي سنة ٣٨٢هـ/ ٩٩٢م.

(جذوة المقتبس، الحميدي: ١٢١؛ بغية الملتمس، الضبي: ١٦٠، الصلة، ابن بشكوال: ٢٤).

(٤) وَبْذَةُ: مدينة من أعمال شنت بريه. (معجم البلدان، الحموي: ٥/ ٣٥٩).

عليه بأرض العُدْوَة له وإنابته إلى طاعته، وأنه ورد عليه بذلك كتاب الوزير القائد غَالب بن عَبْد الرَّحْمٰن مولاه، وأنه وجَّه إليه بذلك ابنه عليّ بن حَسَن الذي كان سنانَه وَمِجنَّه ومديرَ حربه، وأنَّ الخطبة قامت لأمير المؤمنين في الحجر، قلعة الفاسق، يوم الجمعة لثمانٍ بقين من جمادى الآخرة، فاستبشر الوزراء وبشّروا وهنّوا وغبطوا وأعلنوا بشكر اللّٰه تعالى فأطالوا.

وفي يوم الإثنين لثلاثٍ خلون من رجب منها خرج دُرِّيُّ بن الحَكَم المعروف بالهمَّاز من وكلاء دار الخيل إلى العسكر بالعُدْوَة وبين يديه جملة من البغال الزوامل الظهيرة مُوقَّرة بالأموال المعبأة للاستنفاق، هنالك على الأجناد المتكاملة المبادرة بالإنفاق قبل الاستحقاق، ومن وراء ذلك أحمال من الحليّ والآلات الفاخرة من أعدال الكسى الرفيعة والحليات النفيسة من السروج المعرقة واللجم المفرغة التي أمره الخليفة أن يتلقى بها عَلِيًا والمنصور ابنيْ حَسَن بن قَنُّون، وابن عمِّه إبراهيم بن حَسَن الحَسَنيّ المعروف بأرملهم، ومُحمَّد ولده القاصدين إلى باب السُّدَّة، إذ ورد الخبر بأنهم على الجواز، وتوالى الخبر إثر ذلك بجوازهم إلى الجزيرة، وكان احتلالهم فيها يوم السبت لثمانٍ خلون من رجب، فأخرج السلطان لتلقيهم صاحب المخزول أحمد بن عبد الملك وشاطراً الجَعْفَري صاحب خيل الأمير أبي الوليد هِشَام، يوم الخميس لثلاث عشرة خلت منه، وبين أيديهما أحمال كثيرة من العدة التي ينزلون عليها من الغطاء والوطاء وضروب الآلة المعتملة[١] من الوطاء الرفيع والآنية البديعة وغير ذلك.

وفي يوم السبت غرّة رجب منها عرض للخليفة المستنصر باللّٰه في طريقه بالمصارة أسفل قُرْطُبَة وقد ركب يريد الزهراء جمعٌ كثير من أهل ثغر لَارِدَة قاصية الثغر الأعلى وذواتها نحو من ثلاثمائة راكب مبتهلين بالدعاء له واصلين ذلك بشكر واليهم صاحب الشرطة القائد رِزْق بن الحكم الجَعْفَريّ والثناء عليه، فتوقف عليهم وأمر بإدنائهم إليه، فترجّل وجوههم وقدَّمهم الحجاب من أكابر الفتيان الحافّين به إلى رجله يقبلونها مُسلّمين مُثْنِين، وأمر باستنطاقهم رجلاً رجلاً على رسلٍ[٢] من استيفاء أجوبتهم، فلم يختلفوا في ذكر من حُسن سيرته وجميل نظره وفاشي معدلته[٣]، فَسُرَّ بما أوردوه وأعلن حمد اللّٰه عليه، وأُمروا بالانصراف.

وفي هذا الوقت استبلّ الأمير أبو الوليد هِشَام بن الخليفة الحكم من عِلّتهِ

(١) المُعتملة: المصنوعة.
(٢) الرِّسْلُ: الرِّفْقُ والتُّؤَدة.
(٣) المَعْدَلَةُ: الاستقامة.

بالجدري التي كان تورّط فيها من النصف من جمادى الأولى منها إلى غرّة رجب، فاشتد خوف الخليفة عليه وبان قلقه لشكوهِ، وشاعت صدقاته تذرعاً لكشف ضرَّائه، وأولاه أكابر خدمِهِ الخاصة وعلية وزرائه وأهل خدمته من المشاركة في حزنه والتألم لألمه وإحفاء السؤال عن شقّ نفسه مشافهةً ومكاتبةً مستبقين في ميدانه ما قضوا به حقه وتوافوا به من الارتماض[١] شركة إلى أن بشرهم بإفراقه غرّة رجب منها في مجلسه الخاص مع وزرائه بقصر الزهراء، وأعلمهم أن كتابه ورد عليهم من مكان مضجعه بقصر قُرْطُبَة بخط يده يخبره بتمام نقوهه من علته وانتعاش حالته، وأن العافية قد سلمته والسلامة قد اعتمت في جسده وبصره، بحمدِ ربه، فاستهلوا[٢] حامدين للّه، عزَّ وجهه، شاكرين لنعمائه واصلين ذلك بالابتهال[٣] إلى خالقهم، عزَّ وجهه، في دوام خلافته وطول إمتاعه بقرّة عينه وإبلاغه فيه منتهى أمله، وقضى الخليفة وقضوا معه نذوراً وأفشوا زلفاً[٤] نعشَ اللّه بها من ضعفاء الناس خلقاً.

فلما أن كان يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة خلت منه قعد الأمير أبو الوليد هِشَام لأكابر الخلفاء من أهل الدولة بقصر قُرْطُبَة قعوداً بهيًا حَفَّه فيه الفتيان الأكابر الخلفاء، وتوصل إليه فيه الوزراء فقعدوا بين يديه، واستهلوا بحمد اللّه تعالى وشكره على ما أنعم به عليه وعليهم من تمام عافيته وكمال صحته، وتوصل إليه بعدهم أكابر أهل الخدمة على مراتبهم، وتلاهم من أعيان الخاصة قاضي الجماعة مُحمَّد بن إسحاق بن سليم، وصاحب الشرطة والسوق أحمد بن نَصْر، والفقيه قاضي كورة رَيَّة مُحمَّد بن مُفرّج، والأمينان عبد الرَّحْمٰن بن وافد وسُلَيْمان بن أحمد الرُّصَافي، فدفعت إلى هذين منهم بِدَرُ[٥] أموالٍ رغيبة ليتصدقا بها على أهل السّتْر والضعفاء شكراً للّه تعالى على ما ألبس الأمير أبا الوليد من العافية.

وفي يوم الأربعاء لأربع بقين من رجب سخط الخليفة على مُحمَّد بن سَعِيد ابن خال أبيه الخليفة الناصر سَعِيد أبي القاسِم لأمرٍ خفيّ أنكره عليه، فعهد إلى صاحب الشرطة العليا هِشَام بن مُحمَّد بالتوجه فيه بنفسه وضمه إلى السجن مُقيَّداً، فقصد هشام داره بمنية عبد اللّه شرقي قُرْطُبَة فأصابه غائباً عنها مطالعا ضيعته بمنزل هَيْثَم، فنزل بالمسجد قرب داره، وخاطب مستطلعاً للرأي فيه، فَجُووِبَ يُؤمر بالنهوض فيه،

---

(١) الارتماض: الشِّدَةُ أو الحَرُ أو العطش.

(٢) اسْتَهَلَّ: ابتدأ.

(٣) ابتهل ابتهالاً: تَذلَّل وتَضرَّع.

(٤) الزُّلَفُ: جمع الزُّلْفَة: القُرْبَةُ، المنزلة.

(٥) البِدَرُ: جمع البدرة: كيس فيه مقدار من المال.

وَسَوْقِه مُهَاناً إلى السجن، فمضى نحوه وبين يديه عرفاء المحارس وعدة من الفرسان والفرانقين[١] والشرط، فقبض عليه وأقبل به إلى باب السُّدَّة بقصر الزهراء، وقد أحضر له القَيْد فَقُيِّد، وَسُجِن ببيت العمال على باب الجنان، فلم يزل هنالك إلى أن استنقذه الصفح فأطلق في يوم الخميس لثلاثٍ بقين من رجب.

وفي صدر رجب منها أذن لمن كان اجتمع بباب السلطان من رسل أمراء العُدْوَة ووفودهم المؤكدين اعتقاد الطاعة بعد أن حُبُوا وكُسُوا، وَدُفِعَت إلى الرسل منهم أجوبتهم عن مرسليهم، فانقلبوا مغبوطين بالصَّدَر[٢] فرحين بالورود[٣]، فكان منهم رسل عبد الكريم صاحب فاس، وهم: أبو صَالِح، وعزر، وعُمَر بن أحمد، ورسل حَنون بن أحمد بن عِيسَى: كاتبه المؤمِل، وخادمه خلوف بن أبي فلوس، وقاضيه عِيسَى، وإبراهيم رسول حَسَنِ بن حَنون، ومُحمَّد بن أبي سَنْدِيب رسول جُرْثُم بن أحمد، وزيري بن بياضة، وقاسم رسولا إدريس بن حَمَّاد الغماري، وَمِحْرز المُواتي رسول مُقاتل بن عَطِيّة، ورسل إبراهيم بن أبي العَيْش، وغير هؤلاء من رسل ملوك العُدْوَة، فانطلقوا نُفُجَ[٤] الحقائب مغتبطين بالولاية.

وفي يوم الأربعاء لتسع خلون من رجب الذي كان الخامس من إبريل العجمي هاجت ريح شديدة وتنزل غيث وابل، وقلعت الريح العاصف في هذا اليوم كثيراً من شجر الزيتون وملخت[٥] أغصانه وكسرت كثيراً من الشجر غيره. وكان هول الريح عظيماً وتأثيرها سيئاً وجاد[٦] المطر وابلاً مُنهملاً تمادى انسكابه يومين، الإثنين والثلاثاء تِلْوَهُ، فمدّ نهر قُرْطُبَة يوم الثلاثاء المؤرخ لإحدى عشرة خلت من رجب وتناهت زيادته يوم الأربعاء فبلغ رصيفَ القصَّابين، ومضى على غُلوائه[٧] في الزيادة يوم الخميس بعده. واتفق أن نزلت سحابتان وابلتان يوم الجمعة بعده وافقتا إقبال الناس إلى المسجد الجامع فنالهم من أذاهما ما أعنتهم[٨] وبلَّل أثوابهم، وازدحموا عند أبواب الأبهاء بداخل المسجد متعادين على الدخول تحت سقفها ازدحاماً وغلاباً،

(١) الفرانقون: جمع الفرانق: الدليل أمام الجيش أو البريد.
(٢) الصَّدَرُ: الرجوع، الذهاب.
(٣) الوُرُودُ: القدوم، المجيء.
(٤) نُفُج الحقائب: أي حقائبهم مملوءة بالهدايا، يقال: نفج السِّقاء: ملأه. ويقال: هو نُفُجُ الحقيبة: عظيم العجز، وهي نُفُجُ الحقيبة: ضخمة الأرداف.
(٥) مَلَخَ الشيءَ: جذبه قبضاً أو عَضًا، وامتلخه: اسْتَلَّهُ أو اجتذبه.
(٦) جاد المطر: كَثُرَ، وجاد المطر الأرض: أصابها، وجاد القوم: عَمَّ أرضهم وشملهم.
(٧) الغُلَوَاءُ: أَوَّلُ الشيء وحِدَّتُه.
(٨) أعْنَتَهُم: أتعبهم وأَشْقَاهُم.

منع كثيراً منهم الصلاة لِنَقْضِها قبل دخولهم، من أجل انسكاب ذلك الغيث عليهم وغزره وتضامهم له وتزاحمهم تحته، وجاء النهر يومئذ بعباب طام[١].

وفي آخر رجب المؤرخ قدم إلى قُرْطُبَة قياطن بن يَعْلى ولد يَعْلى أمير بني نفر وصاحب مدينة أفكان بالمغرب الذي غدر به جَوْهَر الرومي قائد مَعدّ الشيعي الواطئ لأرض المغرب فقتله، وذلك فيما ذكر يوم الإثنين لليلتين بقيتا من جمادى الأولى سنة سبع وأربعين وثلاثمائة، وجنح ابنه قياطن إلى طاعة الخليفة المستنصر بالله، فقصد حضرته، فاستقبل وَرُحِّب به وأكرم منزله وَوُسِّعَ عليه.

[انقطع ها هنا مساق الخبر في شعبان ورمضان سنة ثلاثٍ وستين وثلاثمائة بخرم واقع [في] أصل الكتاب كالذي تَقدَّم فيما قبل، والوفاء بتمام خبر حَسَن بن قَنُّون ونزوله منقاداً ومجيئه إلى قُرْطُبَة وغير ذلك من إحراز النواحي، ثم باب بقية خبر السنة بعد الإسلام المذكور، بكروره في الثلاثة شهور الرادفة لهما المتممة لخبر السنة المذكورة][٢].

ذكر عيد الفطر الكائن في هذه السنة

وافى يوم الأربعاء غرَّة شوال منها، فجلس فيه الخليفة المستنصر بالله للتهنئة، على العادة، على السرير بالمجلس الشرقي الموفي على الرياض فوق السطح الممرد العليّ أفخم قعود وأفشاه زينةً وأنظمه تعبئةً غبّ اكتمال سروره[٣] بالظفر بحسن بن قَنُّون الحسني ومثواه بين يديه باهشاً[٤] بالطاعة، واتساق سلطانه ذاك ببلد العُدْوَة، فحجبه يومه ذلك عن ذات اليمين الوزير الكاتب صاحب المدينة بالزهراء مُحمَّد بن أفلح مولاه، ووصل الصفين بعدهم طبقات أكابر الخدمة من أصحاب الشرطة العليا والوسطى، ثم أصحاب المخزول والخزّان والعُرّاض وغيرهم من أهل الخدمة على مراتبهم، وخرج الإذن فتوصّل أول الناس الإخوة فقعد منهم بعد التسليم عن ذات اليمين الشقيق أبو الأصْبَغ عبد العزيز، وتحته أبو المُطرِّف المغيرة، وقعد عن ذات اليسار أبو القاسِم الأصْبَغ، وقعد بعدهم بعد التسليم الوزراء، بعد فرجة بينهم، وقعد تحتهم جَعْفَر بن عليّ الأندلسي، وقام أخوه يَحْيَى بن عليّ في صَفّ الحُجَّاب أهل الخدمة، وتوصَّل إثرهم قاضي الجماعة مُحمَّد بن إسْحاق بن السّليم ولمته من الحكام، فقعدوا بعد التسليم حسب منازلهم. وشهد الموسم حَسَن ويَحْيَى ابنا حَنون

(١) العُبَابُ: كثرة الماء والسَّيْل. طَام: من طما الماء: ارتفع وملأ النهر.

(٢) ما بين المُركَّنين زيادة على أصل الكتاب.

(٣) الغِبُّ من كلّ شيءٍ: عاقبته وآخره.

(٤) باهشاً: مُسْرِعاً، مُرتاحاً، يقال: بَهَشَ له: ارتاح له، وخَفَّ إليه.

الحَسَنيان المستنزلان من الحجر، فنزلا قبل الإذن في المجالس الجوفية بدار الجند. وكان توصلهما مع قُريش الصلب، وتوصل بتوصلهما عليّ وَمَنْصُور وحَسَن بنو حَسَن بن قَنُّون، وسائر بني إدريس الحسنيين العدويين النازعين إلى كنف أمير المؤمنين، وصدر فيهم حَسَن ويَحْيَى صدر البهو، وتوصل للتسليم إثر أبناء قريش الموالي، ثم قضاة الكور والفقهاء أهل الشورى ومن بعدهم، والعدول وبياض الجند الأندلسيون والطنجيون، ومن طبقات العبيد الخمسيون والصيديون، وأكابر الخمس وفرسان الرياضة، وغيرهم من طبقات الحشم. فكان من أحفل المشاهد المعتادة، وأفخم المحافل. وقامت خلاله الخطباء والشعراء مرتجلين منشدين، فأكثروا وأطالوا وأجادوا، فكان من أحسن ما أنشد به الشعراء يومئذ قول مُقدّمهم طَاهرُ بن مُحمَّد البَغْدَادي المعروف بالمهند في شعرٍ له مُطوَّلٍ منه: [من المتقارب]

إمامٌ تَخَيَّرهُ رَحْمَةً ... على الخَلْقِ أَسْبَغ أَسْبَالَها[1]

وَصَفَّاه ذو العَرْشِ من صَفْوَةٍ ... تَجُرُّ على الشَّمْسِ أَذيَالَها[2]

أحلَّ النُّبُوَّةَ آباءها ... وأعْطَى الخلافةَ أَنْسَالَها[3]

فَحَاطَ الرَّعِيَّةَ مُستنصراً ... بِذي العَرْش يُحرز أَهْمالَها

وأنفقَ أموالَهُ جَاهِداً ... عَلَيْها يُثَمِّرُ أَمْوالَها[4]

فَأذْهَبَ إحسانُهُ بُؤسَهَا ... وَأَكْثَرَ نُعماهُ أخلالَها[5]

تَولّى الخلافةَ في عَضْرِها ... فَأحْسَنَ تَقْوَاهُ إكْمَالَها

وَكانتْ دِيانَتُه زَيْنَها ... وأيامُه الزُّهرُ أَشْكَالَها

فَلَو رُفِعَتْ خطةٌ فَوْقَها ... لما كانَ يَصْلُحُ إلَّا لَها

وَمَا صِفَةٌ حَسُنَتْ في الهُدَى ... مِنَ الذِّكْر إلَّا وقَدْ نَالَها

فَهَنَّأهُ اللَّهُ أعيادَه ... وَبلَّغهُ اللَّهُ أَمْثالَها

وَضاعَفَ ما طابَ من صَوْمِهِ ... وَتَخميلهِ النَّفْس أَحْمالَها

---

(١) أَسْبَغَ الشيءَ: جعله سابغاً: تامًا، وأَسْبَغَ الثوبَ؛ وَسَّعَهُ، وأَسْبَغَ الوضوء: وَفَّى كلّ عُضْوٍ حَقَّه في الغَسْل. الأسبال: يقال: أسبال الكأس: حروفها، وأسبال الدلو: شفاهها، وأسبال الثوب: أطرافه.

(٢) تَجرُّ أذيالها: تَتيهُ وتتبختر.

(٣) الأنسال: جمع النسل: الأبناء، الذُّريَّة.

(٤) يُثَمِّرُ أموالها: يُنَمِّيها.

(٥) الأخلال: الأصدقاء، المفرد: خِلٌ.

وَأَوْزَعَهُ شُكْرَ إنْعَامِهِ وَتَبْلِيغه النَّفْس آمالَها[(١)]
وإذلالهِ عِزّ أعدائهِ وَقَدْ جَعَلَ القَهْر أغْلالَها[(٢)]
أقامَ قِيَامتها عَاجِلاً فَقَدْ عَايَنتها وأهْوالَها
مَضَى جُنْدُهُ نَحْوَها غَازِياً فَجازَ الملوكَ وأَقيالَها[(٣)]
وَمَلَّكَهُ رَبُّه أرْضَها وَمَا حَمَلتْهُ وأثقالَها
وَقَتَّل آسادُهُ أُسْدَهَا وأَشْبالُه الغُلبُ أَشْبالَها[(٤)]
وَلَمَّا سَرى جُندهُ نَحْوَها تَزلْزَلَت الأَرْضُ زِلْزَالَها
وَصارَ له أفقها مِرْجَلاً وَقَطَّع رَبُّكَ أَوْصَالَها[(٥)]
وَأَذْهَبَ في بَحْرِهَا ثَمْدَها وَغَرّقَ في اللُّجّ أَوْشَالَها[(٦)]
وَأَوْرَدَها دَارهُ خُضَّعاً تُقِرُّ وتُظْهِر إجْلالَها
وَلمَّا تَملَّكها ضُلَّلاً عَفا فَهَدَى اللّه ضُلَّالها
وَعفَّى الإساءاتِ إحسانُهُ وَغطَّت مَعَاليه أفعالَها[(٧)]
وَأبدتْ سَجاياهُ إنعامَها وَصَابتْ أياديه إفْضَالَها[(٨)]
وَهلْ كانَ يحسنُ في فَضْلِهِ الأعمُّ يُقارِض جُهَّالَها
وَكَمْ مَرَّةٍ قَدْ عَفَا قادراً فَأَلْبَسَهُ اللّه سِرْبَالَها
فَلا زَالَ يَقْهَرُ أَعداءهُ وَيُفني الليالي وَأقيالَها

ثم قام بعده رسيله مُحمَّد بن شُخَيْص منشداً شعراً له مطولاً أنحى فيه على بني حَسَن الموقومين بقهر الخليفة لهم، فأسرف في ذلك، وأول شعره: [من البسيط]

أتمّ شَعْبَانُ ما أَبْدَى [به] رَجَبُ مِنْ قَبْلِ ما كانت الآمال تُرْتَقَبُ

---

(١) أوزع فلاناً الشيءَ: أولعه به، أو أغراه.
(٢) الأغلال: القيود، المفرد: غُلٌّ.
(٣) الأقيال: الملوك، المفرد: قَيْلٌ.
(٤) الغُلْبُ: جمع الأغلب: ذو العنق الغليظ.
(٥) المِرْجَلُ: القِدْرُ من الطين المطبوخ، أو النحاس. الأوصال: جمع الوُصْل: المِفْصَل أو مجتمع العظام.
(٦) الثَّمْدُ: الماء القليل الذي ليس له مَدَد. الأوشال: جمع الوَشَل: الماء القليل يتحلب من جبل أو صخرة، ولا يَتَّصِلُ قَطره.
(٧) عَفَّى الشيءَ: مَحَاهُ وأزالَ أثره.
(٨) السَّجايا: الطِّباع، الخِصَال.

وَزادَنا أنْ شَهْرَ الصوم قَابلَنا ... بِخَيْرِ عِيدَيْن مِنْهُ: البَدْرُ والعِقَبُ
في عامِ غَضْراء لَفَّتنا طَوالِعهُ ... نَضراً وخِصْباً فمات النَّكْثُ والجدبُ[١]
للَّه صُنْعٌ تَلَقَّانَا السُّرورُ بهِ ... مِنْ قَبْلِ أَن تُتَلقَّى البُرْدُ والكُتبُ
فَاخْتالَت الأرضُ مِنْ عَجَبٍ بهِ وأرى ... أنْ لَيْسَ في عُجْبِ مُختالٍ بهِ عَجَبُ
وَأَشْرَقَ الأُفْقُ لمَّا عَمَّهُ جَذَلٌ ... وَنَوَّرَ الأرض لمَّا هَزَّهُ طَرَبُ[٢]
فَالوَرْدُ يحكي خُدوداً رَاقَها خَجلٌ ... والأقحوانُ ثُغوراً زَانَها شَنَبُ[٣]
لمَّا رأى الحائنُ المخذولُ ما كَشَفَتْ ... لِعيْنهِ من دَواعي حَيْنِهِ العقبُ[٤]
وَأَنَّ غَزْوَ أميرِ اللَّه لَاحِقُهُ ... مَنْ لَيْسَ تَلْحَقُهُ خيلٌ ولا نُجُبُ[٥]
وأنْ عَزْمَتهُ حَتْمٌ وَغَضْبَتَهُ ... حَتْفٌ، وفي اللَّه مِنْهُ الحَتْفُ والغَضَبُ[٦]
وأنَّهُ لَوْ رَمَاهُ الجِدُّ في هَرَبٍ ... بِالصِّين لم يُنْجِهِ مِنْ سَيْفِهِ الهَرَبُ[٧]
وَكَيْفَ يَطْمَعُ في مَنْجًى يُفَوِّته ... مَنْ جَدّ للَّه في آثارِهِ الطَّلَبُ[٨]
رجَا الفِرارَ فأنْباهُ الرَّجاءُ لهُ ... أنَّ القضاءَ له مِنْ حَوْلهِ رِقَبُ[٩]
وأينَ يُوجَدُ عَنْ ظِلِّ السَّماءِ حِمىً ... مِنْ يَوْم رَوَّقَ مِنْ آفاقِها الطّنبُ[١٠]
إعطاؤه الحُكمَ مَوْلانا وَقَى دَمَهُ ... وكنتُ أَطْمعُ أن يُشْفَى به الكَلَبُ[١١]
نَجا بإمكانهِ مِنْ نَفْسِهِ رَمَقٌ ... بَيْن الحياة وَبَيْنَ الموتِ مُضطَرِبُ[١٢]

---

(١) الغضراء: الأرض ذات الطين اللزج الأخضر الحُرّ، ويقال: هم في غضراء من العيش: في خصب وخير.
(٢) الجَذَلُ: السُّرور. الطَّرَبُ: خِفَّةٌ وهِزَّةٌ تُثير النَّفْسَ لفرحٍ أو حُزنٍ أو ارتياح، وأغلب ما يُستعمل في الارتياح.
(٣) الشَّنَبُ: جمال الثَّغر، وصفاء الأسنان.
(٤) الحائن: الهالك، أو الضَّالُّ. العقب: الدول، أي المَرَّة تِلْو المرَّة.
(٥) النُّجُبُ: جمع النجيب: الفاضل على مثله النفيس في نوعه.
(٦) العَزْمَةُ: الصَّبْرُ والجِدُّ والقُوَّةُ.
(٧) الجِدُّ: الاجتهاد في العمل ونحوه.
(٨) يُفَوِّتُ الشيءَ: لا يُدركه.
(٩) رِقَبٌ: من رقب الشيء: لاحظه، أو حرسه وحفظه، أو رصده.
(١٠) رَوَّقَ: أَرْخَى رُواقاً. الطُّنب: حبل يُشدُّ به الخباء والسُّرادق ونحوهما.
(١١) الكَلَبُ: مرض مُعْدٍ، ينتقل فيروسه في اللعاب بالعضّ من الكلاب إلى الإنسان، ومنه يقال: دَفَعْتُ عنك كَلَبَ فلان: أذاه وشرّه.
(١٢) الرمق: بقية الروح أو الحياة.

تَعجَّلَ اللَّه في الدُّنيا فَواقِره فَلَا حَياةٌ ولا أهلٌ ولا نَسَبُ[١]

وخرج إلى ذكر حَسَن وآله المقهورين فقال وأفحش:

أُشابةٌ تَدَّعي في هَاشِمٍ نَسَباً وَما يَصِحُّ لها في مَعْشَرٍ نَسَبُ[٢]
عُمْيُ البَصَائر لم يُسْلِسْ مَعاطِفَها إلى مَساعي التُّقى دينٌ ولا حَسَبُ[٣]
وَزادَهَا في عَمَاهَا أنَّ أوّلَها أَلْقَى العَصَا حَيْثُ لا عِلمٌ ولا أدبُ[٤]
نَشَتْ مع الوَحْشِ في دَهْمَاءَ لَيْسَ لها في غَيْرِ حَسْو الحُسَى رأيٌ ولا أَرَبُ[٥]
وَلَوْ غَدَتْ مِنْ قُرَيْشٍ في ذَوَائِبِها لأوْجَبَتْ نَفْيَها الأحداثُ والرِّيَبُ[٦]
وَكُلُّ مُلْتَهِبٍ يُطْفَا وَشَرُّهمُ مِنْ بعدِ عُثمانَ يُطْفَا ثُمّ يَلْتَهِبُ
إذا غَدا حَسَنٌ في الآلِ مِنْ حَسَنٍ رأساً فيا لَيْتَ شِعْري أيّما الذّنبُ[٧]
ما صَحّت البُرد والأقلامُ من مَلكٍ أرداه مذ صَحّت الأرماحُ والقُضُبُ[٨]
ولا خَلَتْ مِنْ مَعاني الجِدّ قُدْرَتُه وَرُبَّما شَابَ جِدّ القادرِ اللَّعِبُ
ولا أُديرتْ رَحَى حَرْبٍ بِسَاحَتِهِ حَتّى يكونَ لها مِنْ رأيِهِ قُطبُ[٩]
رَأيٌ هَداه إلى التوفيقِ مُودعهُ والرأيُ مُختلفٌ والقولُ مُنْشَعِبُ[١٠]
رَأيٌ إذا وَرَدَ القُوّادُ قامَ لَهُمْ في الحَرْبِ ما لا يَقُوم الجَحْفَلُ اللَّجِبُ[١١]
ألقاهُ في نَفْنَفِ المَهْوَى وَأمْهَلهُ حَتّى أُتيحت [له] مِنْ نَفسِهِ النّكَبُ[١٢]

---

(١) الفَواقِرُ: الدواهي، الواحدة: فاقرة.
(٢) الأشابة: الأخلاط من الناس.
(٣) أَسْلَسَ الشيءَ: جعله سلساً: سَهْلاً، ليِّناً.
(٤) ألقى العصا: نزل وأقام.
(٥) نَشَتْ: نَشَأَتْ. الدهماء: عامة الناس وسوادهم. الحَسْوُ: تناول الماء ونحوه جرعةً بعد جرعة. الحُسَى: جمع الحُسْوَة: مِلْءُ الفَمِ مما يُحْسَى.
(٦) الرِّيَبُ: الشُّكُوك والظنون والتُّهم، الواحدة: رِيْبَة.
(٧) ليت شعري: ليتني أعلم.
(٨) القُضُبُ: السيوف القاطعة.
(٩) الرَّحَى (في الأصل): الأداة أو الآلة التي يُطحن بها، استعارها للحرب، لأنها تطحن الناس بويلاتها.
(١٠) مُنْشَعِبٌ: مُنْتَشِرٌ، مُتَفَرِّقٌ.
(١١) الجَحْفَلُ اللَّجِبُ: الجيش الكبير، ذو الصوت والجلبة.
(١٢) النَّفْنَفُ: المفازة البعيدة.

والـلَّـهُ يُـمـلـي لِـقَـوْمٍ كَـيْ يَـزِيـدهُـمُ مِـنْ بـأسِـهِ ولـهـذا أُرخـيَ الـلَّـبـبُ[١]
وَافَـى الـجـزيـرةَ فَـالـتـفـتْ بِـمَـوْكِـبـهِ كتائبٌ تَقْشَعِرُّ الأرضُ إنْ غِضِبوا[٢]
وَكُـلَّـمـا جَـابَ ظَـهْـرَ الأرضِ قَـابَـلَـهُ بالخيلِ والرَّجْلِ منها الوَهْدُ والحدبُ[٣]
حَتَّى إذا مـا دَنـا مِـنْ حَـوْزِ بَـيْـضَـتِـنـا والنفسُ تَخْفُقُ والأحشاءُ تَضطرِبُ[٤]
لَاقى الجُموعَ التي خِيلَتْ بِوَطأتها شُمَّ الرّبى كالدّبا مِنْ حَوْلهِ تَثِبُ[٥]
جَـاءتْ بـأجـمـعـهـا لِـلَّـه شَـاكِـرةً وَلِـلـهـدى نَـخْـوَةٌ تَـتْـرَى وَتَـنْـسـرِبُ[٦]
أشـيـاعُ مُـسـتـنـصـر بـالـلَّـه نُـصـرتـهـا صِدْقُ البصائر لا التمويهُ والكَذِبُ[٧]
مـا صَـدَّهـا عَـنْ تَـلَـقِّـيـهِ بِـكُـلِّ أذىً يُوفي على الحَتْفِ إلّا الطّوْعُ والرَّهَبُ
مَـضَـى يُـذَكِّـرُ بـالـتـهـلـيـلِ مِـنْ جَـزَعٍ رُكاب بحرٍ دنا من سُفْنها العَطَبُ[٨]
يَرْجُو الحياةَ ويَخْشَى الموتَ فَهْو على حَـالـيـن ضِـدَّيـن: مَـسْـرُورٌ وَمُـكْـتـئـبُ
حَتَّى اجتلى غُرَّةَ السَّعْدِ التي شَفَعتْ لَـهُ وَلِـلـكُـلِّ فـي الـلـقـاءِ مـا رَكـبـوا
ومـا أراهُ رأى الـمـهـديَّ إذْ حَـجَـبـتْ عَيْنيْهِ عَنْ وَجْهِهِ مِنْ نُورِهِ الحجُبُ
وَلو حَنَاها على الشيعيّ لَانْكَشَفَتْ وَسَـيْـفُـهُ مِـنْ دم الأوداج مُـخْـتَـضِـبُ[٩]
وَلانْـقَـضـتْ وَمَـضَـتْ والـدينُ مُـهْـتَـضمٌ أَهْـدَى لـه كَـرْبـاً تُـهْـدَى بـه الـكُـرَبُ[١٠]
قَـدْ قُـلْـتُ لِـلـحـائـنِ الـمُـذكـي بِـنَـزْوَتِـهِ نَـاراً أُعِـدَّ لـهـا مِـنْ رُوحِـهِ حَـطَـبُ

---

(١) يُملي اللَّه للناس: يُمهِلُهم، ويُطَوِّلُ لهم أعمارهم، قال تعالى: ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [الأعراف: ١٨٣].
اللَّبَبُ: البال، يقال: إنه لَرَضِيُّ اللّبب، وفلان في لَبَبٍ رَضِيّ: في سعة وخصب وأمن.

(٢) وافى المكان: أتاه أو نزل فيه، أو قَدِم إليه. تَقْشَعِرُّ: تَرْجفُ وتضطرب.

(٣) جاب: طاف، تَجوَّل. الرَّجْلُ: المُشَاة من الجيش. الوهد: المنخفض من الأرض. الحدب: ما ارتفع وغلظ من الأرض.

(٤) الحَوْزُ: المِلْك، يقال: حاز الشيءَ حَوْزاً: ضَمَّه وامتلكه. بيضة القوم: حوزتهم وحِماهم، وبيضة الدار: وسطها.

(٥) الشُّمُّ: المرتفعة.

(٦) تَتْرَى: متتابعة. تَنْسَرِبُ تذهب، تمضي، تجري.

(٧) التمويه: الإخفاء والاحتيال والمخادعة.

(٨) العَطَبُ: الهلاك أو الفساد.

(٩) حَنَاهَا: أمَالها، عَطَفَها. الأوداج: جمع الودج: عِرْقٌ في العنق.

(١٠) مُهْتَضمٌ: مُنْتَقصٌ.

أَكْثَرْتَ في دولةِ المَهْدِيّ مِنْ شَغَبِ ... فَانْظُرْ إلى أيّ حالٍ سَاقكَ الشَّغَبُ[١]

يقول فيها لَطَفَ اللّه به بِمَنِّه:

يا داعيَ اللّهِ في الصُّنع الذي صَنَعتْ ... في عامِ تاريخهِ الأَشعارُ والخُطَبُ
ما زِلت مُذْ أوقدَ الهَيْجَا على ثِقَةٍ ... بِدَفعِ ما تُوجِبُ الأَقدارُ لا الشُّهبُ
أَسَرْتَهُ بَعْدَ سَلْبِ المُلْكِ مِنْ يَدِهِ ... فَصَارَ في قَبْضِكَ المَسْلوبُ والسّلبُ[٢]
لَكادَ فَضْلُكَ يُنسي ما وَهَبْتَ لَهُ ... مِنْ رُوحهِ وَهو مِمّا لَيْسَ يُتَّهبُ[٣]
وَالتْ رِجالُ الموالي في حِمَايتها ... وأَعْرَبَتْ عَنْ صَرِيحِ الطاعةِ العَرَبُ[٤]
وما وَنَتْ عَزْمَةُ الجندِ الذين إذا ... ما صَاح باسْمِكَ فيهم غالبٌ غلبوا[٥]
وَقدْ صَفا لكَ مُلْكُ الغَرْبِ أَجْمَعهُ ... وَدانَ مُنتزحٌ مِنهُ وَمُقترِبُ[٦]
فما تَوقُّفُ جُنْدِ النَّصْرِ عَنْ جِهَةٍ ... ضِيمَتْ بها مِضر واجْتُثَّتْ بها حَلَبُ[٧]
تَقلُّبُ الحالِ بالمخذولِ يُخبرنا ... أنَّ الزَّمانَ بأَهْلِ الرَّفْضِ مُنقَلِبُ[٨]
وَقَدْ أبحتَ الحِمَى من أهلِ دَعْوَتِهِ ... وَيُؤكلُ البُسْرُ حتّى يَنْضجَ الرُّطبُ[٩]
إذا العَمودُ مِنَ الفُسْطَاط صَرَّعهُ ... الأعضادُ لَمْ تَثْبت الأوتادُ والطّنبُ[١٠]
لا شَيْءَ في مَذْهبِ [الإقبال] مُقْتَرِنٌ ... بِوَجْهِكَ الطَّلْقِ إلّا عَامُنا الخَصِبُ
فَزادكَ اللّه عِزّاً تَسْتَديم بهِ ... نُعْمَاهُ ما دامتِ الأعمارُ والحِقَبُ[١١]
فَإنَّما أنتَ للإسلامِ مَوْهِبةٌ ... مِنَ المُهنى لِما يُعْطي وَمَا يَهَبُ

---

(١) الشغب: تهييج الشَّرِّ والفتنة.
(٢) السَّلَبُ: ما يُسْلَب: ما يُؤْخَذُ من الإنسان قَهراً، وأكثر ما يكون ذلك في الحروب.
(٣) يُتَّهَبُ: يُوهَبُ: يُعطَى الشيء بلا عِوَض.
(٤) والى فلان فلاناً: أحبه، أو نصره، أو حاباه. الصريح: الواضح، الخالص.
(٥) وَنَتْ: فترت، ضعفت، أعيت. العَزْمَةُ: القُوَّة والشِّدَّة والجدُ والصَّبْرُ.
(٦) المُنتزِحُ: المُبْتَعِدُ.
(٧) ضِيمَتْ: ظُلِمَتْ، أُهِينَتْ. اجْتُثَّتْ: اقْتُطِعَتْ، اقْتُلِعَتْ.
(٨) أهل الرفض: فئة من المسلمين كانت تجيز الطعن في الشيخين: أبي بكر وعمر، رضي اللّه عنهما.
(٩) البُسْرُ: ثمر النخل قبل أن يُرْطِب. الرُّطَبُ: نضيج البُسْرِ قبل أن يصير تمراً، وذلك إذا لان وحلا، أو ثمر النخل إذا أدرك ونضج قبل أن يصير تمراً.
(١٠) الفُسْطَاطُ: بيتٌ يُتّخذُ من الشعر. الطُّنب: حَبْلٌ يُشَدُّ به الخباء ونحوه.
(١١) الحِقَبُ: جمع الحقبة: المُدَّة من الزمن.

فَاضَتْ على جُنْدِكَ الأرزاقُ وَارْتَفَعتْ ... بِكُلِّ قُوّادك الأقدارُ والرُّتَبُ[١]

وَعمَّ مِنْ نيلكَ الصّافي صَوائِفَنا ... غَيْثٌ إذا قيلَ سَكْبُ السَّيْبِ يَنْسَكِبُ[٢]

نَصْرٌ عَزيزٌ وَعامٌ مُخْصِبٌ رَغدٌ ... لِلفِطر تُدْعَى به أيامُكَ القُشُبُ[٣]

وَإنَّ مَفْرِقَ مولانا وَسيِّدنا ... أَبي الوَليد بتاج المُلكِ مُعْتَصِبُ[٤]

وَما يُؤَخّر عَنها مَنْ يَكونُ لَهُ ... مَرْوَانُ جَدٌّ وَمَهْدِيّ الولاةِ أبُ[٥]

وقد قام عبد العزيز بن حُسَيْن القُرَوِيّ في ذكر حَسَن بن قَنُّون في شعر طويل منه: [من الطويل]

وَكَمْ رَامَ مِنْ غَاوٍ خِلَافاً لِأَمْرِهِ ... فَأَصْبَحَ مِنْهُ الرُّوحُ وهو زَهُوقُ[٦]

وَقدْ كَادَهُ مِنْ آلِ إدريسَ بائسٌ ... سَفيهٌ دَعاهُ لِلجَهالةِ مُوقُ[٧]

تَوهَّم أَنَّ البَحْرَ يُنْجِيه مَانعاً ... وَدارٌ مَداها في المجرَّة نِيقُ[٨]

فَحامَتْ عُقابُ الموتِ مِنْ فَوْقِ رَأسهِ ... بِقَادِمَتيْ ثُكْلٍ عليه تُحيقُ[٩]

فَأَصْبَحَ مِنْ تَحْت الحَضيضِ وَلِلرّدى ... عليهِ رُعُودٌ جَمَّةٌ وَبُروقُ[١٠]

أتى خَاضِعاً يَرْجُو الإمامَ وَعَفْوَهُ ... وَسَيْفُ مَناياهُ عَلَيْهِ ذَلِيقُ[١١]

وَقدْ سَدّ عَنْهُ خَوْفُه كُلَّ مَذْهَبٍ ... فما سَاغَ مِنْهُ في الحَيَازِمِ رِيقُ[١٢]

---

(١) الأقدار: المنازل، المراتب، الدرجات.

(٢) السَّيْبُ: العطاء، أو المعروف، أو النافلة.

(٣) القُشُبُ: جمع القشيب: الجديد، أو النظيف، يقال: للثوب، والسيف، واليوم، وغير ذلك.

(٤) مُعْتَصِبٌ: مَلْفُوفٌ، مَشْدُودٌ.

(٥) مروان: أي مروان بن الحكم الأموي. ومهديُّ الولاة: ممدوحه الخليفة المستنصر بالله.

(٦) رام: ابتغى، طلب، أراد. غاوٍ: ضَالٌّ. زَهُوقٌ: خارجٌ، يقال: زهقت نفسه زُهُوقاً: خرجت، والأصل في الزهوق: الخروج بصعوبة.

(٧) كاد فلاناً: خَدَعَهُ ومَكَرَ به. المُوقُ: الحُمْقُ في غباوة.

(٨) المَجَرَّةُ: مجموعة كبيرة من النجوم تَركَّزتْ حتى تَراءَتْ من الأرض كوشاحٍ أبيض. النِّيقُ: الطويل من الجبال، أو أرفع موضع في الجبل، ومنه يقال: «هو كالأنوقِ في النِّيقِ»: أي هو مُمْتَنِعٌ لا يُبلغ إليه.

(٩) الثُّكْلُ: فقد الحبيب أو الزوج أو الابن. تُحيق: تُحيط.

(١٠) الحضيض: الموضع المنخفض. الرَّدَى: الموت، الهلاك.

(١١) ذَلِيقٌ: حَادٌّ، قَاطِعٌ.

(١٢) الحيازم: جمع الحيزوم: الصدر أو وسطه.

فَلَوْلا أميرُ المؤمنينَ وَفَضْلُه ... لَحُزَّت حَشاً مِنْ جِسْمِهِ وَعُروقُ(١)
وَلاقْتَسَمَتْ أَشْلاءهُ الطيرُ وارْتَقى ... بِجُثْمانِهِ جِذْعٌ أَمَقُّ سَحُوقُ(٢)
أنا المنذر المُبدي [. . . .] لِكُلِّ مَنْ ... نأى أو دنا إنّي لها لَصَدُوقُ(٣)
لَقدْ طَلعتْ بالغربِ شمسُ خِلَافةٍ ... أضاءَ لها في المَشْرِقيْن شُرُوقُ
فَتِلْكَ الشآمُ اسْتَشْرَفتْ لِوُرودها ... وكانتْ لها قِدْماً عَلَيْهِ حُقُوقُ(٤)
لِيَجْلُو عَنْها ظُلمةَ الكُفرِ بالهُدَى ... إمامٌ على الدينِ الحنيفِ شَفِيقُ(٥)
أطلَّتْ على أهلِ العراقِ وَمَنْ بها ... مَذاهبُ فِيهنَّ الضلالُ عَرِيقُ(٦)
وَكَمْ بِبِلَادِ القَيْرَوانِ سَفاهَة ... تَهبُّ بها ريحٌ هناك خَرِيقُ(٧)
فيا خَيْرَ من صَلَّى وَصَام لِربِّه ... ومَنْ فخْرُهُ فوقَ النجومِ سَمُوقُ(٨)
لِيَهْنِكَ عيدُ الفطرِ جَذلانَ ناعماً ... وَنبْتُ المعالي في ذُراكَ وَرِيقُ(٩)

وخرج إلى المديح فأطال.

وقام عبد القُدُّوس بن عبد الوهَّاب في التهنئة بهذا العيد، والتعريج(١٠) على ذكر حَسَن بن قنُّون الحَسَنيّ، والفتح عليه بقصيدة طويلة أولها: [من البسيط]

يا عِصْمَةَ الدِّينِ والدُّنيا وَحافِظَها ... وَوَاحِداً في التُّقى والمَجْدِ والكَرَمِ(١١)
قَرّتْ عيونُ بني الإسلام إذ سَخِنَتْ ... بوقعِ بأسِكَ عَيْنَا جاحدِ النِّعمِ(١٢)
أَمْلَيْتَ لِلخائنِ المخذولِ مُدّتهُ ... حَتَّى طَغَى فتلَّقى الخِزْيَ مِنْ أَمَمِ(١٣)

(١) حُزَّتْ: قُطِعَتْ. الحَشَا: ما دون الحجاب مما يلي البطن كلّه من الكبد والطحال والكرش وما تبع ذلك، والحشا: الخَصْر.
(٢) الأشلاء: الأعضاء بعد التَّفرُّق والبلى. الجذع: ساق الشجرة. الأَمَقُّ والسحوق: الطويل.
(٣) في صدر البيت نقص في الأصل.
(٤) استشرفت: انتصبتْ وعَلَتْ.
(٥) الشفيق: المُشْفِقُ: الحَذِرُ، الخائف.
(٦) العَرِيقُ: الأصيل.
(٧) السَّفاهة: الخِفَّةُ والجَهْلُ والطَّيْشُ. الخَرِيقُ: الريح الباردة الشديدة الهُبوب.
(٨) السَّمُوق: الكثير الارتفاع والعُلُوّ، يقال: سَمَقَ الشجر وغيره سَمْقاً وَسُمُوقاً: ارتفع وعلا وطال.
(٩) جَذْلَان: فرحان، يقال: جَذِلَ الرجل جَذَلاً: فَرِحَ، فهو جَذِلٌ، وَجَذْلَان.
(١٠) عَرَّجَ على الشيء: انعطف ومال.
(١١) العِصْمَةُ: يقال: عَصَم الله فلاناً من الشرّ أو الفتنة عِصْمَةً: حفظه ومنعه ووقاه.
(١٢) قَرّت العين: اطمأنت وهَدأت وسَكَنت. جاحد النعمة: الكافر بها، المُنْكِرُ لها.
(١٣) أمْلَيْتَ مُدَّتَهُ: أمهلته، وطَوَّلْتَ له. طَغَى: تجاوز الحَدَّ. من أَمَمٍ: من كَثَب، من قُرْبٍ.

أَنـمْتَ مَـن كـانَ قـبلَ الـيـوم أَيْـقَـظَـهُ مِـنَ الـخـلافِ بـعـزم مِـنْـكَ لـم يَـنـم
رَمَـيْـتـهُ بـأسـودِ الـغَـاب مُـصْـلَـتـةً بيضَ السُّيوفِ فلم يَقْعُدْ ولم يَقُم[١]
وَلَّـى فِـراراً بِـنَـفْـسٍ غـيـرِ آمـنـةٍ قَدْ وُكِّلتْ بِفِجَاجِ الأرضِ والأَكَم[٢]
فَلاذَ بـالـحجرِ الـمَـهْـجُورِ مُنْجَحِراً لمّا رأى المَوْتَ رَأْيَ العينِ في الكَرَم[٣]
فَـلـوْ بِـجـوّ الـسـمـاءِ ظَـلَّ مُـعـتـلـيـاً لَمْ يَنْجُ منهُ وَلَوْ أَضْحَى من الرَّخَم[٤]
عَـجِـبْـتُ مِـن ضَـبُـعٍ رَامـتْ عـلـى غَـررٍ منها اعْتِراضَ هَصُورٍ سَاكن الأجَم[٥]
إمـامُ عَـدْلٍ بـتـاجِ الـمُـلْـكِ مَـفْـرِقُـه مُـعَـصَّـبٌ غَـيْـر عَـزْهَـاةٍ ولا بَـرم[٦]
إذا تـجـلَّـى حـسـبـتَ الـبَـدْرَ سُـنّـتـهُ يَجْلو سَنَا نُورِهِ منْ سُدْفَةِ الظُّلَم[٧]
أهل التُّقى والنُّهى يمضي على سَنَنٍ من الهدى طَاهرُ الأَخْلاَقِ والشِّيَم[٨]
مـا زالَ لِـلـكُـفْـر والإلـحـادِ مُـخـتـرِمـاً وَلِـلـهُـدى وَذويـهِ غَـيْـرَ مُـخـتـرِم[٩]
لَـوْلَا أذمَّـةُ قُـرْبَـى مـنـه تَـخْـفَـظُـهـا وَمـا يـمـتُّ بـهِ مـنْ مـاتـتِ الـرّحـم[١٠]
لَـغـادَرَتْـهُ الـلـيـالـي شِـلْـوَ حَـادِثـهـا صَرِيعَ حتفٍ بِحدِّ الصّارمِ الخَذم[١١]
يـا آل إدريـسَ قَـدْ أمـسـتْ مَـنـازلـكـم مَثْلَ اسْمِهِ باختَلافِ الريحِ وَالدِّيم[١٢]

(١) مُصْلِتَةً: من أصلتَ السيف: جرّده من غمده.
(٢) الفِجَاج: جمع الفَجّ: الطريق الواسع البعيد.
(٣) لاذ: لجأ واعتصم. مُنْجَحِراً: يقال: انْجَحَر فلان: دخل الجُحْر: حفرة تأوي إليها الهوام وصغار الحيوان، والمراد هنا: الحِصْن الذي لجأ إليه ذلك الآبق الخارج عن الجماعة.
(٤) الرَّخَمُ: طائر غزير الريش، أبيض اللون مُبَقَّعٌ بسواد، له منقار طويل قليل التَّقوُّس.
(٥) الغَرَرُ: الغَفْلَةُ وقِلَّة الفطنة. الهصور: الأسد. الأَجم: جمع الأجمة: الشَّجر الكثيف المُلْتَفُّ.
(٦) مُعَصَّبٌ: يقال: اعتصب بالتاج، وتعصَّب به: وضعه على رأسه، وتعصَّب العمامة: لَفَّها ولواها على رأسه. العَزْهَاةُ: اللئيم، أو العازف عن اللهو والنساء.
(٧) تَجَلَّى: ظَهَر. السُّدْفَةُ: الظُّلْمَةُ، أو اختلاط الضوء والظلمة معاً، كوقت ما بين طلوع الفجر إلى الإسفار، أو الطائفة من الليل.
(٨) السَّنَنُ: الطريق الواضح. الشِّيَمُ: الخِصَالُ، الطِّبَاعُ.
(٩) خَرَمَ الشيءَ: شقَّه، ومنه: اخترمته المنية: أخذته.
(١٠) الأَذِمَّةُ: جمع الذمام: العَهْدُ والأَمانُ والكفالة، أو الحَقُّ والحُرْمَةُ. مَتَّ إليه بقرابة ونحوها، مَتّاً: تَوَسَّل.
(١١) الشِّلْوُ: العضو، أو القطعة من اللحم، أو البقية من كلّ شيء، والجمع: أشلاء. وأشلاء الإنسان: أعضاؤه بعد التَّفرُّق والبِلَى. الصريع: المطروح أرضاً. الصارم الخذم: السيف الباتر القاطع.
(١٢) الدِّيَمُ: جمع الديمة: المطر الدائم في سُكون.

إذا يـمـرُّ بـهـا الـغـادي تُـذكـرُهُ ... مـا صـار يـتـلـوهُ مـن عـادٍ ومِـن إرَم[١]

كـأنمـا السّـقبُ في تـلـكَ الـديـارِ رَغَـا ... فَـعُـوجِـلوا مِنْ عـذابِ الـلّـه بالـنِّـقـم[٢]

كَـمْ حُـرْمَـة هُـتكـتْ فيـهـا ومَـا حُـفِـظَـتْ ... ولا رَعَـوْا حَـقَّـهـا لـلَّـه والـذِّمـم[٣]

إنَّ الإمـامَ إذا مـا صـالَ قـامَ لـهُ ... صَرْفُ الحَوادثِ مِنْ خَوفٍ على قَدَم[٤]

قَـدْ قَـدَّر الـلَّـهُ أَنْ تَـحْـوي كَـتـائـبُـه ... مُلْكَ العراقِ وملكَ الشام والحَرَم[٥]

كَـأنْ بـه وارداً مَـاءَ الـفُـراتِ ضُـحًـى ... والـمـاءُ قَـدْ مَـزجـتْـهُ خَـيْـلُـه بِـدَمِ

وخرج إلى المديح فأطال.

وقام ابن مجاهد الإسْتِجيّ الشاعر منشداً تهنئة الخليفة بالظفر بِحَسَن بن قَنُّون في أُرجوزة رفع بها في نهار هذا العيد أولها: [من الرجز]

لـمَّـا رأيـتُ الـسَّـعْـدَ قَـدْ تـوالـى ... وَعِـزَّ ديـنِ الـلَّـه قَـدْ تَـعـالـى

وَرَاقَ مُـلْـكُ الـحَـكَـم اقـتـبـالا ... واعـتـدلَ الـديـنُ بـه اعْـتِـدالا[٦]

وَعـادَ صَـفْـوُ شُـرْبِـهِ زُلالا ... وانـثـالَ صُـنـع الـبـارىء انْـثِـيـالا[٧]

فَـلَـمْ يَـدعْ لِـمَـارِقٍ مـآلا ... أعْـجَـلـهُ بِـبَـطْـشِـهِ إعْـجَـالا[٨]

حَـمْـداً يُـوَفِّـي حَـقَّـه كـمـالا ... وَيُـوجِـبُ الـمَـزيـدَ والإفـضـالا

ثم خلص إلى ذكر حَسَن بن قَنُّون بعد إسهابه[٩] في مدح الخليفة فقال:

ضَـلَّ الـذي عَـانَـدَهُ ضَـلالا ... ولُـقِّـي الـحُـتـوفَ والأَهْـوالا[١٠]

---

(١) الغادي: الخارج غُدْوَةً، ولعله أراد السّحاب الصّباحي.
عاد وإرم: قومان يضرب بهما المثل في القِدَم والفناء، ورد ذكرهما في القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيف فَعَلَ رَبُّكَ بِعَاد * إرَمَ ذات العِمَاد﴾ [الفجر: ٦، ٧].

(٢) السَّقْبُ: ولد الناقة الذكر ساعة يُولد. رَغَا البعير رَغْواً، ورُغاءً: صَوَّت وضَجَّ. النِّقَمُ: العقوبات، الواحدة: نِقْمَة.

(٣) هُتِكَت الحرمة: كُشِفت، أُزيل سَتْرُها.

(٤) صَالَ عليه صَوْلاً، وصَوَلاناً: سَطَا عليه ليقهره.

(٥) الكتائب: الفِرَقُ العظيمة من الجيش، الواحدة: كتيبة. الحرم: أي المسجد الحرام، أو مَكَّة وما حولها.

(٦) راق الشيءُ: صفا، وراق الشيء فلاناً: أعجبه.

(٧) الزُّلال: العَذْبُ الصافي. انثال الشيء: تتابع.

(٨) المارق: الخارج من الدين، المُنْشَقُّ عن الجماعة. المآل: المرجع، المصير. البطش: السطوة والقهر.

(٩) الإسهاب: التّوسُّع والتطويل.

(١٠) الحتوف: جمع الحتف: الموت والهلاك.

لَقدْ تَمنَّى في الخلا مُحالا وَجالَ مُغْويهِ به المَجالا[١]
انظرْ بَني مُحمَّد الضُّلالا المارقينَ الرّاكبي القِلالا[٢]
باغينَ دينَ اللَّه أنْ يُحالا وَمُستقرَّ الحقِّ أنْ يَزالا[٣]
وَحُرْمةَ الإسلامِ أنْ تُدالا وَلَنْ يُريدَ اللَّهُ أنْ يُعالى[٤]
يُطأطىء اللَّه منِ اسْتَطالا وَيَقْصِمُ المُعانِدَ المُخْتالا[٥]
وَذاكَ دأبُ اللَّه لَنْ يُزالا: تَوقلوا واَسْتَوْطَنوا الأجبالا[٦]
وَجاوَرُوا الأنوقَ والأَوْعالا مُناصبينَ الحَكَمِ النِّضالا[٧]
واللَّه في أحكامِهِ الجِدالا وَحُكْمُهُ يُوسِعهم إهمالا
مُنتظراً لِفَيْئهم إقبالا وَلَيْسَ أخذُ القادرِ اسْتِعجالا[٨]
وَلَنْ يَراهُم كُفؤاً أقتالا حتّى إذا ما انتهكوا الحَلالا[٩]
واهْتَضموا الدماءَ والأموالا وَعاصبوا، عَاجلهُمْ صِيَالا[١٠]
صَوْلةَ ضِرْغامٍ حَوَى أشبالا أرسلَ مِنْ جُيوشه أرسالا[١١]
مِثلَ الدّبا مُنسرباً نِسالا قَدْ سَدّ وَجْهَ الأرضِ والجِبالا[١٢]
والبحرُ لا يَهولُهم إنْ هَالا يَمْشُون فيه طُرقاً أذلالا[١٣]

---

(١) جال: طاف وتردّد. مُغْوِيه: مُضِلُّه.
(٢) القِلَالُ: جمع القُلّة، وهي من الجبل: قِمَّتُه، ومن كُلِّ شيءٍ: أعلاه.
(٣) باغين: راغبين. يُحَالُ: يُغَيَّر. زَال: تَحوَّل، أو تَلاشى واضمَحَلَّ.
(٤) دال الشيء: انتقل من حالٍ إلى حال.
(٥) طأطأ الشيءَ: خَفَضَهُ وحَطَّه. استطال: تعالى وتكبَّر. يَقْصِمُ الشيءَ: يكسره كَسْراً فيه انفصام.
(٦) وَقَلَ الرجل في الجبل: صَعَّد فيه.
(٧) الأنوق: العقاب أو الرخمة. الأوعال: جمع الوَعْل: تَيْسُ الجبل. ناصبه العَدَاء أو الحرب: أظهرها له وأقامها.
(٨) الفيْءُ: الرجوع، أو الخراج.
(٩) الكُفْءُ: المثيل في الشجاعة والقتال. الأقتال: جمع القِتْل: المثيل والنظير في القتال، وغيره.
(١٠)اهتضم الحقَّ ونحوه: انتقصه. الصِّيال: من صاوله مُصاولةً، وصِيَالاً: غالبه ونافسه في الصَّوْل: السطوة في الحرب.
(١١)الضرغام: الأسد. الأشبال: أولاد الأسد. الأرسال: الجماعات.
(١٢)الدّبا: الجراد، أو النحل. انسرب الماء ونحوه: سال، وانسرب في جحره: دخل. النسال: ما سقط من الصوف أو الشعر عند نَسْلِهِ.
(١٣)هال الأمر فلاناً: أفزعه. طُرُقاً: مُطأطِئين رؤوسهم، ساكتين من حيرةٍ أو خوف.

قَـدْ جـعـلـوا لِـظَـهْـرِهِ أجـلالا حـتّـى إذا جَـازوا بـه حـلالا[١]

عَـايـنَ مِـنْ مـنـظـرهـم أهـوالا قَـدْ طَـبَّـقـوا أقـطـارهـا نِـصَـالا[٢]

وَقُـضـبـاً هِـنْـديَّـةً صِـقَـالا وَضُـمَّـراً مَـذَاكـيـا تـغـالـى[٣]

تـخـالُ فـي أجـلالـهـا أغـوالا أجـبـال مـوتٍ تـحـمـلُ الأجـبـالا[٤]

تَـهـدي إلـى أعـدائـهـا الأقـلالا والـثُّـكْـلَ والـنـشـيـجَ والإعـوالا[٥]

مـا هُـو إلّا أنْ رأى الـقِـتـالا أبـطـالـه تـخـتـطـفُ الأبـطـالا

وَذاقَ مـن وَابـلـهـا أسـجـالا مَـريـرةً قَـدْ أعـقـبـتْ خَـبـالا[٦]

سَـحـائـبـاً تُـمـطـرهـم وبَـالا صَـواعِـقـاً وَسُـمَّـيـتْ نِـبَـالا[٧]

ومنها:

لـمـا رأى الـمَـوْتَ بـهِ قَـدْ جَـالا[٨]

وَشَـدَّ فـي خِـنَـاقِـهِ الـحِـبَـالا انْـحَـطَّ مِـنْ قَـلْـعَـتِـهِ اسْـتِـبْـسَـالا[٩]

قَـدْ أُنْـضِـيَـتْ أَعْـضَـاؤهُ سُـلَالا وَبـقِـيَـتْ عِـظَـامُـهُ تِـمْـثَـالا[١٠]

مِـنْ كُـلِّ خِـزْيٍ لابـسٍ سِـرْبـالا أُنـزل مـنْ أجْـحـارهِ إنْـزَالا

مُـحْـتَـرِشـاً كـالـضـبِّ مُـشْـتَـهـالا لا يـأمـنُ الـقـيـودَ والأغـلالا[١١]

---

(١) الأجلال: جمع الجَلّ: ما تُغَطَّى به الدابة لِتُصان.

(٢) طَبَّق الأرضَ: غَشَّاها وعَمَّها. النِّصَال: جمع النَّصْل: حديدة الرمح والسهم والسِّكِّين.

(٣) القُضُبُ: السيوف القاطعة، وقُضُبٌ صِقَال: مَجْلُوَّة. الضُّمَّر: جمع الضَّامر، وهو من الخيل: المُرَوَّض المُذَلَّل، أو الذي نحل وهُزِل وقَلَّ لحمه. وذَكَّى الفرس: أتى عليه بعد قُروحه سنة أو سنتان، أو ذهب حُضره وانقطع، وفي المثل: «جَرْيُ المُذَكَّيات غِلاب»، يُضرب لمن يُوصف بالتبريز على غيره.

(٤) الأَغوالُ: جمع الغُول: كلّ ما أخذ الإنسان من حيث لا يدري فأهلكه، أو المنية.

(٥) الثُّكْلُ: فقد الزوج أو الإبن أو الحميم. النَّشيج: الصوت المتردد في الصدر. الإعوال: رفع الصوت بالبكاء والصياح.

(٦) الوابل: المطر الشديد. الأسجال: جمع السَّجْل: الدَّلْوُ العظيمة. الخَبَال: النقصان، أو الهلاك، أو صديد أهل النار.

(٧) الوَبَالُ: الفساد، أو الهلاك، أو سوء العاقبة.

(٨) جال: طاف وتَرَدَّد.

(٩) استبسل الرجل استبسالاً: أقدم على الحرب مُوطِّناً نفسه على الهلكة.

(١٠) أُنْضِيَتْ: أُهْزِلَتْ. السُّلَالُ: مرضٌ يصيبُ الرئة يُهزل صاحبه ويضنيه ويقتله.

(١١) مُحترشاً: من احترش الضَّبَّ: هَيَّجه ليصيده.

وَلا الـصَّـقـيـلَ الـصَّـارمَ الـفَـصَّـالا   لَـكِـنْ تَـلـقَّـى مَـلِـكـاً مِـفْـضَـالا[١]
إذا اسْـتُـقِـيـلَ عَـثْـرةً أقَـالا   لا يُـعْـجِـلِ الـعُـقـوبَـةَ الـجُـهَّـالا[٢]
فَـعـادَ بـالـحُـسْـنَـى لَـهُ وَطـالا   وَلَـمْ يُـثـرِّبْ مـا جَـنَـى اسْـتِـهْـزالا[٣]
مـا لِـلـضِّـبـاعِ تُـوقِـظُ الـرِّئْـبَـالا   إنْـعَـمْ أمـيـرَ الـمـؤمـنـيـنَ بَـالا[٤]
وَدُمْ رَفِـيـعَ الـقَـدْرِ مُـسْـتَـنَـالا   تُـطـابِـقِ الأحْـقَـابَ والأَحْـوَالا[٥]

وفي صدر شهر شوال المؤرخ نفذ مَرْوَان بن أحمد بن شُهَيْد من قصر الزهراء إلى العسكر المقيم بالعُدْوَة خازناً على أوقار الأموال التي وجبت للجند وغيرهم من طبقات الحشم المُتلوِّمين بعد بالعُدْوَة لِشَظيف[٦] الأموال المَحُوزَة للسلطان.

وفيه دخل قُرْطُبَة مُحمَّد بن رِزْقِ الجَعْفَريّ الوالي على ثغر لَارِدَة[٧]، ومنتشون، وذلك الثغر القصي، دخولاً ظاهراً فلقي فيه بكتائب الخيل والعُدّة. ودخل بدخوله رسول طاغية بَرْشَلُونَة بريل بن شنير وهو غيتار صاحب مدينة بَرْشَلُونَة كبير أصحابه في نفر من أتباعه بكتابٍ إلى أمير المؤمنين يذكر محبته وصاغيته وغبطته بسلمه وابتغاء تجديدها. ودخل بدخوله أيضاً أشراكه ابن عمّ داود القومس رسول هوتو، ملك الإفرنج، بكتابه أيضاً يجدد صلته، وقدم فيه أيضاً أشتيبن بن أَبيكه رسول أسقف جرنش، ونونه بن غند شلب، صاحب قشتيلة بكتابه أيضاً يرغب في تجديد السلم ويضرع في تماديها لانصرام مدتها في هذا التاريخ. وقدم فيه أيضاً بلبيس بن سريط رسول فرذلند بن ألشور بكتابه يسأل تجديد السلم له وكف أوار[٨] الحرب عنه، فأنزل جميعهم وكرم مثواهم[٩].

وفي يوم الجمعة لعشرٍ خلون من شوال وُلِّي مُحمَّد بن عبد اللّه بن أبي عَامِر

---

(١) الصقيل: المَجْلُوُّ. الصارم: القاطع، الباتر. الفصّال: الذي يفصل أعضاء الجسم عن بعضها البعض، أو يفصل بين الحَقّ والباطل.
(٢) أقال عثرته: صَفَحَ عنه، وتجاوز عن ذنبه أو سوء فعله.
(٣) ثَرَّبَ فلان: أفسد، أو خلّط، أو قبّح.
(٤) الرئبال: الأسد.
(٥) الأحقاب: الدهور أو العصور.
(٦) كذا في الأصل. ولعلها «لِتَثْقِيف». أما «شظيف» فهي من: شظف العيش: ضاق واشتد، ولا مناسبة لها في هذا السياق.
(٧) مدينة مشهورة شرقي قرطبة، تتصل أعمالها بأعمال طرّكونة، وَيُنْسَبُ إلى كورتها عدد من المدن والحصون. (معجم البلدان، الحموي: ٥/ ٧).
(٨) الأُوار: اللَّهَبُ، أو الدخان، أو حَرّ الشمس والنار، أو العطش.
(٩) المَثْوَى: المقام.

خُطّة السِّكّة إلى ما يتقلده من الشرطة والقضاء بإشبيلية وكثيراً من الخطط، وصرف به عن ولاية السِّكَّة صاحب الشرطة العليا يَحْيَى بن عُبَيْد اللّه بن إدريس(١).

وفي يوم السبت نالت بعض الفتيان الأكابر الخلفاء مَوجدة من الخليفة لأمرٍ قصّروا فيه، فأهانهم وأقصاهم أياماً، ثم صفح عنهم وأقال عثرتهم، فَصَيَّرهم إلى حسن رأيه، حاشا موقس وشنيف الفتيين الكبيرين فإنه أمضى عليهما الموجدة وعزلهما عن الخلافة وأسقط عنهما الجرايات.

وفي يوم الإثنين لثلاث عشرة خلت منه خرج صاحب الشرطة العليا الناظر في الحشم قَاسِم بن مُحمَّد بن قَاسِم بن طُملس في كتيبة من الخيل إلى مدينة إشْبِيليَّة ليقبض(٢) على قوم من مجرمي أهلها، فتقوا السجن بها وعَصَوْا السلطان، وقد كان السلطان أمرَ عامله بها بضمهم إلى السجن بكثرة تخليطهم(٣)، والخوف منهم، فلما أعيا أمرهم أرسل الخليفةُ [قاسِم بن] مُحَمَّد بن قَاسِم بن طُمْلُس لتتبعهم والقبض عليهم فكان ذلك، وانصرف إلى قُرْطُبَة يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة بقيت منه وقد ظفر من هؤلاء القوم المجرمين من أهل إشْبِيليَّة بِمُحمَّد بن أحمد بن عبد اللّه بن مُحمَّد بن الأشعث القُرشِيّ، وَبِعُمَر بن خَالد بن عُثمان بن خَلْدُون الحَضْرَمِيّ، وبِحَبيب بن مُحمَّد بن عبد اللّه بن مُحَمَّد الخَوْلاني، المعروف بابن الدبّ، الذين كانوا فتقوا السجن، وفات الطلب منهم حَبِيب بن سُلَيْمان بن حجّاج، إذ تغيب ولم يُلْفَ بإشْبِيليَّة، فقبض ابن طُلْمس المذكور على خمسة من بني عمّه مكانه، وهم مُحمَّد وإبراهيم ابنا أحمد بن إبراهيم بن حجّاج المنتزي ـ كان قديماً ـ بإشْبِيليَّة ومُحمَّد بن عبد اللّه بن مُحمَّد بن حجّاج، وحجّاج، وقاسِم ابنا مُحمَّد بن قَاسِم بن مُحمَّد بن حجّاج، وأخذ معهم مُحمَّد بن عُثْمَان بن الخَزَر، فَقيَّدهم أجمعين، وقدمهم بين يديه، فلما صار إلى أمير المؤمنين أعلمه بنظره وما نفذ من عهده، فأمر بسجن مُحمَّد بن أحمد بن عبد اللّه بن الأَشعث القُرشي وعُمَر بن عُثمان وحَبيب بن مُحمَّد بن الدبّ، وعهد إليه سجن بني حجّاج المسلمين بابن عمّهم حَبِيب بن سُليمان إلى أن يظفر به وليكن ذلك أدباً لهم بما نُسب إليهم ورُفع عليهم، فسجن جميعهم بسجن الزهراء ليومهم.

---

(١) ورد من قبل في حوادث سنة ٣٦١هـ، أن محمد بن أبي عامر صُرِف عن ولاية السكة، ليتولّاها يحيى بن عبيد اللّه بن إدريس. وورد أيضاً أن يحيى لم يضرب ديناراً ولا درهماً حتى صُرِف عنها بأحمد بن حدير.

(٢) قَبَضَ على فلان: أمسك به، وأصل القَبْض: أخذ الشيء بقبضة اليد.

(٣) خَلَطَ الرجل في أمره: أفسد فيه.

فلما أن كان يوم الأحد لإحدى عشرة بقيت منه وصل إلى الزهراء الموكلون بطلب حبيب بن سُليمان بن حجَّاج وهو في أيديهم قد ظفروا به مع أخيه مُحمَّد بن سُليمان الملقب بالسُّلْسِلة، وكانا عندما اتصل بهما هذا الحادث على بني عمِّهما قد خرجا فارَّيْن بأنفسهما مُخفِيَيْن لأشخاصهما، قد أخذا على غير سبيل، وسلكا في غير طريق، فلما أعلم أمير المؤمنين بحضور حَبِيب بن سُليمان بن حجَّاج ووجدانه مع أخيه فَارَّين في بعض الشعاب، أمر بسجنهما من حينه، وأمر بإطلاق بني عمِّهما بني حجَّاج [. . .][١] منهم على ولايته بدار الصناعة بإشْبِيليَّة.

ذكر الخبر عن محنة ابْنَيْ الأنْدلسي

وفي يوم الإثنين لعشرٍ بقين من شوال أُنذِرَ الحكام والفقهاء والعدول بالاجتماع بمنية ابن عبد العزيز، فحضروا ووافاهم بها صاحب الخيل والحشم زِيَاد بن أفلح، فأرسل في جَعْفَر ويَحْيَى ابنيْ عليّ الأندلسي وقد كان أحكم معهما ما ذهب إليه أمير المؤمنين من دفع المال إليهما في أثمان عبيدهما الذين استعفوا من خدمتهما ومن الخروج معهما، ودعوا إلى الانتقال عن ملكتهما لسوء ما يجشمانهم، ونفذ العهد بالفصل معهما في التبايع بمحضرٍ من الفقهاء والعدول[٢] على ما كان أبرمه[٣] معهما، خالفاه وانصرفا عنه وخشّنا بالقول، وجهَّما بالردِّ، وبدا من أكبرهما، جَعْفَر، جفاء كثير واستخفاف لحقِّ الخلافة المعظم شأنها، استبانت فيه غائلته[٤]، وما يُكِنّ صدره من نيات شيعته، حتى علم مَنْ حضر من أهل العلم أنه نطق عن ضمير نغل[٥]، وصغوٍ مُستكن[٦] إلى أئمته الذين أظهر مفارقتهم من الشيعة ـ قبّحهم اللَّه ـ خالصٍ إلى المشارقة ـ قطع اللَّه دابرهم ـ ووجب على زِيَاد إعلام الخليفة بجميع ما دار في المجلس ووقفه عليه، وأمر باعتقال الرجلين لمكانهما والتوكّل بهما، وركب إلى الخليفة من فَوْره، وهو بمنية أرجاء ناصح، فتوصل إليه من ساعته وأعلمه بما جرى بينه وبينهما، وما بدا من جَعْفَر، فأحفظه ذلك وتذكر ما تقدم لِجَعْفَر في هذا العام من سرف الجفاء الذي ذاع عنه، ولم يخف عن الخاصة والعامة غلُّه، ولن تسوغ احتماله السياسة، فأمر زياداً بالعود إلى المجلس وإهانة جَعْفَر ويَحْيَى وأشياعهما بما يسوءهما،

---

(١) نقص في الأصل، ولعله أراد: «وأَقرّ منهم. . .»، واللَّه أعلم.
(٢) عَدَلَ عَدْلاً وَعُدُولاً: مال، وعن الطريق: حَادَ.
(٣) أَبْرَمَ الأَمْرَ: أَحْكَمهُ.
(٤) الغائلة: الفَسَادُ والشَّرُّ.
(٥) نغل قلبه على فلان: ضغن، ونغل بين القوم: نَمَّ وأفسد.
(٦) مُسْتَكِنٌّ: مُسْتَتِرٌ.

وحملهما راجلين من مكانهما إلى سجن الدُّويرة بمنية الزهراء، فتمَّ ذلك عليهما، وقامت منه قيامتهما.

فلما أن كان يوم الثلاثاء بعده، نزل الوزير الكاتب صاحب المدينة بِقُرْطُبَة، وصاحب المدينة بالزهراء، وصاحب الخيل في فصيل الدُّوَيْرَة، سجن الزهراء، فأخرجوا إلى أنفسهم يَحْيَى بن عَليّ، فَعدَّدوا عليه ما كان من هفوات[١] أخيه جَعْفَر وزلّاته[٢] في استخفافه وجفائه، ووبَّخُوه لمساعدته له، وعرَّفوه بزهائهما[٣] بأنفسهما مع ضعة آتيها[٤] وسقوطه، وَرَجَّوْه[٥] بغفرانِ أمير المؤمنين وكريم صفحه، فاعترف بالهفوة وتشكّر الإنابة، فأمروا بِحلِّ الكبل[٦] عنه وإطلاق ابنيه، وكانا قد سُجنا معه يوم سجنه، وأعيد يَحْيَى إلى المطبق مع أخيه جَعْفَر دون قيدٍ فمكثا فيه بقية سنة ثلاثٍ وستين وثلاثمائة، وصدراً من سنة أربعٍ وستين بعدها. فلما أن كان يوم السبت لاثنتي عشرة بقيت من رجب سنة أربعٍ وستينَ عهد الخليفة إلى الفتى الكبير فائق الصقلبي، صاحب البُرد والطراز، بالركوب من قصر قُرْطُبَة إلى قصر الزهراء والإيعاز عنه إلى صاحب الخيل والمدينة بها، زِيَاد بن أفلح، بإطلاق جَعْفَر ويَحْيَى ابني عليّ من المطبق بها، فأنفذ ذلك، وتوصل الفتى الكبير فائق إلى باب المطبق، فأدخل إليها من فتيانه من زينهما وأخذ من أشعارهما وخلع عليهما الخلع التي أمر لهما بها أمير المؤمنين فتجملت شارتهما وخرجا وقد أُعدّ لهما فرسان رائعان بحليتين فاخرتين، فركبا وصارا في موكب الفتى الكبير فائق إلى أن انتهيا إلى قصر قُرْطُبَة فأمرهما بالتوجه إلى دورهما وتعجيل مَسرَّة أهليهما، فذهبا مَسْرُورَيْن. فلما أن كان عشيّ النهار أرسل فيهما إلى القصر، فحضرا وقعد لهما الفتى الكبير، صاحب البرد والطراز فائق بسقيفة دار الحصى، وشهده أكابر الفتيان والوصفاء، فأوصل إلى نفسه جَعْفَراً ويَحْيَى فَقرّب مجلسهما، وعدّد عليهما ما كان من هفواتهما وزلتهما فاعترفا بالخطأ وأَقرّا بالذنب، ثم ذكر لهما أن أمير المؤمنين تغمَّد[٧] ذنبهما، وصفح عن زلّتهما، فاسْتَهلّا[٨] شاكريْن

(١) الهَفَواتُ: جمع الهفوة: السَّقْطَةُ والزَّلَّةُ.

(٢) الزَّلَّاتُ: جمع الزَّلَّة: السَّقْطَةُ أو الخطيئة.

(٣) زَهَا الرجل: تاه وتعاظم وافتخر.

(٤) الصواب أن يقال: «مع ضعةِ آتيه».

(٥) رَجَّوْه: أمَّلُوه.

(٦) الكَبْلُ: القَيْدُ، الجمع: أكبال.

(٧) تَغمَّد الذَّنبَ: سَتَرَهُ، وتَغمَّد اللّه فلاناً برحمته: غمره بها.

(٨) استَهلّا: رَفَعا صَوْتَيْهِما، من استهل الصَّبيّ: رفع صوته بالبكاء وصاح عند الولادة. ومنه: استهل الوجه: تَهلّل.

وابتهلا[١] داعييْن، ودفع لهما جرابيْن مَمْلُوءَيْن بِدر دنانير صلة لهما، وأمرهما بالانطلاق إلى منازلهما والاستقرار على أول حالهما مُتملّيْين نعمة الإقالة لهما، فاعتلى دعاؤهما وثناؤهما، وخرجا مكرميْن قد بلغا أملهما وأنهيا غايتهما، والمال محمول أمامهما، وقُرِّب لركابهما فَرَسَان رائعان، غير اللذيْن جاءا عليهما، بِسَرْجَيْن مُعرَّقيْن ولِجاميْن مُفرغيْن، على صناعة أهل المشرق، فانطلقا مَحبوريْن في مركب نبيل استركب معهما من وجوه الخمسيين وطبقات الجند.

وفي العشر الأخر من شوال من سنة ثلاثٍ وستين وثلاثمائة ورد كتاب الوزير القائد الأعلى غَالِب بن عبد الرَّحْمٰن يذكر انصِراف مُحمَّد بن وَليد ومُحمَّد بن مُوسَى من بني الطويل، رَسُوليْه من مدينتي فَاس المتوجهيْن إلى أميريهما عبد الكريم بن يَحْيَى صاحب عُدْوَة الأندلسيين من فَاس، ومُحمَّد بن حَسَن صاحب عُدْوَة القُرويين منها المقترن بهما في رسالته إليهما باستجابة جميعهم لما دُعُوا إليه من إمحاض[٢] الطاعة، والقيام ببيعتهم التي أعطوها وعقدوها عن كتب أمير المؤمنين الواردة عليهم المقروءة على عوامهم في جوامعهم بما يحتملون عليه من أداء طاعتهم من الدخول في الجماعة واتباع السنة والعمل بمذهب مَالِك بن أنس، إمام أهل المدينة ـ رضي اللّٰه عنه ـ وإقامة النافلة[٣] في شهر رمضان المعظم وتوقفهم عن العمل بما كانت ضُلَّال الشيعة زرعته عندهم من البِدَع[٤] والتبديل والتحريف، وأنهم تقبلوا جميع ما أُمِرُوا بالتزامه من جميع ذلك، ودخلوا فيه أفواجاً، ونبذوا ما عداه شاكرين للّٰه تعالى على هداه، حامدين لمن تحدَّاهم به وحملهم على سَنَنِه. وذكر الوزير غَالِب بن عبد الرَّحْمٰن أنّ عبد الكريم بن يَحْيَى ومُحمَّد بن حَسَن صاحبه وجَّها إليْه رهائنهما مع كتابي بيعتهما، وأنّ عليّ بن خلوف وجَّه إليه بابنه رهينةً مع كتاب بيعته، فاستوسق أهل المغرب على الطاعة؛ فكانت نسخة بيعة عبد الكريم بن يَحْيَى صاحب عُدْوَة الأندلسيين ما نصّه هذا: «بسم اللّٰه الرَّحْمٰن الرحيم. كتاب بيعة عبد الكريم بن يَحْيَى وجماعة الأندلسيين بني عَمِّه من أهل حاضرة فاس، كتبوه وثيقةً وحجّةً على أنفسهم وأشهدوا اللّٰه وملائكته وأنبياءه ورسله وأولي العلم من خلقه ومن حضر من جماعة المسلمين أنهم بايعوا اللّٰه عزَّ وجلَّ والإمامَ العدل الحكمَ المستنصرَ باللّٰه أمير المؤمنين، وألزموا أنفسهم طاعته لِيُوالوا مَنْ والاه وَيُعادوا مَنْ عاداه وَيَنْصُروا من

(١) ابتهلا: تَضرَّعا وَرَفَعَا صَوْتَيْهما بالدعاء.

(٢) مَحَضَ الطاعة: أخلصها، وإمحاض الطاعة: الإخلاص فيها.

(٣) النافلة: ما يزيد على الفرض من صلاة وصوم وزكاة، وغير ذلك.

(٤) البِدَعُ: المستحدثات من الأمور.

نصره، ولا يُلبسوا ولا يُدلّسوا[١] ولا يُوالوا أحداً سواه، ألزموا ذلك أنفسهم بالأيمان المؤكدة اللازمة لهم، وفي أعناقهم عهد اللّه المؤكد اللازم لهم والمشي إلى مكة وعليهم صدقة أموالهم للمساكين؛ وباللّه الذي لا إله إلّا هو الطالب الغالب المهلك المدرك الرَّحْمٰن الرَّحِيم أنهم لَبُرءَاءُ من الشيعة وأهلها، وأن يُواقوهم ولا يُراسلوهم سِرّاً ولا إعلاناً، تقاربوا منهم أو تباعدوا عنهم، وأنهم مستمسكون بالطاعة العاصمة من الزيغ[٢]، والخلافة المكرمة القائمة بالحق التي وَطّد[٣] اللّه مَبْنَاها وشرَّفها وعظَّمها على من سِوَاها، وأشهدوا اللّه وملائكته ورسله وأهل العلم من خلقه على ما ألزموه أنفسهم من القيام بالطاعة والعمل بِفُروضها وَمَسْنُونها، وأوجبوا ذلك على أنفسهم كَوُجُوب ما لزمهم من فُروض دينهم، إذ لا تتم ديانتهم إلا بالتصحيح لإمامهم واتباع أمره، والوقوف عند نهيه؛ فعند أدائِهم الطاعة يسلم لهم دينهم ودنياهم وآخرتهم وأُولاهـــم ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ١٠] وتاريخه عقب رمضان سنة ثلاثٍ وستين وثلاثمائة، وذلك بمحضر من علماء البلد وفقهائه وأهل الفضل منهم الذين ألزموا أنفسهم الطاعة والتزموا الأيمان المؤكدة، وذلك في صِحَّةٍ من عقولهم وأبدانهم، وكفى باللّه شهيداً. وخطّ في أسفله خمسة وثلاثون رجلاً أسماءهم.

فلما أن جاء يوم الأحد لإحدى عشرة بقيت من ذي القعدة وصل إلى قُرْطُبَة رهائن بني عبد الكريم بن يَحْيَى صاحب عُدْوَة الأندلسيين من فاس وهم إبراهيم بن حَمْدُون، وعِيسَى بن مُوسَى بن عِيَاض، وعَبْدُون بن مُحمَّد بن عبد اللّه، ومُحمَّد بن إبراهيم بن حُسَيْن، وهَاشِم بن سُليمانٍ. وَوَصَلتْ بِوُصُولهم رهائن عليّ بن خلوف أمير غمارة وهم مُحمَّد ابنه، ونَصْر اللّه بن العَاصِي، وعبد اللّه بن زيدان، وعبد العزيز بن حَسَن بن علاهم، وَقَنُّون بن هَارون، وزَكَريَّاء بن يَحْيَى، فأنزل جميعهم بمدينة قُرْطُبة في الدار المنسوبة إلى مُحمَّد بن وَليد بن غَانِم ليلة الإثنين لاثنتي عشرة ليلة بقيت منه. وحُمِلَ في هذه الليلة إلى دار الرُّهن المصاقبة لباب القنطرة صالحٌ وعليّ ابنا رَافع صاحب حصن حجبة ونفر من بني عمِّهما، أَرسل بهم الوزير القائد الأعلى غَالِب بن عبد الرَّحْمٰن مَكْبُولِيْن، معهم عيالهم وأولادهم، لِزَيْغِهم عن الطاعة، فأنزلوا في الدار المنسوبة إلى عُمَر بن غَانِم بالمدينة أيضاً. وجيء معهم بِخَميس بن جَامِع، وسَلَمة بن رَجَاء، والأحمر بن حَمُّود، وهَارُون الرسحاتي، ويَحْيَى بن يصلاتن، بعث بهم الوزير القائد

(١) دَلَّسَ الرجل: خَدَعَ وظَلَم وكتم الحقّ.
(٢) الزَّيْغُ: الضلال.
(٣) وَطَّدَ البنيان: ثَبَّتهُ وأَرْسَاه.

مَكْبُولين أيضاً، إذ كانوا قد نزعوا إليه فألحقهم وحملهم ووسّع عليهم، ثم هَمُّوا بالغدر وإشعال الفتنة، فقبض عليهم وأرسلهم، فَشدَّ محبسهم.

وورد كتاب الوزير القائد غَالِب بن عبد الرَّحْمٰن يذكر أنه أنذر عِيسَى بن أحمد بن مُحمَّد بن إدريس المعروف بحنون شيخ بني مُحمَّد، وإبراهيم أخاه، وَمَيْمُون بن القَاسِم، ويَحْيَى أخاه، وغيرهم من بقية آل إدريس بن إدريس بالتوجه إلى باب سُدَّة أمير المؤمنين فأظهروا السرور بذلك والحنين إليه، وأخذوا في التأهب له. وبعث حَنون بن أحمد إلى الإمام وَصِيَّةً في بنيه وأهله. وأمر الوزير القائد مع ذلك بتثقيفهم في العسكر والاحتراس بهم إلى أن ينفذوا إلى الأندلس، فنفذ الخبر بتوجه حَنون شيخ بني مُحمَّد وجماعة بني عمه الحسنيين المزعجين إلى الأندلس، إلى الجزيرة الخضراء، واحتلالهم بها يوم الخميس لعشر بقين من ذي القعدة منها.

وفي يوم السبت للنصف من ذي الحجّة خرج صاحب الشرطة العليا والحشم قَاسِم بن مُحمَّد بن قَاسِم بن طُملس إلى الجزيرة، ومضى معه شَاطِر الجَعْفَرِيّ صاحب خيل الأمير أبي الوليد ابن أمير المؤمنين بالأثقال المستعد بها لنزولهم من الأبنية إلى أوصال معها من السرادق، وضروب الوطاء والغطاء والآنية. ونفذ الكتاب إلى الوزير القائد غَالِب بالقفول من العُدْوَة في خاصة رجاله، وترك عمل المغرب لصاحبه الوزير القائد يَحْيَى بن مُحمَّد بن هَاشِم التجيبي في سائر الأجناد المتكاملة بالعُدْوَة، فعمل بذلك، وورد كتابه يوم الخميس لثلاثٍ بقين منه من محلته بسوق كُتامة يذكر قفوله، وأن اندفاعه من البَصْرَة كان يوم السبت لثمانٍ بقين من ذي القعدة.

فلما أن كان يوم الإثنين لثلاثٍ خلون من ذي الحجَّة بعده، أخرج الخليفة أحمد بن مُحمَّد بن حَفْص بن جَابِر إلى العُدْوَة بالأموال الواجبة للباقين بها قِبَلَ الوزير القائد بالمغرب يَحْيَى بن مُحمَّد، وأبطأ خبر جواز الوزير القائد غَالِب بن عبد الرَّحْمٰن البَحْرَ إلى أن وافى كتابه يوم السبت لثمانٍ بقين من ذي الحجَّة من هذه السنة بجوازه إلى الجزيرة الخضراء بجميع الأجناد مسلمين مؤيدين منصورين أَعزَّة، فكان احتلالهم في الجزيرة يوم الخميس لعشرٍ بقين من ذي الحجَّة.

ونفذ كتاب أمير المؤمنين إلى مُحمَّد بن حُسَيْن الطُّبْني القافل معه بالانصراف إلى الوزير القائد بالمغرب يَحْيَى بن مُحمَّد التُّجيبي إذ سأل استصحابه والأنس لمعرفته بأخبار البلد وأهله وحسن رأيه وولوجه[1] في شؤونهم، وكُرِّم مع ذلك بتولية خُطَّة العرض، فانتهى إلى ما أُمر به.

---

(١) الوُلُوجُ في الشيء: الدُّخُولُ فيه.

وفي صدر ذي القعدة منها [أمر] الخليفة المستنصر بالله بمخاطبة القواد والعمال بأقطار الأندلس بما صرف الله إليه نظره لزائغي المغرب المتصلين بعمله هناك للذي بلغه من إلحادهم في الدين، وزيغهم عن كثير من السنَّة. فتهيأ له استنزال أكبر مُضلّيهم حَسَن بن قَنُّون من معقله[١]، وإزعاجه إلى الحضرة، وكرور[٢] مولاه الممارس له، غَالِب بن عبد الرَّحْمٰن، بعد إنفاذه لجيشٍ نحو مدينة البَصْرَة للذي بلغه من تحرك اللعين ابن اللعين، ابن زِيري خليفة الشيعي مَعَدّ [بن إسماعيل] على إفريقية، إلى جانب تَاهَرْت مُظهراً قصده. فلما بلغه توجّهه نحوه ولّى ناكصاً على عقبه، وتم إذعان ملوك وزعماء الصقع للخليفة المستنصر بالله وإيتاؤهم البيعة له، وإنفاذهم رهنهم مع بيعاتهم إلى الوزير القائد غالب عامله، فنفذ، بذكر ذلك كله، كتاب من إنشاء الوزير الكاتب صاحب المدينة بِقُرْطُبة جَعْفَر بن عُثمان، نسخته:

«بسم الله الرَّحْمٰن الرَّحيم، الحمد لله المحيط الذي لا يحاط به، والظاهر الذي لا يظهر عليه، الواحد الذي لا يكاثر، والقادر الذي لا يقادر، مُقدّر الأقدار، ومُصرّف الأعصار[٣]، ومُكَوّر[٤] الليل على النهار، المتعالي عن العيان، والممكن بكل مكان، الموصوف بما علمنا من صفاته، المعروف بما أرانا من آياته، المعين على طاعته بقدرته، المُيسّر لموجبات جنته برحمته، الذي أنطق كل شيء خلقه برحمته، وألزمه الدليل على الافتقار إليه، وأوقعهم [في] مهانة الفناء قبل خلقه لهم، ولم يجعل لأحد منهم أجلاً معروفاً ليسكن إليه، ولا أمداً مكشوفاً يطمئن إليه، بل أبقاه على شكٍّ من كرَّة لحظٍ أو ردَّة نفس، وأرسلهم بين أمدٍ ممدود، وأجلٍ محدود، حتى إذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون، فتبارك الله أحسن الخالقين. والحمد لله رب العالمين الذي اصطفى من عباده صفوةً اختصهم بكرامته، وأعزهم بفضيلة نبوته، وجعلهم وسائط بينه وبين عباده، فأيدهم بالسلطان والبرهان، وعضدهم بالآيات البينات، والشواهد المعجزات، وبعثهم مبشرين ومنذرين، مُرّغبين في ثوابه، مُحذِّرين من عقابه. يتلو بعضهم بعضاً من كل جيل وعلى كل زمان. ثم ختمهم بأكرمهم عنده مكاناً، وأرفعهم لديه منزلة، محمد ﷺ، أرسله إلى الناس كافة بدين الإسلام الذي نسخ الأديان، ونهج به مناهج الإيمان، وأيده بالقرآن، والحجة القاطعة والبرهان،

(١) المَعْقِلُ: المَلْجَأ والحِصْنُ.

(٢) كَرَّ الرجل كُرُوراً: رَجَعَ.

(٣) الأَعْصَارُ: الدُّهور.

(٤) كَوّر الله الليل على النهار، والنهار على الليل: أدخل هذا في ذاك، أو زاد في هذا من ذلك، قال الله تعالى: ﴿يُكَوِّرُ اللَّيْلَ على النهار وَيُكَوِّرُ النَّهار على اللَّيْلِ﴾ [الزمر: ٥].

فدعاهم إليه تبارك وتعالى، ودلّهم عليه وشرع لهم شرائع طاعته، وأوضح لهم الأعمال الموجبة لِجنَّته، وأفصح عن الحلال والحرام والمفروض والمسنون، وأراهم الصراط المستقيم، وهداهم السبيل المستبين وأنبأهم أن الإسلام دين أصفيائه وملة أنبيائه وأوليائه، الذي كرَّم اللّه دعوته وأفلج حُجَّته، وأعلى منزلته، وجعل كلمة حزبه العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى، وأظهر فضله لقوله تبارك وتعالى ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٣] وقوله: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥] وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢] فجاهد، ﷺ، حق جهاده مَنْ رَغِبَ عنه أو أبى منه أو فارق جادته، أو أخرج رأسه من رَبِقته[(١)]؛ حتى أبان اللّه عزَّ وجلَّ فضله، وكثر عدد أهله، ودخل الناس أفواجاً فيه، ولزمت به الحجّة، وارتفعت عنه الشبهة، وقامت به المعذرة، وتمت نعمة اللّه على من اعتقده، وأرشده ووفَّقه وسدَّده، وجعل له نوراً بين يديه ومن خلفه، ثم رفعه اللّه تبارك وتعالى إليه عزيزاً عليه، مكرماً عنده، أثيراً عليه، وجعله الشهيد على جميع العالمين، وأفرده بالشفاعة يوم الدين، إكراماً له ومن آمن به ﷺ وعلى جميع المرسلين وآله الطيبين، وسلام عليه وعليهم في العالمين. والحمد للّه الذي اصطفى من عِتْرَتِهِ[(٢)]، وانتخب من دَوْحَتِه[(٣)]، خلائف في أمته، حملةً لِسُنَّتِهِ، حفظةً على شريعتِهِ، رُعاةً لخلقهِ، قَوَمةً[(٤)] بعقوده، وجعلهم خلفاء على عباده، ذادة[(٥)] عن حزبه، علماً بهم، وتكريماً لهم، وتزكيةً لبصائرهم وتنبيهاً على فضل سَرائرهم، فقاموا بحقه عليهم، ولم يرضوا من أحد بغير ما رضيه اللّه لهم، ولا أغمضوا على داخلة أدخلها مارق[(٦)]، ولا شبهةٍ قام بها فاسق، ويتعاقبون ذلك بينهم، ويورثه سالفهم خالفهم. حتى أورث اللّه تعالى مقامهم وارث شرف أنسابهم، وحائز[(٧)] كرم أحسابهم، والمتهدي بهديهم، والمتحمل على سننهم، والسائر سيرتهم، والرافع لمعالم مناقبهم، أمير المؤمنين، بجميل نظره فيما قلّده اللّه من رعاية

---

(١) الربقة: واحدة الرِّبَق: حبل ذو عُرَى، أو حلقة لربط الدواب، أو الخيط، ويقال: حَلَّ ربقته: فَرَّج كربته، ويقال: لا يرضى الحُرُّ في رِبْقَة الذُلِّ.

(٢) العِتْرَةُ: نَسْلُ الرجل ورهطه وعشيرته.

(٣) الدَّوْحَةُ: الشجرة العظيمة ذات الفروع الممتدة.

(٤) قَوَمَةٌ: أي: قائمون.

(٥) ذادة عن حزبه: مُدافعون.

(٦) مارقٌ: خارج على الدين، مُفارق للجماعة.

(٧) حَائِزٌ: مَالِكٌ.

خلقه، فأعمل ذلك جهده وصبره وكدّه[١]، حتى عاد الدين غضًّا[٢] على حاله في عهدهم، واجتمع الناس على أوضحه منهاجاً، وأعدله طريقاً، وأهداه سبيلاً، وصاروا على الحق أعواناً، وفي تعاطيه بينهم إخواناً، واطمأنت بهم قواعد الإيمان، واعتدلت بعدله عليه صروف الزمان: فالصلاح شامل، والخير شائع، والسبل مبسوطة، ودروب المسلمين مُحصَّنة، وأطرافهم مُثقَّفة، وعدو الإسلام مَقْمُوعٌ[٣]، وأيدي المسلمين عليهم غالبة، فضلاً من اللّه ونعمة واللّه ذو الفضل العظيم. ولما كفّ أمير المؤمنين غَرْبَ[٤] المشركين ودفع بأسهم وأوقعهم تحت الخشية والذلة والخشوع له والإذعان إليه، وصارت أوامره ونواهيه نافذة عندهم، وماضية لديهم، عاد بشرف نفسه، وعُلُوّ همته، وتمكن رغبته في رعايته المسلمين حيث كانوا، وحمايتهم وتحصين شرائعهم، وجهاد المتطاولين إلى تبديلها، ونقض ما أحكمه الكتاب والسُّنَّة منها من أرباب البدع، وغواة الشيع، وأئمة الإلحاد، المارقين عن الدين إخوان الشياطين، فكان أول جانب من نواحيهم ردّ إليه نظره ووكل به همته جانب المغرب لقربه منه وانكشاف ما كان يركبه أهله به من سَوْمِهم تبديل دينهم، والدخول بينهم وبين ربهم، وإخراجهم عن سُنَّة نبيهم ﷺ، وما أمضاه الخلفاء الراشدون رضي اللّه عنهم من أحكامهم على سبيل إجماع أسلافهم، وما ينالونهم في التوقف عن ذلك من انتهاك حرماتهم، واستحلال محارمهم، إذ لم يسعه الإمساك عن تلافيهم وانتشالهم[٥] عن أيدي المردة الظلمة لهم. وقد بسط اللّه يده ومكن له في أرضه، وأعزَّ من سلطانه، وكثّر عدده وقامت حجته عن وجهه بما آتاه من فضله وأحضره إياه من توفيقه وإرشاده واستهلاله لكل جليلة في ابتغاء مصلحةٍ من مصالح المسلمين، يكرمه بعاجلها، ويدَّخِرُ له خير آجلها، ويثبت قدمه في السعي لها، ويؤتي أعوانه وأصحابه في كل ذلك عزماً نافذاً ورأياً ثاقباً، ونيَّةً لا تدخلها فترة[٦]، ولا تعتريها سآمة. فأيَّد اللّه تعالى جنده، ونصره وأعلاه وأظفره بمن قد كان جاهره بمعصيته وأعلن مخالفته، وتجانف[٧] عن طاعته، وأخذَ له بناصيته، وأوقعها تحت رغبته ورهبته، حتى استوسقت الطاعة في جميع بلاد المغرب، وقامت الدعوة بمنابر قواعده، وارتفعت الخطباء عليها بما يجب من تعظيم

---

(١) الكَدُّ: الكَدْحُ والجهد.
(٢) الغَضُّ: النَّضرُ الطَّرِيّ.
(٣) المقموع: المضروب على رأسه، أو الممنوع عما يُريد، أو المقهور.
(٤) الغَرْبُ: النشاط والتمادي في الشيء، والغَرْبُ أيضاً: أوّل كلّ شيءٍ وحَدُّه.
(٥) انْتَشَلَ الشيءَ ونَشَلَهُ: أسرع نَزْعَهُ.
(٦) الفَتْرَةُ: الضَّعْفُ والانكسار.
(٧) تجانف عن الطاعة: عَدَلَ عنها.

اللَّه عزَّ وجلَّ وتحميده وتمجيده، والثناء على رسوله ﷺ واصلة ذلك بالدعاء لأمير المؤمنين ولجماعة المسلمين».

«ولما أن عاد الوزير القائد غَالب مولى أمير المؤمنين إلى البَصْرَة للذي كان بلغه من تحرك الفاسق ابن الفاسق بُلُقّين بن زِيري إلى جانب تَاهَرْت، واستقر بها عاملاً على التقدم إليه، حاول الحركة إلى الجانب الذي يليه، كرَّ عدو اللَّه راجعاً، وعاد على عقبه ناكصاً قد ملأ قلبه ذعراً وجوانحه فرقاً، عهد أمير المؤمنين إليه ألا يتقدم عن مكانه إشفاقاً من معرَّة الجيوش على من يليه من أولياء الطاعة إلى جانب فاس وما يليها، وأن يذهب بالكثير من معايشهم وأقواتهم، إذ كانت زروعهم غير مستحصدة ولا متمكنة، فأتاه وجوهٌ من رجال فاس وذلك المغرب كله، ووجّه إليه عبد الكريم بن يَحْيَى، ومُحمَّد بن حَسَن صاحبا عُدْوَتَيْ فاس رهائنهما، ووَجَّه عليّ بن خَلوف المتيلي بابنه وبرهائنه أيضاً. وتوالى عنده رسل بني أبي العافية سائلين موالاتهم مَنْ عزَّ سلطانه ورفع عنهم من بأس الفرقة الضالة المُضِلّة الذي كان أطبق عليهم وأحاط بهم، مستظهرين بذلك على خالص معتقدهم وتمكن طاعتهم والتزامهم إياها مخلصين، وإجابتهم داعيها مُهطعين[١]، وإحراقهم منابر الضالين المعمورة بما لا يرضي اللَّه تعالى جَدّه ولا رسوله ﷺ، وامتثالهم مذهب الجماعة في صلواتهم وأذانهم وسننهم وأحكامهم، وضربهم السكك باسمه وعلى عياره، فتمت بذلك نعمة اللَّه تعالى على أمير المؤمنين وعليهم به، واسْتَلَّت[٢] طاعتُهُ أضغانهم، وألَّفتْ بين قلوبهم، وتضافرت[٣] على المخالفين أيديهم، والحمد للَّه رب العالمين. وأمير المؤمنين يأمرك أن تقرأ كتابه هذا على منابر عملك لِتسرَّ المسلمين بما تضمنه، ويحمدوا اللَّه عليه إن شاء اللَّه، وهو المستعان؛ وكتب في صدر ذي القعدة سنة ثلاثٍ وستين وثلاثمائة».

وفي يوم السبت لتسع خلون من ذي القعدة جلس أمير المؤمنين على السرير بقصر الزهراء جلوساً فخماً قامت المراتب له بداخل القصر وخارجه، وحجبه من عن يمينه الوزير الكاتب صاحب المدينة بِقُرْطُبَة جَعْفَر بن عُثمان، وتحته صاحب الخيل والحشم زِيَاد بن أفلح، ووصل الصفين في الحَجَبة طبقات أهل الخدمة على مراتبهم، فأوصل إلى نفسه رسول طاغية بَرْشَلُونة غيتار صاحب مدينة بَرْشَلُونة لأميرها بريل بن شنير فأوصل كتابه، وتألى[٤] عليه بالتزامه الطاعة واستقامة طريقته، وتوصل إثره

(١) مُهْطِعُون: مُسْرِعُون.

(٢) اسْتَلَّ الشيءَ: انتزعه وأخرجه.

(٣) تضافرت: تعاونت.

(٤) تَألّى عليه: أقسم، حَلَفَ، والمراد: أنه ألزم نفسه يميناً بالتزام الطاعة...

إشراكه رسول هوتو ملك الإفرنج فأوصل كتابه أيضاً مجدداً لعهده ومؤكداً لعقده، ثم توصل أشتيبن بن أبيكة [رسول] أسقف جرنس، ونونة بن غند شلب صاحب قشتيلة وبلبيس بن شريط رسول فرذلند بن ألشور، فأوصلا كتابهما وقالا بما أُمرا به من الاغتباط باستمرار [السلم] (وقد أحس منه التنزي على مكثه)، فَقُرِّب رسولاه في الجواب، وأمضيت لهما الصلة المعتادة، وانطلقا لسبيلهما في العشر الأواخر من ذي الحجَّة.

وفي عشر ذي الحجَّة، يوم جلوس الخليفة لهما، يوم دخلا إليه، وصل إلى الزهراء مَرْوَان بن أحمد بن عبد الملك بن شُهيد خازن السفر منصرفه من العسكر بالمغرب قد بلّغ الأموال وأعطاها الأجناد المتخلفين بها مع الوزير القائد يَحْيَى بن مُحمَّد التُّجِيبي المنفرد بالقيام بها بعد قفول الوزير القائد الأعلى غَالِب بن عبد الرَّحْمٰن عنهما، وبعد أن ارتقى إلى حصن الحجر الذي استنزل منه ابن قَنُّون، وأخذ مساحته على ما أُمر به فرفع بها، وحان استحقاق الجند هناك قِبل الوزير يَحْيَى بن مُحمَّد لشهر ذي الحجّة من هذه السنة فأخرج الخازن أحمد بن مُحمَّد بن حَفْص بن جَابِر إلى العُدْوَة بالأموال الواجبة لهم في يوم الإثنين لثلاثٍ خلون منه.

ذكر عيد الأَضحى الكائن في هذه السنة

وافى يوم الإثنين عاشر ذي الحجّة، فجلس أمير المؤمنين فيها للتهنئة أفخم جلوس وأحفله، فوق السرير في المجلس الشرقي بالسطح العليّ، الموفي على الرياض، ووافى الإخوة فأذن لهم قبل الناس فسلموا، وقعد منهم عن ذات اليمين أبو الأصبغ عبد العزيز الشقيق، وتحته المغيرة أبو المُطرِّف، وعن ذات اليسار الوزير الكاتب صاحب المدينة بِقُرْطُبَة جَعْفَر بن عُثْمَان، وتحته صاحب الخيل والحشم زِيَاد بن أفلح، وتحته صاحب الشرطة العليا أحمد بن بسيل. وحجبه عن ذات اليسار صاحب المدينة الزهراء مُحمَّد بن أفلح، وتحته صاحب الشرطة العليا أحمد بن سَعْد الجعفري. ووصل صَفَّهم أكابرُ أهل الخدمة على مراتبهم: أصحاب المخزول والعُرَّاض والخزَّان وأصحاب الحشم وغيرهم. وقد قام في المجلس الترتيب التام والتعبئة الكاملة من الفتيان الأكابر، ومن بعدهم من الكُتَّاب والوصفاء، ومن يليهم من الطبقات على مراتبهم. وقعد الأمير أبو الوليد هِشَام ابن أمير المؤمنين يومه هذا أول يوم قعد فيه للناس في المجلس الغربي المعروف بمجلس الأجراء في السطح المُعلّى على الرياض، فقابل بمقعده مقعد أبيه الخليفة، وقد تجلل بالوقار وأظلته السكينة فأشبه أباه وسيده أمير المؤمنين، وماثله في شعر قاله فيه عُبيد اللّه بن يَحْيَى أول قعود قعده للناس صدر دولة أبيه الناصر لدين اللّه[1] رحمه اللّه في أضحى سنة ثمانٍ وثلاثمائة: [من البسيط]

---

(١) توفي سنة ٣٥٠هـ/ ٩٦٢م، بعد حكم دام خمسة وعشرين عاماً، وهو أول من تَسمَّى بـ «أمير=

كَهْلُ القَرِيحَةِ طِفْلُ السِّنِّ مُقْتَبلٌ كَذَاكَ أَنْجَبُهُ كَهْلُ النُّهَى يَفَعُ[١]

فحجب الأمير هِشَاماً يومه هذا عن ذات اليمين خاله رائق بن الحكم، وصاحب الشرطة الوسطى عبد الرَّحْمٰن بن يَحْيَى بن هَاشِم التُّجِيبي، وعن ذات اليسار صاحب الشرطة العليا يَحْيَى بن إدريس، وتحته صاحب الشرطة العليا والحشم قَاسِم بن طُملس، ووصل صفَّيهم من رسم للتبين، إلى هنالك من طبقات أكابر أهل الخدمة قد ألحق منهم بأولاد الوزراء أكثرهم أَبناء الأحياء منهم، فيهم بنو الوزيرين: عبد الرَّحْمٰن بن مُوسَى بن مُحمَّد بن حُدَيْر بن مُوسَى، ومُحمَّد بن أحمد، وبنو الوزير مُحمَّد بن عبد اللّه بن بَدْر، وبنو الوزير جَعْفَر بن عُثمان، وبنو الوزير مُحمَّد بن عبّاس، وأبناء الوزير أحمد بن عبد الملك بن شُهَيْد، ومُحمَّد ابن الوزير سَعْد بن الحكم. ودخل مدخلهم ولحق بخاصتهم من غير أبناء الوزراء أولاد صاحب المدينة مُحمَّد بن أفلح، ومحمد بن رِزْق بن الحكم، وأبناء أحمد بن عبد الحميد بن بَسيل، وغيرهم. وكان عن يمين الأمير أبي الوليد من الفتيان الأكابر الخلفاء مَعْقِل الفتى الكبير خادمه، وعن يساره منهم سُكر الفتى الكبير، وبعده مُرتاح الفتى الكبير خادمه، واصطفت عن يمنة منه فتيان القصر بِقُرْطُبة، آخر الدول منهم، فكان لهذا اليوم موسم وسيم وحفل عظيم، ظل كل من بدأ بالتسليم على أمير المؤمنين من رجالات قريش والموالي وطبقات رجال قُرْطُبَة وصنوف الأجناد وبياضها وعلمائها أهل الشورى والقضاة بالكور والحكام وأكابر الأجناد يُثَنُّون بالأمير [أبي] الوليد هِشَام بن أمير المؤمنين بالتسليم فوجاً بعد فوج وجملةً بعد جملة، اشتمل ذلك على الوجوه الإخوة أعمامه ومن يليهم من الوزراء والحكام والأعلام. [وتقدم] الخليفة المستنصر باللّه الحَكَم أمير المؤمنين بإنذار حَسَن ويَحْيَى ابنيْ القَاسِم الحَسنيين المُستنزلَيْن من العُدْوَة بحضور هذا اليوم، فحضرا وقضيا حق التسليم عليه وعلى الأمير ولده مع بنيهما وأهليهما، فكان حضورهم يومئذ مُذْعِنين[٢] بعد ما كان من عُتُوِّهِمْ[٣] مُحاربين، من أرفع زين ذلك العيد وأذهبه في اكتمال العزة، وأقعدت جماعتهم بعدَ

= المؤمنين» في الأندلس، إذ كان الأمراء من قبله يُسَلَّم عليهم، ويُخْطَبُ لهم بالإمارة فقط. (جذوة المقتبس، الحميدي: ٢٦).

(١) القريحة (من الإنسان): طبيعته التي جُبِلَ عليها، أو ملكة يستطيع بها ابتداع الكلام وإبداء الرأي. النهى: العقل. وأراد بكهل القريحة والنهى: الاتّزان والرشاد واستحكام العقل والتَّصرُّف والسلوك. اليفع واليافع: الذي شارف الاحتلام.

(٢) أذعن: خضع وانقاد.

(٣) العُتُوُّ: الاستكبار وتجاوز الحَدّ.

قضائهم ما عليهم في البهو الثاني المتصل بالبهو الذي قعد فيه الخليفة يعاينون جلال الحال إلى أن حان خروجهم مع قريش الصلب، قد بلغت قلوبهم الحناجر[١] أسىً وحسرة. وظلت الخطباء والشعراء خلال ذلك كله تستبق في وصف هذا اليوم مرتجلةً ومنشدةً فأكثرت واسحنفرت[٢]، فكان من أحسن ذلك لدينا قول أحمد بن عبد الملك في قصيدة حسنة أولها: [من الطويل]

جَلا العيدُ بَدْرَ الملكِ في فَلك العُلَى ... فَلمْ يَألُ في تَحْسِينه حُسْنُ ما اجْتَلى[٣]

هِلالٌ أضاءَ الأرضَ شَرْقاً وَمَغْرِباً ... فَكَبَّر رائيه سُروراً وَهَلَّلا[٤]

تطلع بدراً كاملاً وإذا وَفتْ ... لَياليه واسْتَوْفى السَّنا كان أكْمَلا[٥]

كسا العيد إشراقاً بغُرَّتِه التي ... يكفُّ سَناها الطَّرْفَ أنْ يَتأمَّلا[٦]

وَجلَّلهُ نُوراً وإنْ كانَ لَمْ يَزلْ ... بنُورِ أبيه مُنْذُ كانَ مُجلَّلا[٧]

وفي وَضَحِ التَّحْجيل لِلخَيْل زِينةٌ ... وَقد فضلوا مِنها الأغرَّ المُحجَّلا[٨]

أعاد الربيعَ الطلقَ قَبلَ أوانهِ ... بِوَجْهٍ أراه الدهرَ بالسعدِ مُقْبِلا[٩]

وَردَّ على الأرضِ الرياضَ وَزَهْرَها ... وأوسعَ منها الخِصْبَ ما كان مُمْحِلا[١٠]

حَباهُ أمير المؤمنين خَلائقاً ... هي الروضُ جَادتْهُ السحائِبُ حُفّلا[١١]

وألقى عليه شِبْهَه فاعْتَلى بهِ ... على الخلقِ فضلاً بائناً وتَفضّلا[١٢]

وَقدَّمه في العيدِ مُجتلياً لهُ ... فأكْرِمْ بِما جلّاه مِنْهُ وما اجْتَلَى

وَحمّلهُ عَهْدَ الخِلَافةِ نَاشئاً ... فَقَامَ بهِ لا يَأْتلي مُتجمِّلا[١٣]

---

(١) بلغت القلوب الحناجر: صعدت إليها من الخوف.

(٢) اسْحَنْفَر الشاعر أو الخطيب في كلامه: مضى فيه ولم يتمكَّث.

(٣) جلا: كشف وأظهر. لم يأل: لم يُقصِّر أو يُبطىء.

(٤) هَلَّلَ الرجل: قال: لا إله إلّا الله.

(٥) السَّنا: البريق واللّمعان.

(٦) الغُرّةُ (من الهلال): طلعته، و (من الرجل): وجهه، وغُرّة كُلّ شيءٍ: أوله وأكرمه.

(٧) جَلَّلَ الشيءَ: عَمَّهُ أو شمله أو غطاه.

(٨) التحجيل: بياض في قوائم الفرس أو في جزءٍ منها لا يجاوز الركبتين والعرقوبين.

(٩) الطَّلْقُ: الضَّاحكُ المُسْتَبْشِر.

(١٠) المُمْحِلُ: المُجْدِبُ.

(١١) حَباهُ: اختصَّه. جادته السحائب: أصابته أو عَمَّتْهُ بأمطارها. الحُفَّلُ: الممتلئة بالماء.

(١٢) البائن: الظاهر الواضح، يقال: بان الشيء بياناً: ظهر واتَّضح.

(١٣) المُتَجَمِّلُ: من تجمَّل الرجل: أظهر ما يَجْمُل، أو تكلَّف الحسن والجمال.

كَفيلاً بأنْ يَكْفيهِ كُلَّ عَظيمةٍ ... مِنَ الدين والدنيا به قَدْ تَكفَّلا[١]
تَبوَّأ مِنْ قصرِ الخلافةِ مَنْزلاً ... وَبوّأهُ بالسعْدِ واليمْنِ مَنْزِلا[٢]
ولَمَّا دَنا إذنُ السلام عَليْهما ... وَأَسْمعنا داعٍ بهِ قَدْ تَوكَّلا
تَوافى الموالي والعبيدُ فَقبَّلوا ... يَدَ الملكِ الأعلى أخيراً وَأوّلا
فما عَدِموا أن قبَّلوا البحرَ زاخراً ... بأرزاقِ أهلِ الأرض والغَيْثَ مُسْبِلا[٣]
ومَا اعتزَّ قومٌ لَمْ يكونوا أعِزَّةً ... على الخَلقِ حَتَّى قَبَّلوها تَذَلُّلا[٤]
وأمّوا وليّ العهد في المحفل الذي ... تَمنّى العِدَا أن يَخْدِموا فيه مَحْفِلا[٥]
فَلمَّا دَنوْا مِنْهُ تَدانوا تَواضُعاً ... بِقَدْرٍ سَما فَوْقَ السِّماكينْ واعتلى[٦]
ومَدَّ إليْهم راحةً حَكَميَّةً ... مُمَلَّكَةً رِقَّ المكارمِ والعُلا[٧]
تَوافَوْا على تَقْبيلها فَرَحاً بها ... كأنَّهم هِيمٌ يُوافينَ مَنْهَلا[٨]
وَقدْ خَامَرَتْهم هيبةٌ خَضَعُوا لها ... خُضُوعَ بناتِ الماء أبصرنَ أجْدَلا[٩]
فَلوْلا توالي بِشْره لِنُفوسِهمْ ... لَهمَّت عن الأجسادِ أنْ تَترَحَّلا[١٠]
ألا يا وليّ العهدِ دَعْوَةَ حائمٍ ... رأى مَنْهلاً عَذْباً فأمَّ لِيَنْهَلا[١١]
تَقدَّمَ في تأميلِ جاهِكَ ناشئاً ... فَأحْرزَ مِنْ نُعْماهُ ما كان أمَّلا

---

(١) العظيمة: الأمر الشديد الصعب. تكفَّل بالشيء: ألزمه نفسه وتَحمَّل به، يقال: تكفَّل بالدين: التزم به.
(٢) تَبوَّأ المكان وبه: نزله وأقام به، قال تعالى: ﴿**والذين تَبوَّءوا الدَّار والإيمان**﴾ [الحشر: ٩]. اليُمْنُ: البركة والخير.
(٣) الزَّاخِرُ: الطامي، الفائض، الممتلىء. الغَيْثُ: المطر. المُسْبِلُ: المطر الهاطل.
(٤) اعْتَزَّ القوم: شَرُفوا، بَرِئوا من الذُّلّ والهوان.
(٥) أَمَّ الشيءَ، وإليه أمًّا: قَصَدَهُ.
(٦) السِّماكان: نجمان نَيِّران، أحدهما في الشمال، وهو السِّماك الرامح، والآخر في الجنوب، وهو السِّماك الأعزل.
(٧) حَكَمِيَّةٌ: نسبة إلى الحَكَمِ المستنصر الخليفة. الرِّقُّ: العبودية.
(٨) الهِيمُ: جمع الأهيم، وهو من الرجال أو الإبل: العطشان أشدّ العطش. المنهل: مَوْرِدُ الماء، المَشْرَبُ.
(٩) خَامَرَتْهُمْ: خالَطَتْهُمْ، مَازَجَتْهُم. الأجدل: الصقر.
(١٠) البِشْرُ: الطلاقة وتَهلُّل الوجه.
(١١) الحَائِمُ: من حام حول الشيء، وعليه ـ حَوْماً، وحَوَمَاناً ـ: دار.

وأنـتَ لـه مَـولـىً كـريـمٌ وإنـمـا يُـؤمِّـلُ أن يَـدْعُـوكَ مَـوْلـىً ومَـوْئِـلا[١]

وفي يوم الأحد لإحدى عشرة خلت من ذي الحجّة أَنوأت[٢] السماء، ونزل الغيث يوم الخميس فروت الأرض وأطلقت الحرث.

وفي العشر الأواخر منها وصل إلى قُرْطُبَة صاحب الشرطة الوسطى والسكة والمواريث قاضي إشبيلية مُحمَّد بن عبد اللّه بن أبي عَامِر عليلاً مُنصرفه من العسكر بأرض المغرب.

ذكر خبر سباق الطاغية غرسية بن فرذلند صاحب قشتيلة وإلبة إلى نكث السلم إثر إظهار الرغبة في إمضائها[٣] وإنفاذ رسله إلى الحضرة وتوكيدها منتهزاً فرصة اشتغال السلطان بحرب المخالفين له بأرض العُدْوَة وتصييره أكابر قواده وأكاثر أجناده وراء البحر لقتالهم واشتمال ذلك الطاغية على أكثر طواغيت[٤] النصارى المكتنفين[٥] لبلد الإسلام وما أعقب ذلك من نصر اللّه لأهل كلمته وأحاق[٦] بالعدو من وَقْمِه[٧] وَخِزْيِهِ.

ففي يوم السبت لثمانٍ بقين من ذي الحجّة ورد الخبر من الثغر الأوسط بفجأة انتكاث الطاغية غرسية بن فرذلند بن غند شلب صاحب قشتيلة إثر إظهاره الرغبة في توثيقها وسرعة خروجه إلى بلد المسلمين وإغارته الشعواء[٨] على حصن دَسَة وما يليه من عمل بني عمريل بن تيملت ضحوة يوم الخميس لإحدى عشرة خلت من ذي الحجّة منها، ومواضعة أهل الحصن الحرب وإحراقه زروعهم واستياقه كثيراً من سوامهم[٩] ونفور زروال ومضا ابني عمريل بن تيملت وَالِيَيْ الناحية إثره فيمن نفر معهما من أصحابهما فاستنقذوا البقر والغنم وقتلوا من مستاقيها أعلاجاً، فخرجت عليهم خيل ثقيلة من مكمن للخنازير لم يحتسبوه فنزل بينهم القتال مليًا واشتد، فأصيب القائد زروال بطعنة كانت منها نفسه واستشهد رحمة اللّه عليه، مقبلاً على قِرْنِه[١٠]، وجرت الوقيعة

---

(١) المَوْئِلُ: الملجأ.
(٢) أنوأت السماء: كَسَاها الغَيْمُ.
(٣) أَمْضَى الأَمْرَ إِمْضَاءً: أَنْفَذَهُ.
(٤) الطواغيت: جمع الطاغوت: الكثير الطغيان، أو الرأس في الضلال.
(٥) المُكتَنِفون: المُحيطُون.
(٦) أَحَاقَ بالعَدُوّ: أصابه وأحاط به.
(٧) الوَقْمُ: الإكراه والقَسْرُ.
(٨) الشعواء: المُنْتَشِرة المُتفرّقة الفاشية.
(٩) السَّوامُ: كلّ إبل أو ماشية تُرْسَل إلى المَرْعَى ولا تُعْلَفُ.
(١٠) القِرْنُ: المثيل في الشجاعة والقتال.

في هذا اليوم المؤرخ في موضع يعرف بفحص البركة بالقرب من حصن مضا.

فعند ورود هذا الخبر أمر أمير المؤمنين باستصراف رسل اللعين غرسية الوافدين كانوا عليه في توكيد أمر السلم الراجعين بجوابه يوم الجمعة، مسعفاً برغبته، وسيق إليهم فرانق[١] أمرهم بالانصراف، فأبوا عليه وهمُّوا به ونفذوا لوجهتهم، فأخرج السلطان إثرهم أفلح الوكيل في دار الخيل في مقنب[٢] من وجوه الجند فيهم ثُعبان بن أحمد، وحُسين بن إبراهيم الخليع، وغيرهما، في عدد لفيفٍ[٣]، ألفوهم مختفين ببعض أهضام[٤] بلد كركي متنكبين[٥] للطريق، فصرفوهم مكرهين أعنف مصرف وشدّ محبسهم.

ذكر اجتباء[٦] الخليفة لفرسان البرابرة العدويين عقب اجتوائه إياهم راكباً سبيل سلفه بني مروان في اجتبائهم، واستحداثه هو الرغبة فيهم إثر رغبته عنهم، وإعجابه بهم بعد ازوراره[٧] عنهم، وما جرّ ذلك من الاستكثار منهم وإحسانه إليهم، فكان ذلك من بعده سبباً لتقدمهم طوائف الجند الأندلسي وهدمهم للملك العاديّ وإلقاحهم للفتنة البربرية الحالقة[٨]، قضاء من المهيمن لم تكن لديه من دونه كاشفة[٩].

أقول: لم يزل الخليفة الحكم سالكاً سبيل والده الخليفة الناصر السّامي بقدره إلى ملك فُرضة بلد العُدْوَة سَبْتَة، المرهوبة من تقحم[١٠] أهلها ومن وراءهم من البرابرة عليه، فحازها دون من كان قبله من آبائه استظهاراً على ضبط المجاز عليه وإليه، واستطالةً بفضل قوته واشتداد سلطانه، معتلياً على من جنح من أمرائها، منطوياً على الحذر من بوادرهم[١١]، معتقداً قلاهم[١٢] والازورارَ عنهم، مقتصراً على من

(١) الفُرانق: دليل الجيش، أو القائم بأمر البريد.

(٢) المِقْنَبُ: جماعة من الفرسان دون المائة، تجتمع للغارة.

(٣) اللفيف: ما اجتمع من الناس من قبائل شتَّى، أو من أخلاطٍ شَتَّى، فيهم الشريف والدنيء، والمطيع والعاصي، والقوي والضعيف، قال تعالى: ﴿جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفاً﴾ [الإسراء: ١٠٤].

(٤) الأهضام: جمع الهِضْم: المُطمئن من الأرض أو بطن الوادي.

(٥) تَنكّب الرجل: مشى في شِقٍّ، وتنكّب الطريقَ المُعوجَّ: تَجنَّبه، وتنحَّى عنه.

(٦) اجتبى فلان فلاناً: اختاره واصطفاه.

(٧) ازْوَرَّ عنهم ازوراراً: مال وعدل.

(٨) الحالقة: السريعة، أو المشؤومة، أو المُهلِكة.

(٩) كاشفة: من كشف عنه الكَرْبَ أو الغمَّ، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ [الدخان: ١٢].

(١٠) التَّقَحُّم: الدخول في الأمر من غير تَفكُّرٍ أو رَوِيَّة.

(١١) البوادر: جمع البادرة: ما يبدر من الرجل عند غضبه من خطإٍ أو سَقَط، أو الغضبة السريعة، أو الكلمة العوراء. ومنه يقال في الحليم: «فلان لا تُخشى بوادره».

(١٢) القِلَى: الكُرْهُ والبُغْضُ.

أظهر مكاتبته منه وموالاته على بعد واحتراس من كيادهم[١]، مطيباً لهم بالإهداء والرفد[٢]، غير مستدع لهم إلى العبور عليه ولا مستكثر منهم بالإمداد لهم، مقتنعاً برجال أندلسه وصنائع سلفه، غانياً[٣] بهم عمن سواهم، لا يستخدم من البرابر إلا أراذلهم وعبدانهم من أشابتهم[٤] وأساودهم[٥]، موقعاً عليهم اسم الطنجيين، مقتصراً بهم على أدنى الملاحق، قاصراً لهم على أقل الرواتب، مصرفاً لهم في أشقّ الخدمة. وأنهى خلفه ابنه الخليفة الحكم في امتثال ذلك صَدْرَ دولته، وشدّ يداً باستعماله، وربط قلباً على إبرامه[٦] و[أصبح] أبين اعتقاداً فيه، وأشدّ ذياداً[٧] لغلمانه وأحشامه وأجناده عن التشبه بالبرابرة والتشكل بشكلهم والاستعمال لشيء من زيهم في ملابسهم ومراكبهم، حتى لوقعت عينه يوماً في موكب له كان إلى الزهراء وطنه على غلام له راكب على فرس بسرج عُدويّ الصنعة، لطيف دفتي المجلس، قصير قربوسي[٨] المركب: المقدم والمؤخر، لم يُسبق العبد إلى مثله، فأنكره إنكاراً شديداً، وازورّ[٩] عنه، ولم يتمالك إلا أن سارّ فيه إلى حاجبه جعفر الصقلبي، وهو إلى جانبه، منكراً غفلته عن تغييره، وتقدم إليه بإغلاظ عقاب العبد، وإحراق السرج بدار الجند قدّام من حضر منهم إثر نزوله، إشاعة لإنكاره، فنفذ ذلك لوقته، واشتد العجبُ من غلظ نكيره وارتدع[١٠] من شاهد ذلك عن امتثاله مع استحسان أكثرهم له.

فلم يك إلا ريثما امتحن اللّه الخليفة بحرب بني مُحمَّد الحسنيين المنتزين عليه بأرض العُدْوَة المجاورين لعمله هناك وَلَجاجه[١١] في غلبهم بزيادة قوته على قواهم، وجلالة مملكته على قفرهم[١٢] وانسلاخهم إلى البربر أخوالهم وأنصارهم، فصرف

---

(١) الكياد: المكر والخديعة والاحتيال.

(٢) الرِّفْدُ: المعونة والمساعدة.

(٣) غانياً بهم: مُكْتَفِياً.

(٤) الأُشابة (من الناس): الأخلاط.

(٥) الأساود: جمع السواد: أتباع الأمير وحاشيته وأمتعته، والسواد (من العسكر): ما يشتمل عليه من المضارب والآلات والدواب وغيرها، والسواد (من الناس): معظمهم.

(٦) الإبرام: الإحكام.

(٧) الذِّيادُ: الدفع والطرد، يقال: ذاده ذوداً، وذياداً: دفعه وطرده، وذاد الدابة: ساقها.

(٨) القَرَبُوس: حِنْوُ السَّرج، وهما قربوسان.

(٩) ازوَرَّ عنه: مال وأَعْرَضَ.

(١٠) ارتدع: كَفَّ وامتنع.

(١١) اللجاج: يقال: لجَّ في الأمر لجاجاً ولجاجةً: لازمه وأبى أن ينصرف عنه.

(١٢) القَفْرُ: الخلاء من الأرض لا ماء فيه ولا ناس ولا كلأ، ودار قفر: خالية.

كيده إليهم، وأرسل جنوده عليهم، فلاقى من صدق مراس[(١)] رجالهم وشدة بأسهم على قلة عددهم ما ملأوا به عباب سيله[(٢)] ومارسوا برعالهم ألفاف كراديسه[(٣)]، فصابروا جلادهم[(٤)]، وقاوموا قراعهم[(٥)]، وأَبرُّوا في بعض المواطن عليهم، حتى لقتلوا ابن طملس القائد الجليل أول ناهد[(٦)] بالجيوش إليهم في طائفة من حماة الجند، أشجوا فيه الخليفة الحكم وحرّقوه، فتجرد لهم لمراسهم، واستلج في مناوأتهم[(٧)]، فقاد خيول الأندلس إليهم، وربط أكابر قواده بثغرهم، وغطى البحر بينه وبينهم بأساطيل الأموال والأسلحة والعُدد والأطعمة التي أفرغها على ممارسيهم وتحويل المستمالين من أهل بلدهم عليهم، حتى قهرهم فاستنزلهم عن صياصيهم[(٨)]، وغلبهم على ديارهم، وأسكنهم الأندلس صافحاً عنهم بعد ما كان من إساءتهم؛ ووافته على ذلك شارة رجال هؤلاء الحسنيين من غلمانهم وصنائعهم المرغبين لهم وله بإذعانهم للذي سبق لهم لديه من الاغتصاص بمرارتهم والاعتراف ببأسهم، فاستضم جميعهم عنهم، وألحقهم بجنده، ونعشهم بعطائه، وبوأهم[(٩)] بداره وكانوا عدة من أوزاع[(١٠)] الناس موالٍ وأحرار، فيهم فرسان صدق شُهروا بالبأس قبلهم في الغناء[(١١)] ونوه بهم في الأكفاء[(١٢)] وقد سبق له قبل ذلك مثل فعله ذلك في عبيد الأندلسي جَعْفَر ويَحْيَى المستأمنين له من عمال مَعدّ الشيعي صاحب إفريقية عند

---

(١) المراس: يقال: فلان ذو مراس: ذو جَلَدٍ وقُوَّةٍ في ممارسة الأمور ومعالجتها.

(٢) العباب: كثرة الماء والسيل، أو ارتفاع الموج واصطخابه.

(٣) الرعال: جميع الرعيل: الجماعة القليلة من الرجال أو الخيل، أو التي تَتقدَّم غيرها. الألفاف: جميع اللفيف: ما اجتمع من الناس من أخلاط شَتَّى. الكَرَاديس: جمع الكردوسة: الطائفة العظيمة من الخيل والجيش.

(٤) الجِلَادُ: المضاربة بالسيوف، يقال: جالده بالسيف مجالدةً وجلاداً: ضاربه به. ومنه: جَلُدَ جلادةً: قَوِيَ وصَبَر على المكروه.

(٥) القِرَاعُ: المضاربة بالسيوف أو المطاعنة بالرماح، يقال: تقارع الأبطال بالرماح أو بالسيوف: تطاعنوا أو تضاربوا بها.

(٦) الناهد: اسم فاعل من نهد فلان: نهض ومضى، أو نهد لِعَدُوِّه نهداً: صَمَدَ له، وشَرَعَ في قتاله.

(٧) المُنَاوأةُ: المفاخرة، والمعاداة.

(٨) الصياصي: الحصون، الواحدة: صِيصِيَّة.

(٩) بَوَّأهم الدار وبها: أنزلهم فيها، وبَوَّأَ المنزل له: أَعَدَّهُ.

(١٠) الأوزاع: الجماعات.

(١١) الغَنَاءُ: النفع والكفاية.

(١٢) الأكفاء: جمع الكفء: المماثل، أو القويّ القادر على تصريف الأعمال.

سخطه عليهما لامتناعهما من تصييرهم إليه بالثمن الذي بذله فيهم إلى أن استدعيا رضاه عنهما بالإفراج له عنهم، فاستضمهم عند ذلك ومن داخلهم من الأحرار أصحابهما إلى أول من قد كان استضمه من سواقط رجال أهل العُدْوَة الهاوين إليه[١]، وفيهم رجال مقدمون في البأس والرجولة اقترن بهم عن ما قليل رجال هؤلاء الحسنيين فاستكمل بهم فئة بربرية رائقة[٢] ضخمة تعززوا بالمستأمنين قبل إليه من صُيابة[٣] بني برزال المقدّمين على جماعتهم في البأس والنجدة وهم الذين كانوا ضامّوا ابني علي في لقاء زيري بن مَنَاد الصَّنْهاجي أمير مَعدّ على المغرب وأتيح لهم قتله، فطار لهم بذلك اسم عظيم نفقوا به على الخليفة الحكم. وقد نبت بهم دارهم[٤] بالعُدْوَة رهبةً لابنه بُلُقّين بن زِيري طالب ثأره، فانحازوا إلى الأندلس باستدعاء من الخليفة الحكم لهم ومضمون حسن قبول، وواسع عطاء وَفَى لهم بهما، فآوى وأحسن ونوه وقدّم، ذلك وقد أغمض فيهم على عوراء نحلة[٥] تبعدهم عنه على تسننه[٦] واشتداده في حفظ دينه ومعرفته بخارجيتهم، واعتقادهم للمقالة النكارية من فرق الإباضية[٧] التي تفرد بها في هذا العصر إمامهم أبو يزيد مَخْلَد بن كَيْدَاد القائم على الشيعة. فتقبلهم معرضاً عن نحلتهم على بصيرة مسمحة واكتملت بهم لديه، آخر دولته القصيرة، من هذه الفرق الثلاث البربرية الرجال: رجال بني حسن ورجال ابني الأندلسي، ورجال البرازلة، عسكر ضخم يقاربون السبعمائة فارس، فيهم وجوه وأعلام حازوا عما قليل بالعسكر الرئاسة، جميعهم من البربر الذين طال مقت[٨] السلطان لهم وزهده فيهم، فمنحهم اللّه قبوله، وحسن عنده زيهم، واستنبل[٩] تخفيفهم في مراكبهم، وانكماشهم في ثقلهم، ورأى أن أخذهم بذلك في آلتهم أليقُ بصناعتهم وأرفق بخيولهم، حتى

---

(١) السواقط من الرجال: اللئام في أحسابهم وأنفسهم، أو المتأخرون عن غيرهم في الفضائل. الهاوون إليه: القادمون إليه، المُسْرِعون، يقال: هوى فلان في السير: مضى، أو أسرع.

(٢) الرائقة: الحَسَنة، المُعجبة.

(٣) الصُّيابة والصُّوابة (من القوم): خِيارهم وأشرافهم.

(٤) نبت بهم الدار: لم يطمئنوا فيها، يقال: نبا الشيء نُبُوًّا ونَبْوَةً: لم يَسْتَوِ، ونبا جنبه عن الفراش: لم يطمئن به.

(٥) العوراء: الكلمة، أو الفعلة القبيحة. النِّحْلة: الدين والعقيدة، أو الدعوى والنسبة بالباطل.

(٦) تَسَنَّنَ الرجل: أخذ بالسُّنَّة النبوية وعمل بها.

(٧) الإباضية: فرقة من الخوارج شاع أمرها في أواخر الدولة الأموية، وتُنسب إلى عبد اللّه بن إباض التميمي.

(٨) مَقْتُ السلطان: بُغْضُه، يقال: مَقَتَ فلاناً مَقْتاً: أبغضه أشد البغض.

(٩) استنبل الشيءَ: رآه أو عَدَّه نبيلاً، والنبيل: الشريف، يقال: نَبُلَ الرجل نُبْلاً ونَبَالةً: عَظُمَ وَشَرُفَ.

لظل أيام عِلّته يشرفُ عليهم من قصبة دار الرخام المرسوم صحنها، باعتراض الجند أيام إعطائهم، يتطلع على فرسان البرابر إذا تحركوا للعب، شاخصاً إليهم معجباً بهم، يقول لمن حوله: انظروا إلى انطباع هؤلاء القوم على خيولهم فكأنهم الذين عناهم الشاعر بقوله[١]: [من الكامل]

فَكأنَّما وُلِدَتْ قِياماً تَحْتَهُمْ ... وَكأنَّهم وُلِدُوا على صَهَواتِها[٢]

ما أعجب انقيادها لهم، كأنها تفهم كلامهم! فيعجب سامعوه من سرعة تحوّل رأيه فيهم، وذلك كله من تهيئة المقدار المقضي[٣] من اللّه بهم على عباده ما قدَّر جَرْيه على أيديهم لما اجتباهم الخليفة الحكم رحمه اللّه لولده المرشح لمكانه، ووسمهم باصطناعه، وصرف أمورهم إلى خاصته من وزرائه، جَعْفَر بن عثمان المُصْحَفِي، أثيره المدبّر لدولته، فاعتلوا بمكانه، وأسرع موت الحكم على تفيئة ذلك فأعقبهم عاقب جَعْفَر بن عُثْمان في تدبير سلطان هِشَام، الوالي بعده، مُحمَّد بن أبي عَامِر، خيرَه فاستظهر بهم على شأنه حين استولى على الملك، فعلاهم على طبقات أجناده، واصطفاهم لنفسه، فخاض بهم الدياجير[٤] في حياته، واعتدوا بعده على الخليفة في معنى الامتعاض منهم، لعدوانهم على ولده اعتداءَ أصارَهُم إلى ما هم الآن بصدده من إبطال الخلافة وتفريق الجماعة والتمهيد للفتنة والإشراف بالجزيرة على الهلكة إلا إن كان للّه ـ تعالى جدُّه ـ بعد تقضي القرن المزدلف[٥] انسلاخه بانتياش[٦] الإسلام من حاجة يردّ بها لأهله الكرة، فهو عليها قدير وبها جدير، عزَّ وجهه وتعالى جدُّه. تمت سنة ثلاث وستين وثلاثمائة.

---

(١) الشاعر: هو أبو الطيب المتنبي المتوفى سنة ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م. والبيت في ديوانه: ١/ ٣٤٠، من قصيدة يمدح بها أبا أيوب أحمد بن عمران.

(٢) في الديوان: «فكأنَّها نُتِجَتْ». وَنُتجت: وُلِدَت. قياماً: أي وهي قائمة، الصهوة: مقعد الفارس من السرج.

(٣) المقدار المقضي: القَدَرُ الذي قَدَّرَهُ اللّه سبحانه، وأمضاه.

(٤) الدياجير: الظلمات، المفرد: ديجور.

(٥) المزدلف: المتقدم، يقال: ازدلف الشيءُ وزَلَفَ: دنا وتَقَدَّم.

(٦) الانتياش: من انتاش الشيءَ: طلبه، أو تناوله وأخذه.

سنة أربع وستين وثلاثمائة

ذكر قدوم الوزير القائد الأعلى غَالِب بن عبد الرَّحْمٰن قافلاً من العُدْوَة ومعه حَسَن بن قَنُّون وشيعته

ففي يوم الأربعاء لثلاثٍ خلون من المحرم احتل الوزير القائد الأعلى غَالِب بن عبد الرَّحْمٰن في المحلة على وادي سوس[١] قافلاً من بلاد العُدْوَة ومعه بنو إدريس الحسنيون القرشيون ملوك الغرب المستنزلون من معاقلهم إلى الأندلس حافين بشيخهم وكبيرهم المشتهر معرفته بـ«حنون»، واسمه أحمد بن عِيسَى بن أحمد بن مُحمَّد بن إدريس بن عبد اللّه بن حَسَن بن الحَسَن بن عليّ بن أبي طَالِب ـ رضي اللّه عنهم ـ صاحب الأقلام وما والاها من بلد العُدْوَة، معه أخوه إبراهيم بن عِيسَى، وابن عَمّه مَيْمُون بن القَاسِم، وأخوه يَحْيَى بن القَاسِم وبنوهم وأهلوهم. فلما جنّ عليهم الظلام من ليلة الخميس لأربعٍ خلون منه نفذ الأمر باحتمال عيال هؤلاء الأشراف من المحلة بوادي سُوس إلى الدوَر التي أخليت لهم [في] مدينة قُرْطُبَة وفي أرباضها، تَوَخّياً لِسترهنّ عن العيون بجنان الليل. وقيّد إليهنّ عدتهنّ من فُرْه المطايا[٢] الفاخرة الحليّ، فأرسل القوم معهن ثقاتهم من الفتيان، فتيانهم ومواليهم، حتى أدوهنّ إلى الدور المستعد بها لهنّ بِقُرْطُبَة بعد أن فرشت مجالسها بالوطاء[٣] السنيّ والغطاء السريّ، ونضدها[٤] الفرّاشون أتمّ تنضيد ومهدوها[٥] أوطأ تمهيد، وأُترعت مخازنها بالأطعمة وما يتخذ من الأصباغ والأدهان والأبازير[٦] والأحطاب وغير ذلك من

---

(١) السوس: كورة في المغرب مدينتها طنجة. وهناك السوس الأقصى: كورة أخرى مدينتها طرقلة. ومن السوس الأقصى إلى السوس الأدنى مسيرة شهرين. (معجم البلدان، الحموي: ٣/ ٢٨٠).

(٢) فُرْهٌ: جمع فاره: حسن جميل نشيط. المطايا: جمع المطية: ما يُمتطى (يركب) من الخيل.

(٣) الوِطَاءُ: المِهَادُ الوَطِيء: المُمَهّد، الذي لا يُؤذي جنب النائم.

(٤) نَضّدها: رَتّبها ونسّقها.

(٥) مَهّدَ الفراش: وَطّأه، بَسَطَهُ.

(٦) الأبازير: التوابل، المفرد: بِزْرٌ.

العدة، إلى ما صيّر فيها من الآلات والعدد والآنية وجميع المرافق اللائي تُعمَّر بها المنازل، فأوين من سعة ذلك كله إلى ما أنهى وكفى وتجاوز كل غاية.

وعم الإنذار طبقات الأجناد والأولياء بالاستعداد للركوب لتلقي الوزير القائد غالب بن عبد الرَّحْمٰن والإقبال بين يديه وتجويز الجند بالإنذار إلى بياض الرعية من أهل كور الأندلس للإقبال إلى قُرْطُبَة لحضوره. فاستبقوا إلى ذلك، وتكفل أصحاب الحشم القيام بما عليهم من استركاب الأجناد وإقامة مراتبهم، فأحكموا شأنه على عادتهم، وخرجت من مدينة الزهراء على صبيحة يوم الخميس لخمسٍ خلون منه العدة والعديد، وكاتب الأجناد من الخمسيين والمماليك والعبيد لتلقي الوزير غالب والإقبال بين يديه، فساعة وصلوا إليه تحرك من محلته في جمهور عسكره القفال[١] معه وقد حفه من أكابر القواد الذين كانوا مضمومين إليه بعسكر المغرب متصرفين بأمره غازين تحت لوائه ستة رجال: مَيْسُور الرومي، ورَشِيق البرغواتي، وسَعْد بن عبد الرَّحْمٰن المعروف بالجزري، وقَيْصَر، وجميعهم من الموالي، وعبد اللّٰه بن مَرْوَان بن مَسْلَمة، وإسماعيل بن عبد الرَّحْمٰن بن الشيخ، وكلاهما من رؤساء الخدمة، وسَلَمَة بن الحكم الجَعْفَري صاحب المخزول، وأحمد بن مُحمَّد بن حَاجِب الخازن. وتحرك بحركة الوزير القائد غَالِب بنو إدريس القرشيون، وتقدم جميعهم في موكبه إلى [أن] وصل إلى قنطرة قُرْطُبَة وقد قام بها الترتيب التام والتعبئة الكاملة من الرجالة على صفين بأيديهم الترسة والرماح، وانتظم ترتيبهم إلى باب القصر، ومخلّف المدينة مُحمَّد ابن الوزير جَعْفَر بن عُثمان قد لزم القعود على الكرسي، وبين يديه صنوف العرفاء والمحارس وطبقات الشُرط والمتسرين والمرتزقين وغيرهم.

وتقدم الوزير غَالِب في أهل عسكره والقواد المذكورون حواليه، والمراتب والتعبئة بين يديه، والأشراف بنو إدريس وراءه قد رتبوا في الموكب على أسنانهم ومنازلهم، فمضى قدماً حتى تجاوز أبيات قُرْطُبَة، فاحتل محلته بفحص الناعورة، ونزل مظلة هناك، ونزل القواد أصحابه ونزل الأشراف في مظلات رفعت لهم، فأقاموا بمحلتهم هذه يوم الخميس ويوم الجمعة بعده. فلما كان يوم السبت [السبع] خلون من المحرم منها تولى تعبئة طبقات الأجناد وصنوف المماليك صاحبُ الخَيل والحشم زِيَاد بن أفلحِ وصاحب الشرطة العليا قَاسِم بن مُحمَّد بن طُملس وأخوه أحمد بن مُحمَّد بن طُملس وتقسيمهم على سماطين منتظمين من قصر الزهراء إلى مكان مضطرب الوزير القائد غَالِب بِفحص الناعورة. فلما قاما مُهذِّبين واستويا مُرتَّبين، نفذ العهد إلى الوزير القائد غَالِب بالحركة في مَنْ معه، فركب ومن معه من قواده، وركب

(١) القفَّال: العائد.

الأشراف بنو إدريس مع بنيهم وبني عمهم ورجالهم وأتباعهم، فتقدم وصاروا وراءه في أول الترتيب مع صفّيْن مُتَّصِليْن من رجالة قُرْطُبَة وأقاليمها، بأيديهم الرماح والترسة، ثم تنقلوا عنهم إلى تعبئة الفرسان المُدرَّعين[١] الذين أحضرهم صقالبة القصر وأهل الخدمة، ثم تقدموا بين ترتيب فرسان الطنجيين المُدرَّعين، ثم نهضوا بين صَفَّي فرسان المُدرَّعين، ثم ساروا بين سِمَاطي[٢] العرفاء المُدرَّعين، ثم دخلوا بين صَفَّي فرسان الخمسيين وعبيد الدور والعبيد الرماة وعلى جميعهم الدروع والبيضات، ثم نهضوا بين ترتيب العبيد الجعفريين وقد لبسوا الأقبية[٣] البيض وعلى رؤوسهم مقاريف[٤] الوبر متنكبين قسيَّهم وكنائنهم؛ ثم ساروا بين تعبئة الفرسان المُدرَّعين الذين بأيديهم القنا المجردة، ثم نهضوا بين صَفَّي الفرسان أصحاب الجواشن[٥]، ثم تقدموا بين سِمَاطي الفرسان أصحاب التجافيف[٦] وبين أيديهم في صَفَّيْهم أصحاب القرون والطبول، ثم انتقلوا إلى صَفَّي أصحاب البنود والرايات الرفيعة اللِّبْسة الرائقة الخلعة وما معها من الرايات المصورة من صور الأسد والنمور والثعابين والعقبان وغيرها من التصاوير الهائلة، ثم ساروا بين صَفَّي الجنائب المقربة[٧] من خيول ومطايا الركاب بالسروج واللجم، والبغال المشاكلة لها، يكاد حسن مرآها يغلب على جميع ما احتفل فيه من الزينة. فلما انتهوا إلى باب مدينة الزهراء ساروا بين صَفَّي رجالة المسترين والرماة الأحرار والمماليك أهل الصناعات السلطانية قد لبسوا المدارع الملونة وتنكبوا القسي الأعجمية إلى أول أبواب الأقباء وفي داخلها صفًّا البوابين، وأعوان دور الطراز، وأعوان دور البرد بأيديهم السلاح الشاك قد انتهوا إلى باب دار الخيل، فتقدموهم ونهضوا بين صَفَّيْن مُرتَّبيْن من رجالة الرماة الأحرار عليهم الثياب الملونة من الإفرند وغيره، وعلى عواتقهم القِسيّ. وكان صاحب مدينة الزهراء

(١) المدرعون: الذين يلبسون الدُّروع.

(٢) السِّماطُ: الصَّفُّ.

(٣) الأقبية: أثواب تُلبس فوق الثياب، الواحد: قَبَاء.

(٤) المقاريف: ثياب خاصة بالرأس، كالقلنسوات ونحوها.

(٥) الجواشن: الدروع، الواحد: جوشن. ويقال: الجوشن من السلاح: زرد يُلْبَسُهُ الصَّدْرُ والحَيْزُوم.

(٦) التجافيف: جمع التجفاف: ما يُوضع على الخيل من حديدٍ أو غيره في الحرب، أو ما جُلِّلَ به الفرس من سلاح وآلةٍ تقيه الجراح.

(٧) الجنائب: جمع الجنيبة: الدابة تُقاد، ومنه يقال: فلان تقاد الجنائب بين يديه: إذا كان عظيماً. المقربة: الفرس أو الناقة ونحوهما القريبة المُعدَّة للركوب، أو الفرس تُكرَم فَيُقرَّب مَرْبَطها وَمَعْلَفُها.

مُحمَّد بن أفلح قاعداً على كرسيها في أهبته الكاملة يرتب ما يلزمه ترتيبه؛ وتقدم الوزير القائد غَالِب بن عبد الرَّحْمٰن فدخل على باب السدة إلى القصر وبنو إدريس معه، فلما وصل بهم إلى دار الجند نفذ العهد بإنزالهم في المجالس القبلية بها، فنزلوا فيها وأنزل أعلام أصحابهم عند باب السدة، ومشوا من هناك إلى دار الجند، وصيّر جلوس أحمد بن عيسَى شيخ بني إدريس وإبراهيم أخيه ومَيْمُون بن القَاسِم ويَحْيَى أخيه وسائر بني مُحَمَّد وبعثهم في أوصال ديباج سرية وضعت لهم في البهو الأوسط على منازلهم. وكان قعود أصحابهم في المعترض بين يدي الأبهاء[١]. وتقدم عنهم الوزير القائد غَالِب إلى دار الوزراء فنزل بينهم وصار في فراشه به، والتزم القعود في فصلان باب السدة جرّاً إلى دويرة البرطلات: البوابون والصيديون والغلمان والوكلاء بدور دوابّ السلطان ونظراؤهم في المصاطب[٢] هناك على انتظامها في أكمل زيّ وأحسن شكل. واتصلت التعبئة بدار الجند من رجالة الرماة وعليهم الديباج وفي رؤوسهم مقاريف الوبر قد تنكبوا القِسيَّ الجميلة الصنعة وبأيديهم الدماغات والأحوزة والطبرزينات، وقعد أمير المؤمنين في المجلس الشرقي المُوفي [على] الرياض والسطح العلي أفخم قعود وأسراه وأعظمه وأبهاه، وقد كان تقدم بإنذار الإخوة أبي الأصْبَغ شقيقه، وأبي القَاسِم الأصْبَغ، وأبي المُطرِّف المُغيرة فحضروا وتوصلوا قبل الناس وسلموا وقعدوا على مراتبهم. ثم توصل الوزراء إثرهم فسلموا وقعدوا على فجوة منهم على منازلهم، وقام منهم للحجاب الوزير القائد الأعلى غَالِب بن عبد الرَّحْمٰن عن يمينه وتحته زِيَاد بن أفلح صاحب الخيل والحشم، والوزير الكاتب صاحب المدينة بِقُرْطُبَة جَعْفَر بن عُثمان عن يساره، وتحته مُحمَّد بن أفلح صاحب المدينة بالزهراء. ثم دعي بأصحاب الشرطة العليا والوسطى وأصحاب المخزول والعرَّاض وأصحاب الحشم والكتاب والأهرائيين وأولاد الوزراء الأحياء وإخوتهم والوصفاء أصحاب الركاب وأعيان الموالي القُرْطُبيين الذين نفذ العهد بإحضارهم، فتوصل جميعهم وسلموا ووقفوا للحجاب على منازلهم، فكملوا الصفَّيْن إلى آخر المجلس. وحضر هذا المجلس الحفيل قاضي الجماعة مُحمَّد بن إسحاق بن السليم والحكام أصحاب الشرطة: أحمد بن نصر صاحب الشرطة والسوق، وخالد بن هِشَام صاحب الشرطة، وعبد الملك بن مُنذر صاحب الرَدّ، فقعدوا تحت الوزراء وقام صفان، وقد انتظما انتظام السلك، من الفتيان الأكابر الخلفاء، ثم الكُتَّاب منهم، ثم الوصفاء من بين يدي السرير إلى آخر المجلس؛ عليهم الدروع السابغة والسيوف

---

(١) الأبهاء: جمع البَهْو: البيت المُقدَّم أمام البيت، أو المكان المُخصَّص لاستقبال الضيوف.

(٢) المصاطب: جمع المصطبة: بناء غير مرتفع يُجْلَس عليه.

المرصعة الغمود[1] بالجواهر المثمنة، فاتصل بهم في السطح من دونهم من الخصيان الصقالبة أهل الخدمة مدرعين متقلدين السيوف الحالية وعلى رؤوسهم الطشنيات المُفضَّضة مادّين (؟) عليهم مُدرَّعين شاكي الأسلحة إلى المعترض بين يدي مجلس الأجراء الغربي، إلى الفصلان، إلى آخر فصيل الكتَّاب. واتصلت التعبئة بعدهم بدار الوزراء من رجالة فرسان الرياضة وعبيد الحاجب جعفر عليهم الدروع السابغة، وعلى رؤوسهم البيضات المذهبة، وبأيديهم الحراب العريضة الأسنة الفرنجية المزينة العصي بأنابيب الفضة، انتهى صفّاهم إلى الفصيل المنسوب إلى أبي العراض. وقد صار في مصاطب تلك الفصلان بياض الكور المستدعون لحضور المشهد ومعهم مشيختهم من طوائف الأجناد المعفين من الركوب، وهم في أحسن زيّ، على رؤوسهم القلانس الموشية، قد تقلدوا السيوف الحالية.

فعند استيعاب هذه المراتب وتهذيب تعبئتها واستواء نظمها أمر الفتيان الكُتَّاب بالخروج في أحمد بن عيسَى، وإبراهيم أخيه، ومَيْمُون بن القَاسِم، ويَحْيَى بن القَاسِم، وعِيسَى بن مُحمَّد بن إدريس بن مياله، ويَحْيَى بن عِيسَى، وحَسَن بن مُحمَّد، والقَاسِم بن مُحمَّد، فقدموا منهم الأسنَّ فالأسنّ، ونهضوا من موضع نزولهم بمجالس دار الجند بين المراتب المذكورة إلى أن وصلوا إلى دار الوزراء، ثم تقدم بهم في الفصلان إلى السطح العليّ إلى أن انتهوا منه إلى المجلس الشرقي الذي قعد فيه أمير المؤمنين، فقدم عليهم شيخهم حنون بن أحمد بن عِيسَى فدنا وسلم وعزر[2] وعظم، فكرمه أمير المؤمنين بالقعود ورفع منزلته في الجلوس، ثم قدم بعده الأسنّ فالأسنّ، كُلّما سلّم المسلم منهم أحسن الرد عليه وأمره بالجلوس. فلما استوى مجلسهم افتتحهم أمير المؤمنين بالكلام فأثنى عليهم وتشكّر طاعتهم ووعدهم بإحسان مكافأتهم وترتيب النعمة عندهم، ثم أمر بإيصال بنيهم الأكابر تشريفاً لهم، فكان مِمَّن وصل من أولاد أحمد بن عِيسَى شيخهم حَسَن بن أحمد مع ابنه عليّ، والقاسم بن أحمد، وحسين بن أحمد، وحمود بن أحمد. ووقف على الوصول منهم أصاغرهم وكانوا أحد عشر غلاماً وهم: علي آخر، وهارون، وإسماعيل، وعبد اللّه، وإبراهيم، والنصر، وعيسى، وعبد الملك، وإدريس، ومَيْمون، وقَنُّون. ووصل من أكابر ولد أخيه إبراهيم بن عِيسَى ثلاثة وهم: أبو العيش، وعيسى، ومحمد. ووقف منهم صغيراهم قاسِم وحَسن، ولم يصل من أولاد مَيْمُون بن القاسم أحد لصغرهم وكانوا

(١) الغُمُود: جمع الغِمْد: غِلَافُ السَّيْف.

(٢) عَزَّرَ فلاناً: أعانَهُ وقَوَّاه ونَصَرَه، قال تعالى: ﴿لِتُؤْمنوا باللّه ورَسُولِهِ وتُعَزِّرُوه وَتُوقِّرُوه﴾ [الفتح: ٩]. وعَزَّرهُ: عَظَّمَهُ وَوَقَّرَهُ.

خمسة غلمة وهم: أبو العيش، وإبراهيم، والقاسم، وحنون، ومُحمَّد. فلما وصل المأذون من ولدهم إلى أمير المؤمنين قدموا على منازلهم فسلموا وأقعدوا دون آبائهم على مراتبهم، فبسط أمير المؤمنين جماعتهم بسؤاله، ووعدهم بواكف فضله ووابل نواله، ثم خرجوا إلى مكان نزولهم من مجالس الجند، وقرّبت إليهم دوابهم فركبوا وانطلقوا لسبيلهم، والمراتب التي نظمت لدخولهم على هيئتها والتعبئة على انتظامها، وتقدم بهم من بلغهم إلى الدور التي كانت أعدت لهم وأنزل بها أهلوهم، فَانْتُهِي بزعيمهم أحمد بن عِيسَى بن حنون إلى الدار المنسوبة إلى مُحمَّد بن طرفة بظهر مقبرة بني عامر وبني بَذْر. وانْتُهي بأخيه إبراهيم إلى الدار المنسوبة إلى سَعْد بربض مسجد متعة. وانْتُهي بِمَيْمُون إلى الدار المنسوبة إلى ريان الوصيف بقرب المغار. وبلغ بسائر بني إدريس إلى دور قد استعد بها لهم بداخل مدينة قُرْطُبَة وفي أرباضها. وأنزل رجالهم وأصحابهم وخدمهم وأتباعهم هنالك في الدور المشاكلة لهم، وأجري عليهم من الإنزال ما عمّهم وغمرهم وفاض عليهم.

قال: وجلس بجلوس الخليفة الحكم هذا اليوم العميم ابنه الأمير أبو الوليد هِشَام في المجلس الغربي من مجالس الأجراء يقابل بقعوده فيه قعود الخليفة أبيه في المجلس الشرقي منها، فحجبه عن يمينه صاحب الشرطة الوسطى رائق بن الحكم خاله، وعن يساره صاحب الشرطة العليا يَحْيَى بن عبيد اللّٰه بن إدريس، وتحتهما من أصحاب الشرطة وأصحاب المخزول والخزّان والعُرَّاض وطبقات أهل الخدمة وأولاد الوزراء وغيرهم، ممن عزل منهم لذلك عن مجلس أبيه، للتسليم عليه وقضاء حقه، فكان ذلك دأبَ من حضر هذا المشهد السنيسع[1] حتى انقضى شأنه، وأذن لمن حضره من وجوه أهل الكور المجندين المستحضرين لشهوده بالوصول إلى أمير المؤمنين إثر خروج بني إدريس عنه، وقدموا على مراتبهم، فكان أول من توصل إليه منهم، ثم ثنّى بالأمير ولده جندُ دمشق، وهم أهل كورة إلبيرة وأعمالها من غَرْنَاطة وشَاط وشبلين وبرجة ودلاية وباعة والقبذاق وَلَوْشة ويَخصِب، ثم جند حِمْص، وهم أهل كُورة إشبيلية وَلَبْلَة، ثم جند الأردن، وهم أهل كورة رَيَّة. وتوصل بوصولهم أهل كورة قَبْرة وبَيّانة وبلاي، ثم جند فلسطين، وهم أهل كورة شَذُونة والجزيرة، ثم جند قِنَّسْرين، وهم أهل كورة جَيّان وأُبَّذَة وبيّاسة وبسطة، ثم جند مصر، وهم أهل تُدْمِير وبَلَنْسِيَة. وتوصل معهم أهل مَوْرُور وَقرْمُونة، ثم توصل أهل إستجَة وأَشونة وتاكرُنا، ثم أهل بَاجَة وأَكْشُونية، ثم أهل بَطَلْيُوس، وتابرة، ثم أهل ماردة وما يليها، ثم أهل طُلَيْطلة وقلعة رَباح وكركي، ثم أهل فريش ولقَنْت وبطرِلس وأهل غافق وبلي، ثم

(١) السنيسع: الحسن الجميل.

أهل شَنْترين والأشبُونة وشِنْترة، ثم أهل مدينة الفرج، ثم طَرْطُوشَة القاصية. فانقضى القعودان الرفيعان وقد تولى النهار، ونفذ العهد إلى أهل البلاد المستقدمين بالانطلاق إلى بلدانهم، ومكث تحدث الناس بينهم بفخامة هذا المشهد وجلالة يومه بِقُرْطُبَة مدة.

وفي عقب المحرم منها سخط الخليفة على الخازن أحمد بن مُحمَّد بن حَاجِب فعزله عن الخزانة وأمر بحبسه في بيت العمال بفصيل باب الجنان من قصر قُرْطُبَة، وعزل في عقب صفر بعده منها صاحب المخزول سَلَمة بن الحَكَم مولاه عن المخزول وسجنه بسجن الدويرة، وأمر بنقل أحمد بن مُحمَّد بن حَاجِب من بيت العمال إلى الدويرة معه، فمكثا هنالك إلى أن صفح عنهما السلطان فأطلقهما معاً يوم الجمعة لستٍّ بقين من ربيع الأول، وأعاد سَلَمة إلى المخزول وأحمد إلى الخزانة.

وفي يوم الإثنين لتسع بقين من صفر، وذلك عند انقضاء صلاة الظهر، تزلزلت الأرض بِقُرْطُبَة وما يليها زلزَلة ظاهرة قصرت مدتها، وكانت في هذا الوقت بعينه بأكثر كور الأندلس، فكتب بشأنها صاحب الشرطة يَعْلَى بن أحمد بن يَعْلَى القائد بالجوف من مدينة قورية بتاريخها، وحد الوقت المذكور بعينه.

وفي ربيع الأول منها عقدت السجلات لقواعد الثغر الأوسط من أهلها بولاية أوطانهم بالمواضع المذكورة فيها على جاري عادتهم وعلى ما نظر به الوزير القائد الأعلى غَالِب بن عبد الرَّحْمٰن زعيمهم، وسمّاهم وسمّى حصونهم وقراهم، فكان من مشهورهم مُحمَّد وعِيسَى ابنا سُرور بن قُنَّة، وإبراهيم وثابت ابنا عبد الرَّحْمٰن بن أبي الأخطل، ووليد وثابت ابنا سُليمان بن عَامِر، وضيغم بن وَهب بن أبي الأدهم وخالد بن زَرْوَال، ومُطرّف بن خلف، وَهُذيل بن خلف، وخلف بن غصن، وعَطِيّة وكُليْب ابنا فرتون، ويَحْيَى ومُحمَّد ابنا عِيسَى، وعبد الرَّحْمٰن بن سَلَمة بن أبي الأخطل، وغصن وأحمد وسرور بنو غزلون، وَسُليمان وعبد العزيز وعُبيد اللَّه ومُنْذر بنو عقال بن سَلَمة. وسُجِّل لِعيسى ومُحمَّد وهَاشِم وأحمد وعِيسَى وعُبيد اللَّه وعليّ وإبراهيم ولُبّ بنو يَحْيَى بن هُذيل بن رَزِين على الحصون الواقعة في سجل أبيهم يَحْيَى بن هُذيل صدر خلافة المستنصر باللَّه.

ذكر اعتلال الخليفة الحكم

وفي يوم الإثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول منها طاف على الخليفة الحكم طائف ألمٍ منعه الظهور لأهل مملكته، وأشفقت الرعية لما عراه[1]،

(١) عَرَاهُ: أصابه.

وارتمضت[١] وأعلنت الأدعية إلى اللَّه تعالى في تعجيل فرجه. واحتجب أمير المؤمنين عن جميع أهل مملكته متدعاً في علته، من يوم الأحد المؤرخ إلى أن تخفف من وصبه[٢] وغازلته عافيته وظهر لخاصته أول ظهوره وذلك يوم الجمعة لليلة بقيت من ربيع الآخر بعده، فأوصل إلى نفسه الوزير الكاتب صاحب المدينة بِقُرْطُبَة جَعْفَر بن عُثمان فكان أول من وصل إليه من وزرائه ورجال مملكته، اختصه على نظرائه وقدمه على قرنائه تشريفاً له وإظهاراً لخصوصيته به ومحله القريب لديه؛ وتوصل إليه في هذا اليوم بعينه أكابر الفتيان الخلفاء الصقالبة، فعمَّ الاستبشار[٣]، وشملت المسَارُّ[٤]، واختلصت الأدعية، وَقُضيت النذور، وجال المبشرون على أفناء الناس يبشرونهم باستبلال[٥] خليفتهم ويستخلصون له أدعيتهم، فتلاقوا أفواجاً يتهانون بينهم نعمة اللَّه عليهم بعافية إمامهم، ويضرعون له في تكميلها له، وفسحة إمتاعهم به، وإكمال المنّة عليه وعليهم فيه، وقالت الشعراء في ذكر هذا الطائف به وانجلائه عنه فأكثرت؛ فمن ذلك صاحب الشرطة الوسطى يَعْلَى بن أحمد بن يَعْلَى[٦]: [من السريع]

الحَمْدُ لِلَّه العَليِّ الكَبير ... قَدْ ذَهَبَ [الغمّ] وَجاءَ السُّرور

وَابْتَهَجَ الدينُ وعَزَّ الهُدى ... واعْتَدلَ المُلكُ وَضَاءَ البَدير[٧]

وَعَادت الدنيا إلى حُسْنِها ... وانفرجَ الخطبُ الجليلُ الكبيرْ[٨]

وَانْكَشَفَ الإشفاق عَنْ أنفسٍ ... أحرقها الوجدُ وطولُ الزفيرْ[٩]

ونَامتِ الأعينُ مِنْ بَعْدِ ما ... كانَ كَراهَا في مَحَلٍّ شَطيرْ[١٠]

أشرقتِ الأرضُ بِبُرْءِ الإمَامِ ... واسْتَوْسَقَتْ فيها جميعُ الأمورْ[١١]

وأنعمَ اللَّهُ على خَلْقِهِ ... بنعمةٍ يَعْجَزُ عَنْها الشَّكُورْ

---

(١) ارتمضت: حزنت وتألَّمت.

(٢) الوَصَبُ: الوَجَعُ والمَرَضُ.

(٣) الاستبشار: الفرح والسرور، يقال: استبشر الرجل: فرح وسُرَّ.

(٤) المَسَارُّ: جمع المَسَرَّة: السُّرور والفرح.

(٥) الاستبلال: البُرْءُ من المرض.

(٦) ترجمته في: جذوة المقتبس: ٣٧٣؛ بغية الملتمس: ٤٧٧.

(٧) البدير: البدر.

(٨) انفرج الخطب: انكشف وزال. والخطب: الأمر الشديد يكثر فيه التخاطب.

(٩) الإشفاق: الخوف والحذر.

(١٠) الكرى: النوم. الشطير: البعيد.

(١١) استوسق الأمر: انتظم، أو اجتمع وانضمَّ.

واجـتـمـعَ الـنـاسُ عـلـى أنَّـهـا قامتْ لَهُمْ بعد الرَّدَى كَالنُّشورْ[١]
كـادتْ قـلـوبُ الـنـاسِ أنْ تَـرْتَـقـي مُسْتَبْشِراتٍ فَتشقُّ الصُّدورْ[٢]
وَخصَّني فَوْقَ الذي خَصَّها فَكادَ قلبي فَرَحاً أنْ يَطِيرْ
ما أَعْظَمَ البُشْرَى التي بَثَّها عِنْدَ العَبيدِ الشَّاكرينَ البَشيرْ[٣]
حَياة أهلِ الأرضِ أهدى فلو يُعْطَى من الأَنفسِ كانتْ يَسيرْ[٤]
يا نَاصِرَ الدينِ إذا لم يَكُنْ له على الدنيا وليٌّ نَصِيرْ
ويا إمامَ المُسلمينَ الذي تغرقُ في بحرِ نداه البُحورْ[٥]
وَغُرَّةَ السَّعْدِ التي نُورُهَا مُنْحَسِرٌ منْ دونِهِ كلُّ نُورْ[٦]
قَدْ جدَّدَ اللَّه حياتي وَقَدْ أَخْرَجَني من بَيْنِ أهلِ القُبورْ
فَدُمْ عزيزاً يا إمامَ الهُدى في عُمُرٍ مُستنفدٍ لِلدُّهورْ[٧]
فأنتَ ظلُّ اللَّه في أرضهِ وَغَيْثُهُ السَّاكِبُ فيها يَطيرْ[٨]

وَلِيَحْيى بن هُذَيْل[٩] في ذلك: [من الكامل]

يا فُرْجَةً لِلحَادِثِ المُتَكَشِّفِ وَيَداً يَفيقُ بها الزَّمانُ وَيَشْتَفي[١٠]
عَمَّ السُّرورُ فَكُلُّ نَفْسٍ حَالها في حَالِ يَعْقُوبٍ بِبُرْدَةِ يُوسُفِ[١١]

---

(١) الردى: الهلاك، الموت. النشور: البعث.
(٢) مستبشراتٌ: فَرِحَاتٌ.
(٣) بَثَّ الشيء بثًّا: فَرَّقهُ ونشره، وبثَّ الخبر: أذاعه، أو أفشاه وأظهره.
(٤) اليسير: القليل.
(٥) نداه: كرمه وعطاؤه.
(٦) المنحسر: الكليل، الضعيف.
(٧) استنفد الشيءَ: أفناه وأذهبه.
(٨) الغيث: المطر. الساكب: المُنْصَبُ السَّائِل.
(٩) هو أبو بكر، يحيى بن هذيل: من أهل الشعر والأدب المشهورين في الأندلس، من أهل قرطبة. توفي سنة ٣٨٥هـ/ ٩٩٥م. (جذوة المقتبس، الحميدي: ٣٦٩؛ بغية الملتمس، الضبي: ٤٧٢؛ معجم المؤلفين، كحالة: ٣/ ٢٣٥).
(١٠) المُتكشّفُ: الزائل، المنفرج، يقال: تكشف الغمُّ وانكشف: زال.
(١١) يعقوب ويوسف: هما نَبِيًّا اللَّه عليهما السلام، وفي البيت إشارة إلى عودة الإبصار إلى يعقوب، بعد إلقاء قميص ولده يوسف على وجهه. قال تعالى: **﴿اذهبوا بِقَمِيصي هذا فَأَلْقُوهُ على وَجْهِ أبي يَأْت بَصِيراً﴾** [يوسف: ٩٣]. وقال تعالى: **﴿فَلَمَّا أنْ جاءَهُ البَشِيرُ أَلْقَاهُ على وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيراً﴾** [يوسف: ٩٦].

لَوْ كَانَ شَخْصاً لَمْ يُعادل حُسْنَهُ ... حُسْنُ الربيعِ بِزَهْرِهِ المُتألِّفِ[١]
وَلو اللَّيالي صَوَّرتْ أيامها ... مِنْها لما اتصلت بداجٍ مُسْرِفِ[٢]
فَرَحٌ فما في العالمينَ مُولَّهٌ ... مِنْ حُسْنِ مَوْقِعِه اللطيفِ المُلطفِ[٣]
قَدْ لَاحَتِ الشَّمْسُ التي أضواؤها ... مِنْ عَبْدِ شَمْسٍ في المحلِّ الأَشْرَفِ
وَقد اسْتَقلَّتْ مِرَّةٌ كَادتْ لها ... عُمدُ السَّماءِ مع الرّواسِي تَنْكَفي[٤]
وَقد اسْتَردَّتْ رَبْعَها رَيْحَانَةٌ ... ذَبُلَتْ فأيَّةُ بلدةٍ لَمْ تَزْحَفِ
وَقد استقالتْ عَثْرةٌ فأقالها ... مَلِكٌ إليه شَفاعةُ المُسْتَضْعَفِ[٥]
وَقد اسْتُجيبَتْ دَعْوَةٌ لَوْ أنها ... في العالمين لِفَضْلِها لَمْ تُخلفِ
قَدْ كادَ يشمتُ بالسخاءِ وبالنَّدى ... بخلُ الأشِحَّةِ واللّهى بالمُعتفي[٦]
ضَحِكَتْ إلى تلك السلامةِ دَوْلَةٌ ... تَركتْ لِعَضْدِ هِشَامِها المُتخلِّفِ[٧]
قَدْ كَادَ يشمتُ بالمُهنّد في الوَغى ... سَرْدُ المعافرِ فوقَ كلّ مُجفّفِ[٨]
يابن الخلائفِ مِنْ لُبابِ أميَّةٍ ... والمُستقلّ بعزّه والمُكْتَفي[٩]
عُوفِيتَ مِنْ كلّ الأذى وَنَعِمْتَ مِنْ ... حُسْنٍ وَصَرْفُكَ وَادعٌ لَمْ يَعْنفِ[١٠]

وفي عقب ربيع الآخر أنفذ الخليفة إعتاق جمع كثير من عبيد له وإماء تنيف[١١] عدتهم على مائة رقبة انعقد لكثير منهم عِتقٌ بَتْلٌ[١٢]، ولبعضهم عتقٌ مُؤجّل،

---

(١) المتألف: المتجمع، يقال: أَلَّف بين الشيئين: جمع، وأَلَّف قلبه: استماله.
(٢) الدَّاجي: المُظْلِم.
(٣) المُولَّهُ: الحائر، الذاهب العقل، يقال: وَلَّهَهُ الحبُّ أو الحُزن: حَيَّره وأَذْهَبَ عَقْلَهُ.
(٤) اسْتَقلَّتْ: ارتفعت، يقال: استقلَّ الطائر، واستقلَّ النبات، واستقلَّت الشمس. المِرَّةُ: الأصالة والإحكام، أو العقل، أو القُوَّة. الرواسي: الجبال. تنكفي: تنكفىء: تنقلب أو تميل.
(٥) العثرة: الزَّلَّةُ، السَّقْطَةُ. استقال الرجل: طلب أن يُقال. وأقال اللّه عثرته: صفح عنه وتجاوز.
(٦) السخاء والندى: الجود والعطاء والكرم. الأشحة: جمع الشحيح: البخيل، الحريص. اللُّهى: جمع اللُّهْوَة: العطية. المُعْتَفِي: طالب المعروف.
(٧) العَضْدُ: الإعانة والنُّصْرَة، يقال: عَضَدُه عَضْداً: أعانه ونصره.
(٨) المُهَنَّدُ: السيف المصنوع في الهند. الوغى: الحرب.
(٩) لباب أُميَّة: خالصها. المُسْتَقِلُّ: المرتفع.
(١٠) عَنُفَ الرجل: اشتد وقَسَا، يقال: عَنُفَ به، وعليه ـ عُنْفاً، وعَنافةً: أخذه بِشدَّةٍ وقَسْوَةٍ.
(١١) تنيف: تزيد.
(١٢) عِتْقٌ بَتْلٌ: قاطع.

ولبعضهم تدبير[١] خلص به جميعهم من الرقّ، عقدت الوثائق المحكمة العقد لجميعهم، فكان أول من أوقع شهادته فيها الأمير أبو الوليد هِشَام المرشح لولاية عهده بخطّ يده، وتلاه أعمامه الإخوة، ثم الوزراء على مراتبهم ثم قاضي الجماعة مُحمَّد بن إسحاق، وَوَليهُ الحكام والفقهاء أهل الشورى ثم العدول.

وفي صدر جمادى الأولى تِلْوَهُ أنفذ الخليفة تحبيس حوانيت السراجين بسوق قُرْطُبَة على المعلمين الذين قد كان اتخذهم لتعليم أولاد الضعفاء والمساكين بِقُرْطُبَة، وأشهد القاضي مُحمَّد بن إسحاق في هذا التحبيس يوم الجمعة لسبع خلون منه فعظمت به المنفعة وجلّت المنقبة[٢] وورّثَ اللّه به القرآن أمة لم يكن آباؤهم يعرضونهم لوراثته.

فلما أن كان يوم السبت [لثمانٍ] خلون منه أنفذ الخليفة عزمه في إسقاط سدس جميع مغرم الحشد الآزف حلول أدائه على جميع الرعايا بكور الأندلس لسنة أربع وستين وثلاثمائة شكراً للّه تعالى على إنظاره له وحسن بلائه لديه، فنفذت عهوده بذلك في هذا النهار إلى القواد والعمال بكور الأندلس، وعهد أن يكون هذا السدس المُسْقَط مكشوفاً لجميع الرعايا شائعاً في الناس يستوي في معرفته العالم منهم والجاهل، فيسبق إلى كل من وجب عليه مغرم معرفة السدس الساقط منه قبل أن يأتي القابض، ترفيهاً[٣] لهم واهتبالاً[٤] بمصالحهم، وأنفذ بذلك إلى الأقطار كتاباً:

«بسم اللّه الرَّحْمٰن الرَّحيم، أما بعد، فإن أمير المؤمنين لم يزل منذ اصطفاه اللّه تعالى لخلافته، وارتضاه لحمل أمانته، وقلّده أعباء بَرِيَّتِه، ناظراً لجميع المسلمين، محامياً عنهم، مهتبلاً بأمورهم، متعاهداً لأحوالهم، ساعياً فيما يرفه عنهم ويرغد عيشهم ويرخي بالهم، ويصل حبل جماعتهم، ويبسط العدل والأمن فيهم، تهون عليه في ذلك رغائب الأموال ونفيسات الذخائر وجلائل الأعلاق[٥]، فيما يعود عليهم ويرفع عنهم، ويرعاهم بعين من مصالحهم غير نائمة، وجوانح على النصيحة لهم منطوية، ونفس قد حشاها اللّه عليهم رأفةً وملأها رحمةً، لا يشغله دانيهم عن قاصيهم، ولا حاضرهم عن باديهم، ولا يلهيه ما بسط له من ملكه وعزّ سلطانه وعلوّ

---

(١) التدبير: من دَبَّرَ الرجل عبده: عَلَّقَ عِتْقَهُ بِمَوْتِهِ.
(٢) المَنْقَبةُ: الفعل الكريم والمفخرة.
(٣) رَفَّهَ فلاناً: جعله في رفاهة: في سعة ورغد، ورَفَّه عنه: نَفَّسَ وَوَسَّعَ وَخَفَّفَ.
(٤) اهتبل الرجل: أسرع، واهتبل الفرصة: اغتنمها.
(٥) الأعلاق: جمع العِلْق: النفيس من كلّ شيء، يَتعلَّقُ به القلب.

أمره وتمكين اللّه ـ تبارك وتعالى ـ له عن العناية بعِلْمِ حقٌ يرفعه وَتَوْهِينِ[١] باطل يضعه، وبحكم عدلٍ ينفذه، وتخفيف مغرم يرجو ثوابه، فكان أول ما استقبل به نعمة اللّه في استخلافه إياهم وإكرامه له بصرف أمر الأمة إليه أن أسقط من الجنايات المستقرة على الرعية أعداداً عيّ ذوي الإدراك حصرها، وشَعَّ في العالمين ذكرها، وأبقى اللّه عزَّ وجلَّ له فخرها وأجرها، مما لم تكن الخلفاء، رضي اللّه عنهم، مع عظم فضائلهم وجليل مآثرهم، لتسخو ولا تطيب أنفسها عنه، فهانت عليه في التزلف[٢] إلى ربه، واحتقرها في استصلاح رعيته. ثم لم يكتف بذلك ولا أقنعه حتى وضع عن الرعية بعد قليل مثله، وشفعه بشبهه، باذلاً له بنفس مُتَّسعةٍ لفعل الخير، وباع رحيبٍ ببسط الفضل، وَهِمَّةٍ أكبر من الدنيا، يقارضُ ربه فيحسن مقارضته، ويتاجره فتربح تجارته، فكلما جدد اللّه تعالى له صنعاً وزاد في ملكه تمكيناً وعلى أعدائه ظهوراً ازداد للّه تعالى خشوعاً وبنعمته اعترافاً ولفضله عليه شكراً وإلى مَن قلده أمره إحساناً. وإن أمير المؤمنين لما تظاهرت آلاء[٣] اللّه تعالى عليه وحسن بلائه عنده رأى أن يجدد له الشكر ويمتري[٤] منه المزيد بإسقاط سدس جميع مغرم الحشود الواجب تقاضيها منهم لسنة أربع وستين وثلاثمائة، تخفيفاً عن رعيته وإحساناً إلى أهل مملكته. وعهد أن يكون هذا الاسم المسقط مكشوفاً لجميع الرعايا ليبعد عن احتيال العمال وتسوّغ الرعية النعمة به، ويستوي في معرفته العالم والجاهل واليقظ والذاهل. فإذا ورد عليك كتاب أمير المؤمنين هذا فاحتفل في إنذار الناس بأقطار عملك ولا يتخلفنَّ منهم إلا من عُذْر أحد عنك، وأمر بقراءته عليهم إثر صلاة الجمعة ليفهمه قاصيهم ودانيهم، ويحمدوا اللّه عزّ وجلّ على ما وهب لهم من رأفة خليفتهم، وكريم نظر إمامهم لكافتهم، فيستدرّون عونه بالشكر ويستلهمونه العون على القيام بحقه وأداء مفروض طاعته والنصيحة له، فإنه يستجيب للداعين ويزيد الشاكرين ولا يضيع أجر المحسنين، إن شاء اللّه، وهو المستعان».

قال: وأتى شهر يناير العجمي الشمسي الذي هو نوروز العجم بالأندلس لمدخل سنتهم العجمية يوم الإثنين لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ربيع الآخر الذي كان الرابع من يناير بِقُرْطُبَة ونواحيها الثلجُ العظيم المتكاثف الذي لم يكن لأول وقته عهود بمعاينة مثله، وتمادى إلى [ما] بعد صلاة الظهر من يومه، وعم نزوله أقاليم قُرْطُبَة وكورها.

(١) التَّوْهينُ: التَّضعِيفُ.
(٢) التَزلُفُ: التَّقَرُبُ.
(٣) آلاء اللّه: نِعَمُهُ وأَفْضَالُه.
(٤) امترى الشيء: استخرجه.

وفي يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة منها وذلك في اليوم الثالث عشر من شهر ماي العجمي نزل بِقُرْطُبَة وما يليها غيثٌ وابلٌ هطّال تمادى أياماً ينسكب تارة ويقلع أخرى، وهبّت مع ذلك رياح شداد فمدّ نهر قُرْطُبَة مدّاً طامياً من يوم الثلاثاء لثمانٍ خلون من ماي، وطغى عشيّ النهار فخرج في الرصيف الذي يلي القنطرة وباب الجديد، وامتنع الناس السلوك بباب المحجة من وقت المغرب من ليلة الأربعاء بعده. واتفق أن أقبل قوم من أهل شبلار من ناحية قرية شَقُنْدَة فيهم خَصي وامرأة يريدون دورهم بين العشاءين، فلما انتهوا إلى باب المدينة لم يمكنهم السلوك بتلك المحجة ولا دخول المدينة من باب قُرْطُبَة كيما يخرجوا إلى رَبَضهم من باب الجديد لفوت القوت، فدعوا بقارب كان بذلك الموضع، جائل فيه، ركبوه منحدرين، فلم يجذف الملاح بهم إلا جذفات حتى غشيهم موجٌ طام غرق القارب فهلك النفر كلهم، حاشا الملاح فإن قوة سباحته نجته، فاتخذ الناس حديثهم موعظة.

وفي يوم السبت لإحدى عشرة ليلة خلت منه ولّى الخليفة زِيَاد بن أفلح مولاه خُطة المدينة بالزهراء المُتوفى عنها أخوه مُحمَّد بن أفلح، مجموعة له إلى ما بيده من خُطتي الخيل والحشم وولاية كورة فِرِّيش[1] وعملها، وولّى بني أخيه المُتوفّى: هِشَاماً وعبد الرَّحْمٰن وعبد الملك بني مُحمَّد خُطة العرض، وصيَّر منهم هِشَاماً مخلفاً لِعمِّه زياد على عمل المدينة الزهراء. وأوصل الخليفة إلى نفسه زياداً أول من أوصله إلى نفسه أولَ نقوهه[2] من علته يوم الجمعة بعده، فأقعده بين يديه مليًّا وعزّاه عن أخيه مُحمَّد، وشكر خدمته، ثم توصل إليه يوم السبت لخمس بقين من جمادى الآخرة فقعد بين يديه مليًّا وأمره بالإيقاع بِعبَّاد الطنجي الآبق[3] من المطبق لما أحدث فيه من قطع ما كان عليه من وثاقه، فخرج زياد وأنفذ ذلك لوقته، وأعاد الغلّ[4] على عبّاد وصرفه إلى المطبق.

وفي يوم السبت لأحدى عشرة ليلة خلت من رجب خرج عُبادة بن خَلَف بن أبي جَوْشَن مستخدماً للجواز إلى المغرب، وبين يديه الأموال الواجبة للأجناد المرتبطين بها قِبَلَ الوزير القائد يَحْيَى بن مُحمَّد بن هَاشِم، ليوصلها إليه وإلى الخازن بالعسكر أحمد بن مُحمَّد بن حُدَيْر.

---

(١) فِرِّيش: مدينة تقع غربي فحص البلوط، بين الجوف والغرب من قرطبة، وأكثر انحرافها إلى الغرب. اشتهرت بالبندق، ومعدن الحديد. (معجم البلدان، الحموي: ٤/ ٢٥٩).

(٢) النقوه: البُرْءُ من المرض، مع بقاء بعض آثاره على جسم المريض أو حركته.

(٣) الآبق: الهارب، المتمرد على سَيِّده.

(٤) الغلُّ: القيد.

ذكر نقوه الخليفة من مرضه

وفي يوم الجمعة لعشرٍ خلون من رجب ركب الخليفة الحكم أول ركباته عند إفراقه من علته إلى المسجد الجامع بالزهراء وطنه، ومعه ابنه الأمير أبو الوليد هِشَام المرشح لولاية عهده، لشهود صلاة الجمعة بها، وقد أنِسَ إلى العافية ووثق بالاستقلال، فافتتح حركاته إثرَ نقوهه بالبَدْء إلى بيت اللّٰه تعالى، ساعياً إليه لإقامة فرائضه الزكية، وتجديد نوافله[١] المتقبلة. فلما تمت صلاته أوصل إلى نفسه في قعوده بالساباط الوزير القائد الأعلى غَالب بن عبد الرَّحْمٰن مولاه، فقعد بين يديه وفاوضه في أمر الثغر وما بدا من جيشان[٢] العدو ببعض جهاته عند إحساسه ببعاد أكثر الجيوش إلى العُدْوَة، وأمره بالتأهب للخروج والإطلال عليه، فسارع إلى ذلك، وحضر مجلسهما الوزير الكاتب صاحب المدينة بِقُرْطُبَة جَعْفَر بن عُثمان، فشارك في المفاوضة، ثم ارتفع مع ولده إلى قصره وقد استعزم اللّٰهَ عزَّ وجلَّ على الرحيل من قصر الزهراء، لغلبة برد الجبل عليه، وقدَّر أنه يثور عليه خلطه[٣]، وأشار أطباؤه عليه بالتحول عنها، وهي سيدة القصور ومرتبة السرور ومفيدة الحبور، فراض نفسه على التنقل عنها عن غير فرك[٤] إيثاراً لحياطةٍ من علته الفالجية[٥] التي لا يكاد يستفيق منها، وقد تُمنَّى المليحةُ بالطلاق ولا ذنب لها.

فلما كان يوم السبت بعده لإحدى عشرة ليلة خلت من رجب منها عاود الركوب مع ولده الأمير هشام ركوباً حافلاً احتفل لمشاهدته أكابر رجال الدولة، فخرجا من الباب القبلي المسمى بباب الورد، برز الأمير هشام قبل الخليفة فترجل له أول الناس الوزير الكاتب صاحب المدينة بِقُرْطُبَة جَعْفَر بن عُثمان، وصاحب الخيل والمدينة بالزهراءِ زِيَاد بن أفلح ومن شهد من أصحاب الشرطة وطبقات أهل الخدمة مسلمين مبتهلين، ثم برَز إثره أمير المؤمنين، فتقدموا إليه وباسوا الأرض بين يديه وسلموا ودعوا، وتتابع على ذلك سائر أهل الموكب من الأحرار والعبيد وصنوف الحشم، وكان يحجبه ويحف به الفتيان الكبيران الأثيران فَائق وجَوْذَر مع أصحابهما من الخلفاء والأكابر، أكابر الفتيان، فوقف قليلاً ممسكاً عنانه متأملاً ما راقه من عبيده ومواليه، ثم

---

(١) النوافل: الهِبَاتُ، الواحدة: نافلة.

(٢) جيشان العدو: تَحرُّكه واضطرابه وغليانه.

(٣) الخِلْطُ: واحد الأخلاط، وهي في الطبِّ القديم: أمزجة الإنسان الأربعة: الصفراء والبلغم والدم والسوداء.

(٤) الفَرْكُ: البُغْضُ.

(٥) العلة الفالجية: التي تفلج الإنسان: تشلّ أحد أطرافه أو أعضائه، فلا يَقْوَى على الحركة.

نهض والأمير ابنه متقدم له واحتل بمنية أرحاء ناصح حظيته، ولحقه ولده الأمير هِشَام، فنزل بها وبات فيها.

فلما كان يوم الأحد بعده لاثنتي عشرة خلت منه ركب مع الأمير ولده وخاصة أهل موكبه من المنية بأرحاء ناصح إلى المنية بالناعورة، فنزل بقصرها وأقام فيه إلى أن صلّى الظهر، وقد نفذ العهد إلى الوزراء وأصحاب الشرطة وطبقات أهل الخدمة والحكام ورجال الدولة بالركوب إليه إلى قصر الناعورة، فلما توافوا بها خرج أمير المؤمنين على باب المنصة الأعظم منها مع الأمير ولده هِشَام يريد القصر بِقُرْطُبَة، وتولى حجابته الوزير الكاتب صاحب المدينة بِقُرْطُبَة جَعْفَر بن عُثمان، وصاحب الخيل والمدينة بالزهراء زِيَاد بن أفلح، وأصحاب الشرطة العليا مع أكابر الفتيان. وقد ترجَّل الوزراء وطبقات أهل الخدمة عندما بدا لهم فسلموا عليه وعلى الأمير ولده، فلما قضوا تسليمهم ركبوا وترتبوا في المواكب حسب منازلهم، وتقدم أمير المؤمنين نحو المصارة طرف قُرْطُبَة الغربي، فتلقاه بها رجال من كبار قُريش ونفر من وجوه الموالي نزلوا ودعوا ومجدوا، ونفذوا إلى أن أتى السوق الكبرى بِقُرْطُبَة، فتلقاه بها صاحب الشرطة والسوق أحمد بن نَصْر فسلم عليه، وتلقاه بعده بياض أهل قُرْطُبَة ووجوه أهل السوق وغيرهم مُسلّمين مُبتهجين داعين مُجتهدين. وتقدم من هناك وأفواجهم يتلقونه فوجاً بعد فوج من الخاصة والعامة، إلى أن انتهى إلى قصر قُرْطُبَة، فدخله من باب الجديد القبلي بركبة منقطعة. وقالت الشعراء والبلغاء فيما أعقب اللّه به الخليفة المستنصر باللّه من السلامة ويسَّر له من العافية وسرورهم بطلوعه عليهم وتجليه إليهم بركوبه إلى قصر قُرْطُبَة واحتلاله فيه أشعاراً كثيرة منها قول مَالِك بن حَسَن بن عِيسَى بن أحمد بن مُحمَّد بن أبي عَبْدَة، وصدَّر شعره برسالة وصلها به، والشِّعرُ: [من الطويل]

سَلِمْتَ أَميرَ المُؤمنينَ مِنَ الرَّدَى ... وَلا زِلْتَ مَنْصُوراً عَزِيزاً مُؤيَّدا[1]

ومُلِّيت عُمراً في الخلافة طائلاً ... وَمُلْكاً على ما تَشْتَهيه مُوطَّدا[2]

فَأَنْتَ حياةٌ للأنام وَنِعْمَةٌ ... مِنَ اللّه لا تَزْدَادُ إلّا تَأَيُّدا

ولما انجلتْ أيامُ عِلَّتِكَ التي ... أماتتْ نُفوسَ العالمين تبلُّدا[3]

---

(١) الرَّدَى: الموت والهلاك.

(٢) مُلِّيتَ عُمْراً: أُطِيلَ عُمرك، أُمهلت، يقال: أملاه اللّه العَيْشَ، ومَلّاه: أمهله وطوّل له. الطائل: الكثير الغزير، أو العُلوُّ والقُدْرَة، أو السعة والنفع أو الفائدة. مُوطَّدٌ: مُثبَتٌ، مُقوًى، مُرَسَّخٌ.

(٣) انجلت: انكشفت، زالت. التَّبلُّد: قِلّة النشاط والحركة، الاستكانة.

وَأَعْقَبَها بُرءٌ كَريمٌ وصِحَّةٌ ... أدامَهُما ذو الفضلِ والمنّ سَرْمَدا[1]

أضاءتْ لها الآفاقُ مِن بَعْدِ ظُلمةٍ ... وَأشرقَ فيها نُورُهُ وَتَوقَّدا

وَعمَّت سُروراً لم يَكُنْ قَطُّ مِثْلُه ... فَغارَ بأطرافِ البلادِ وأنجَدا[2]

فَلِلّهِ شُكرٌ دائمٌ مُتَرَدِّدٌ ... وَحَقٌّ عَلَيْنا أنْ يَدُومَ مُرَدّدا

وَما أحدٌ إلّا إلى اللّه راغبٌ ... بنيّةِ صِدْقٍ أنْ يَكُونَ مُخلَّدا

يُحصّن دُنيانا وَيَحفَظُ دِينَنا ... وَيَمْنَحُنا عَدْلاً وَيَسْتَهلِكُ العِدَا[3]

ويا لِسُرورِ القَصْرِ يَوْمَ حَلَلْتَهُ ... وَكَانَ زَماناً مِنْ حُلُولِك مُفْرَدا

مَشوقاً إلى الوجهِ السنيِّ الذي إذا ... بَدا قيلَ ضوءُ الشمسِ هذا الذي بَدَا[4]

فَلَوْ نَهضَتْ ساحاتُهُ لَتبادرتْ ... إليهِ وكانتْ في التَّبادرِ سُجَّدا

فَلا زالَ مَغمُوراً بِعزَّتك التي ... يَلُوحُ بها نُورُ السعادةِ والهُدَى[5]

ودَامتْ مع الأيامِ تُبلي جَديدها ... بِجدَّةِ عُمْرٍ لا يَزالُ مُجدَّدا[6]

وقال في ذلك أيضاً أحمد بن سُليمان الكاتب المعروف بالبياني أحد البلغاء الشعراء من طبقته قصيدة طويلة تصرّف في معانيها، افتتحها بتهنئة قصر قُرْطُبَة: [من الكامل]

يا قَصْرُ حَلَّكَ لِلإلهِ سَلامُ ... عَطَفتْ عَلَيْهِ زيادةٌ وتمامُ[7]

ظَلَّتْ تخايلُ في مَصانِعكَ العُلى ... فيها على تِلكَ السُّجوف زِحَامُ[8]

أَمَّتْ مَحلَّتك الكريمةَ رَحْمَةٌ ... إذْ حَلَّ فيكَ لِذي الجلالِ إمامُ[9]

وَأَتَتْكَ نُعْمَى غُرَّةٍ مَيْمُونَةٍ ... أمّ الأنامَ بِسَعْدِها الإنعامُ

ألقى عَلَيْكَ مَهَابَةً وَجلالَةً ... مَنْ يَنْجَلي عنْ نُورهِ الإظلامُ

عَلَمُ الهدى ومنارُهُ بِكَ قَاطِنٌ ... فَعَلَى ذُراكَ لِهَدْيهِ أعلامُ[10]

---

(١) السَّرْمَدُ: الدائم.

(٢) غارَ وأنجد: انخفض وارتفع.

(٣) يُحَصِّنُ: يمنع ويحمي. يمنح: يعطي. يستهلك العدى: يهلكهم.

(٤) سَنِيٌّ: ذو سناءٍ وقدرٍ ورفعة.

(٥) يلوح: يظهر.

(٦) تبلي: تُفني.

(٧) عطفت: مالت وانحنت، أو أشفقت ورحمت.

(٨) السُّجوف: جمع السَّجْف: أحد السِّتْرَيْن المقرونين، بينهما فُرْجَةٌ.

(٩) أَمَّتْ: نَزَلَتْ، حَلَّتْ. ذو الجلال: اللّه جَلَّ وَعَلَا.

(١٠) قَاطِنٌ: سَاكِنٌ، مُقيمٌ. ذُراك: عُلَاك.

فَكأنَّما يَحْكِيكَ حُسْنَ غَضارةٍ رَوْضٌ يجودُ بِساطَهُ الإرْهامُ[١]
جَمَعَ النَّدى بِكَ والمكارمَ كُلَّها فتفرَّقتْ عَنْ بابِكَ الأقسامُ
أبهجت مِنْ بَعْدِ التَّوحُّشِ جَانباً خَلَعتْ عَلَيْهِ جَمالَها الأيامُ[٢]
قَدْ كُنْتَ مَهْجُوراً مُضاعاً بُرْهَةً فالآنَ حِينَ أظلَّكَ الإكرامُ
والآن جَدّ الملكُ في غُلوائِهِ فَعَلتْ لَهُ فَوْقَ النُّجومِ خِيامُ[٣]
أرْسَتْ قَواعِدُه وَقرّ قَراره ما قَرَّ بَعدُ يَلَمْلَمٌ وَشمامُ[٤]
لا زلْتَ مَعْمُوراً بهِ مِنْ مالكٍ ما كَرَّتِ الأزمانُ والأعوامُ[٥]
عَزَمَ الإلهُ لهُ فأرشدَ رَأيَهُ لَمَّا استخارَ فأمَّهُ اسْتِعْزَامُ[٦]
بِتَنقّلٍ أَحْيَى الوَرَى وَشَفَى العَمَى وَجَلا الدُّجَى فتكشَّفَ الإظلامُ
عُصِمَتْ مَذاهِبُه بأيدِ مُؤيّدٍ ما زالَ مِنْهُ بِحَبْلِهِ اسْتِعْصَامُ[٧]
عَمّتْ بهِ الخيراتُ قُرْطُبةَ التي لَمَّا علاها ظِلّهُ القَوَّامُ
هَدَت البلاد على هدايةِ عَدْلِهِ فَلِخَائفِ الذئبِ المَخُوفِ سَلام
وَتألّفَ الخيرُ الوَرَى فَكأنَّما جَمَعَ الهُدى والمسلمين نِظامُ[٨]
طَلَعتْ على الإسلامِ أسْعَدُ غُرّةٍ عَفَرَ الوُجوهَ لِعزّها الإعظامُ[٩]
خَرّوا سُجوداً بالصَّعيدِ وُجُوههم فَعَلى [. . .] قسماتهن رَغَامُ[١٠]
قَرَّتْ عُيونُ المُسلمين بِصحَّةٍ رَقَّتْ لَهَا عَنْ نَفْسِها الأسقامُ

(١) الغضارة: السعة والنعمة والخصب. يَجُودُ: يُصيب. الإرهام: من أرهمت السحابة: أتت بالرِّهَام: جمع الرِّهْمَة: المَطْرَةُ الضعيفة الدائمة.
(٢) بَهِجَ الشيءُ بَهَجاً وبَهْجَةً: حَسُنَ ونَضُرَ، وبهج فلان: فَرِحَ وَسُرَّ، وأبهجت الأرضُ: حَسُنَ نَباتُها، وبهَّجَ الشيءَ: حَسَّنَهُ وَجَمَّلَهُ.
(٣) الغُلواءُ: أَوَّلُ الشيء وحِدَّتُه ونَشَاطُه.
(٤) يلملم وشمام: جبلان.
(٥) كَرَّت الأزمان والأعوام: عادت مَرَّةً بعد أُخرى.
(٦) استخار اللّه: طلب منه الخير. الاستعزام: الجدُّ والقُوَّةُ والصَّبْرُ.
(٧) عُصِمَتْ: مُنِعتْ، حُمِيَتْ. الأيْدُ: القُوَّةُ. الاستعصام: من استعصم باللّه: طلب العصمة: التَّوفّي من الوقوع في المعصية. وقد استعصم به واعتصم: امتنع به ولجأ.
(٨) تألف الورى: جمعهم.
(٩) عَفَرَ الوُجُوهَ: مرّغها في العَفَر: التُّراب.
(١٠) الصعيد: وجه الأرض، أو التُّراب. القسمات: جمع القسمة: ملامح الوجه. الرَّغامُ: التُّراب.

أبدى أميرَ المؤمنين جَلاؤها ... كالبدرِ تِمًّا قَدْ عَلاهُ غمامُ
وَبِعَوْدِ عافيةٍ وَيُمْنِ سَلامةٍ ... عَنْها يَصحُّ السّلْمُ والإسلامُ
وَبِها يقومُ الدينُ والدنيا معاً ... وَبِها يكونُ النقضُ والإبرامُ[1]
لما اجْتَلى عَنَّا الدياجي نُوره ... وَضَحَ اليقينُ وثَابَتِ الأحلامُ[2]
بالغُرَّةِ الزَّهراء أشبه نُورَهَا ... بَدْرٌ تكامَلَ لِلسّعودِ تَمامُ
بِخبيئةِ الخُلفاءِ نَجْلِ إمامهم ... والي العُهود كَفِيلُهنَّ هِشَامُ
شَمْسِ العُلَى مَجْدِ النَّدى عَلَم الهُدى ... وَقفتْ عليه بِفَخْرِها الأعمامُ
أعظمْ بِهنَّ عُمومةً نَزلَ الهُدى ... فيها وَوَحْي اللَّهِ والإسْلامُ
مَنْ تضحكُ الدنيا بِسَعْدِ نُموِّه ... والملكُ والعلياءُ والأيامُ
أعظمْ بهِ ملكاً تشدُّ برأيهِ ... قَبْلَ الأشُدّ جلائلٌ وَعِظَامُ[3]
هُوَ للخلافةِ هَضْبَةٌ مَخْمِيَّةٌ ... مَا إنْ لها إلّا يَدَيْهِ زمامُ
فَاعْضُدْ بهِ الملكَ المُعظَّمَ إنَّهُ ... هُوَ للخلافةِ كاهلٌ وَسنامُ[4]

وللنصف من شهر رجب منها أخرج الحكم عدة من أصحاب الشرطة وكبار رجال المملكة إلى كور الأندلس محركين لأهلها في ارتباط الخيل المبتعثة للنهوض مع جيش الصائفة الآزف تجريدها في هذه السنة على العادة، عند انتكاث أكثر طواغيت الجلالقة في هذا الوقت، وجيشانهم على أهل الثغور الشرقية، وانزعاج الخليقة لديهم عنها، فكان ممن جرده لذلك صاحب الشرطة العليا يَحْيَى بن عُبيد اللَّه بن يَحْيَى بن إدريس، أشخصه إلى كور الجوف، وصاحب الشرطة العليا قائد البحر عبد الرَّحْمٰن بن مُحمَّد بن رُمَاحس، أشخصه إلى كوَر الشرق: تُدْمِير[5] وبَلَنْسِيَة وَطَرْطُوشَة القاصية، وصاحب الشرطة العليا أحمد بن مُحمَّد بن سَعْد

---

(١) النَّقْضُ: الحَلُّ. الإبرام: الإحكام.

(٢) اجتلى: كشف. الدياجي: الظلمات. ثابت: رجعت.

(٣) الجلائل: العظائم.

(٤) عَضَدهُ: عاونه ونصره. الكاهل: ما بين كتفيه، أو موصل العنق في الصلب، ويقال: فلان كاهل القوم: مُعْتَمدُهم في المُلمَّات. السنام من كل شيء: أعلاه، والسنام من القوم: شريفهم.

(٥) تُدْمِير: كورة تتصل بأحواز كورة جيان، وهي شرقي قرطبة، وفيها معاقل، ومدن، ورساتيق، وبينها وبين قرطبة سبعة أيام للراكب القاصد. (معجم البلدان، الحموي: ٢/ ١٩).

الجَعْفَرِيّ إلى شَنْتَرِين وذواتها، وصاحب الشرطة الوسطى إلى بقية كور الجوف والغرب كذلك، في نفر سواهم.

ذكر إسماع الأمير أبي الوليد العِلمَ والحديث

وفي يوم السبت لليلتين خلتا من شعبان منها أمر الخليفة الحكم في الإرسال في الشيخ الجليل الفقيه الراوية يَحْيَى بن عبد اللّه بن يَحْيَى [بن يَحْيَى] بن يَحْيَى الليثي أرفع مُسندي الحديث وقته ذلك بِقُرْطُبَة لإجلاسه عند الأمير أبي الوليد هِشَام ولده المرشح لولاية عهده ومشاهدته إياه للسماع منه والأخذ عنه لِسُموِّ درجته في العلم واعتلاء منزلته في الرواية؛ إذ روايته عن عم أبيه أبي مَرْوَان عُبيد اللّه بن يَحْيَى عن أبيه يَحْيَى بن يَحْيَى، عن مَالك بن أنس رضي اللّه عنه. فكان المرسل فيه من قبل الخليفة المستنصر باللّه مُؤَدّب الأمير أبي الوليد أحمد بن يُوسُف المعروف بالقَسْطلي، فأسرع الاستجابة وأقبل إلى القصر مع ابن يُوسُف، وتوصل إلى الأمير أبي الوليد بمكان قعوده للحضار في الدار المعروفة بدار الأولاد. وكان بين يديه الوزير الكاتب صاحب المدينة بِقُرْطُبَة جَعْفَر بن عُثمان، فأعلم الفقيه يَحْيَى عن أمير المؤمنين بحسن رأيه فيه ووقوع اختياره عليه لإسماع أعزّ الناس عليه، مجتهداً في إفادته وإعلاء درجته، فشكر الشيخ وأثنى وقعد، فقرأ أحمد بن يُوسُف مُؤدّب الأمير مبتدئاً بالجزء الأول من موطأ مالك بن أنس في كتاب الفقيه يَحْيَى بن عبد اللّه وهو كتاب الصلاة منه، رواية يَحْيَى بن يَحْيَى، وضبط الأمير أبو الوليد كتابه سامعاً فيه ومقابلاً بكتابه الذي لا يتضع عنه كتاب لجده الخليفة الناصر لدين اللّه، قرأه ـ رضي اللّه عنه ـ على عُبيد اللّه بن يَحْيَى بن يَحْيَى في زمانه، ورواه عنه عن أبيه عن مالك بن أنس، وقرأه بعده ابنه الخليفة المستنصر باللّه أيام طلبه على أحمد بن مُطرّف المعروف بابن المشاط حامله عن عُبيد اللّه بن يَحْيَى عن يَحْيَى عن مَالِك. فلما تمّ مجلس السماع وحان انقلاب الشيخ يَحْيَى بن عبد اللّه نفذ عهد الخليفة بأن يكون ركوبه ونزوله في الفصيل المعروف بفصيل المسجد، تشريفاً وترفيهاً عنه، فجرى أمره على ذلك مدة اختلافه. وعاود الحضور يوم الأربعاء لأربع خلون من شعبان فأسمع الأمير على رسمه بمشاهدة الوزير الكاتب جَعْفَر بن عُثمان أثير الخليفة والده، ونفذ العهد بأن يكون اختلاف الشيخ الفقيه إلى الأمير أبي الوليد يومين في الأسبوع يوم السبت والخميس على الاطراد إلى أن يكمل إسماعه الموطأ وجميع ما رواه من الدواوين عن عمّ أبيه أبي مَرْوَان عُبيد اللّه بن يَحْيَى وغيره من الشيوخ الذين لقيهم وأخذ عنهم إن أنسأ اللّه مدته، فجرى الأمر على ذلك وأحرز الأمير به الفضيلة.

ذكر جَيَشَان العدو خذله اللّه بأهل الثغر الأوسط ومنازلتهم حصن غَرْمَاج من أهم معاقله

وفي النصف من رجب منها توالت الأخبار من الثغر الأوسط باحتلال جيش العدو من المشركين ـ أهلكهم اللّه ـ في جمع كثير من الجلالقة والبشكنس أهل قشتيلة وبنبلونة ـ دمّرها اللّه ـ بحصن غَرْمَاج من ثغر مدينة سالم وإحاطتهم، غادرين بذمتهم، ناقضين لعهدهم، بادئين بالنكث، مصحرين[١] للحنث، وذلك يوم السبت لليلتين خلتا من شعبان منها، وأنهم واضعوا أهله المسلمين ـ نصرهم الله ـ القتال فأصحروا لهم وماصعوهم أصدق مصاع[٢]، فقتلوا من الكفرة عدداً كثيراً، وباتوا عليهم، ثم صابحوهم يوم الأحد بأجدّ من عزمهم فكانت الدبرة على المشركين، وعمل الكفرة على مطاولتهم، فاضطربت عساكرهم على وادي دويرة محاصرين لحصن غَرْمَاج، وخاطب أعداء اللّه من ببلدهم من الكفار مستجيشين لهم مستمدين، فنقض جميعهم السلم وختروا بالعهد[٣] وتساربوا[٤] إلى حصن غَرْمَاج وتجالبوا نحوه غير مُعْتلّين[٥] بِعلّة توجب لهم فُسْحةً في مخرج، أو يجدون بها سبيلاً في منهج، إلا طماعية في درك بعض تَبْلهم من المسلمين غبّ ما بلغهم اشتغال جند السلطان الأعظم بالحرب المنشبة بينه وبين أهل العُدْوَة، وبعد المسافة عليهم في اللحاق بهم متى قفلوا، فحدقوا بالحصن ووالوا أهله الحرب، فأفرغ اللّه صبره عليهم، وثبت أقدامهم في مصاعهم، فقلّ يوم قاتلوهم فيه وقاوموهم وأصابوا منهم، وابتدر الخليفة لأول سقوط الخبر بالثغر عليه في سده والإعجال لإمداد أهله، وتجريد عسكر الصائفة المعاود تجريدها كل عام إليه مكثفاً لأعداده، منتقياً لرجاله، وقد ارتأى أن يستعمل عليها شيخ مواليه وكبير قواده وسيف انتقامه، الوزير القائد الأعلى أبا تمام غَالِب بن عبد الرَّحْمٰن، شيخ الحروب وفارس الخطوب ومهون الكروب ومذلل القروم[٦]، إثر ما تهيأ له إقفاله من أرض العُدْوَة، مغنياً عنه أفضل غناء فيما أطفأ هنالك من نائرة،

---

(١) أصحر الأمر وبالأمر: أظهره.

(٢) ماصع قِرْنَهُ مصاعاً: جالده بالسيف ونحوه.

(٣) ختروا بالعهد: خانوا أو غدروا.

(٤) تساربوا: تتابعوا، دخلوا.

(٥) اعْتَلَّ فلان: تَمسّك بِحُجَّةٍ أو سَبَبٍ.

(٦) القروم: جمع القَرْم، وهو من الفحول: الذي يُترك من الركوب والعمل، وَيُودَعُ لِلضِّراب، ومن الرجال: السَّيِّدُ المُعَظَّمُ.

وراض من صعوبة، أراحه عقبها لديه بحضرته من الكدّ، مُجرّداً له نوافل الرفد[١]، متوقلاً[٢] به درجات المجد، حتى لأنفذ عهده في النصف من رجب من هذه السنة بتصدير فراشه، الموضوع مكانه ببيت الوزراء في قصره الذي هو معان العزة التي لها يسعى أهل المملكة، فوق فرش الوزراء المرتبة فيه على المنازل المعهودة الترتيب لديهم في طبقاتهم، وتعليته في القعود فوق جميعهم، تشريفاً له لم يسبق إلى مثله.

فلما أن كان يوم الخميس لسبع خلون من شعبان منها قعد الخليفة الحكم مقعداً خاصًّا بمجلسه من قصر قُرْطُبة، شهَده الأمير أبو الوليد ولده والوزير صاحب المدينة جَعْفَر بن عُثمان خاصة، فأوصل إلى نفسه الوزير القائد الأعلى غَالِب بن عبد الرَّحْمٰن، فتكلموا معه في أمر الثغر وجَيَشَان العدو به، وتفاوضوا في تعجيل السَّدّ له والإمداد لأهله، وأمر بالتأهب لذلك وَقوْدِ جيوش الصائفة الحافلة إلى أعداء اللّٰه المشركين الناكثين، واستعجال الفصول بالخير والتأييد على ما نجم[٣] من ختر[٤] الكفرة ـ أهلكهم اللّٰه ـ لما سألوه من السلم دون علة، وابتدارهم حصن غَرْمَاج بالمحاصرة، فتلقى غالب ذلك بالقبول، ووعد من نفسه فيه الجهد، فشرفه أمير المؤمنين عند انطلاقه من مجلسه بما لم يشرف به خليفة من خلائف الأندلس أميراً ولا قائداً سواه، ولا تقدم لملك حاشاه، ذلك أن قلَّده سيفين من ذخائر سيوفه مذهبين، حليتا غِمديهما أثقل حلية بأغرب صنعة، ردّاه في مكرمة أعلى بها منزلته، ورفع درجته بعد أن خلع عليه من كسوة الخاصة خلعاً، عاليهما ثوب أحمر عراقي رفيع النسبة بديع الصنعة، وقلنسه بقلسات وَشْي كاميّ عالية السمك جليلة القيمة، وسمّاه ذا السيفين، وعهد بإقرار هذه السيماء عليه مع سماته المتقدمة، فتلقى هذه الكرامات بالابتهال في الحمد والإسهاب[٥] في الشكر، وانفض المجلس فخرج غالب يختال في خلعه هذه، وفاضلها محمول بين يديه، إلى أن وصل إلى فراشه المصدر له ببيت الوزارة، فقعد عليه يحدث أصحابه، ومنديل الخلع بين يديه، فجعل الوزير مُحمَّد بن عُبيد اللّٰه يمدّ يده إلى ما داخله من الكسوة مُكِبًّا عليها مقبلاً لها مثنياً على الخليفة واهبها داعياً له بإحسان الجزاء وإطالة البقاء. وحان انقلاب الوزير القائد الأعلى ذي السيفين غالب إلى داره، فضم إلى ركابه فرس أشهب رائع من مقربات الخليفة بسرج معرق ولجام

---

(١) الرِّفْد: المعونة.

(٢) مُتوقِّلاً: من تَوقَّل في الجبل: صَعَّدَ فيه، ومنه يقال: تَوقَّل في مصاعد الشرف أو المجد.

(٣) نجم الشيء: ظهر وبدا.

(٤) الختر: الخيانة والغدر.

(٥) الإسهاب: الإمعان في الشيء، والتَّوسُّع فيه، والإسهاب في الكلام: الإكثار والتطويل.

مفرغ، فركب من الحجر مكان ركوب الأعزة، وخرج على الناس والسيفان عليه قد تكنفا عاتقه، فنظر من يومه في جهاز سفره، والسلطان قد جمع له أمره ووكل به وزراءه وطبقات خدمته في الحشم بتجريد الأجناد معه وتكميل جهازه، فأوعبوا ذلك سريعاً، وفصل الوزير القائد الأعلى ذو السيفين غالب بن عبد الرَّحْمٰن لوجهه هذا نافذاً إلى الثغر غداة يوم السبت لتسع خلون من شعبان منها، أفخم فصول وأكمله، وخروجه أعظم خروج وأتمه، واحتفال الناس للنظر إليه أبلغ احتفال وأجمعه، فكان خروجه من داره في لأمة حربه متقلداً بسيفي كرامته مرتدياً بهما من جانبيه، وبين يديه تعبئة بعد تعبئة، وترتيب بعد ترتيب، من جيوش منتظمة، ومقانب متصلة، قد طبقت الأفق وأغصت الطرق، وصَيَّر طريقه على باب القصر بقُرْطُبَة، ومولاه الخليفة قد تجلى له في السطح فوق باب السدة، رافعاً كفه إلى اللّٰه في نصر المسلمين بيده، وبين يديه الأمير هِشَام ولده يتمثل فعله، فنفذ لسبيله والخلق يشيعونه إلى أن فارق أبيات قرطبة، فاحتل آخر يومه ذلك بوادي شوس أرملاط؛ ثم ارتحل يوم الأحد بعده لعشرٍ خلون منه يطوي المراحل ويغذّ السير[١]، وخبره متصل بمولاه، واتصل نظر الوزراء ومن معهم من أهل الخدمة بعده أياماً في حملان بقية الجند الغازين معه وإعطائهم معارفهم وإنهاضهم خلفه.

أقول: امتثل الخليفة المستنصر باللّٰه في إلباس مولاه غالب السيفين وتسميته بهما فعل الأمير أبي أحمد الموفق باللّٰه وليّ عهد أخيه المعتمد على اللّٰه المؤيد لدولته بإسحاق بن كنداج الخزري مولاهم، عاملهم على بلد الجزيرة عندما اجتاز به خليفتهم أحمد بن المعتمد على اللّٰه بن المتوكل على اللّٰه فارّاً عن ملك أخيه أبي أحمد الموفق باللّٰه، وقيامه بالسلطان دونه قاصداً أحمد بن طُولون التركي مولاهم، والي مصر والشام المحادّ للموفق باللّٰه فيه، فقطع به إسحاق بن كنداج عن ذلك لما اجتاز به وحال دونه وصرفه إلى العراق مستحمداً إلى أخيه أبي أحمد، فرتق فتقه[٢] ودعم ملكه وشدّ أواخي[٣] ثقاف الخليفة المعتمد على اللّٰه بعده، مرفهاً عنه مخلياً بينه وبين البطالة الغالبة، فأبلغ الموفق باللّٰه أبو أحمد عند ذلك في مكافأة إسحاق بن كنداج بما سنّه عليه بأَجْزَل الصلات وأسمى الدرجات، وتناهى في الخَلْع عليه والتنويه به إلى أن ردّاه سيفين حمل عليه اسمهما في سماته وشَهَّرهما يوم خلعه عليه، فجرت سمتهما

---

(١) أَغذَّ السَّيْرَ: أسرع فيه.

(٢) رَتَقَ الفتق: سَدَّه، لَحَمَهُ. والفتقُ: الشّقُّ.

(٣) الأواخي: جمع الآخية: المعروف، أو عروة تثبت في أرضٍ أو حائط تربط بها الدابة. والأواخيُّ: جمع الآخِيَّة: الحُرْمَةُ والذِّمَّة.

عليه حياته، وضمنهما مُدّاحهُ من الشعراء أقوالهم في امتداحه، ففي ذكري من ذلك قول زعيمهم البُحتري[١] في شعرٍ مدحه به حيث يقول[٢]: [من الكامل]

أَخْلِقْ بذي السَّيفَيْن أَوْ أَصْدِقْ بهِ أنْ يُعْمِلَ السَّيْفَيْن حَتَّى يُحْسَرَا[٣]

فامتثل الخليفة الحكم أبا أحمد الموفق باللّٰه فيما فعله بإسحاق فعلهُ في غالب مولاه، وغرّبا معاً في ما ابتدعاه من ذلك، إذ لم يسبقهما أحد من الملوك إلى مثله، ولا اقترن بهما بعد في امتثاله؛ وللملوك في التنويه بصنائعهم وَحَملةِ كَلِّهم أعمالٌ ممتثلة وأخبار مأثورة.

قال: ولم يأتل الخليفة الحكم في تقوية الثغور بكل معنى من الإمداد والإرفاد منذ اتصل به جيشان العدو بأهلها من قبل إنفاذه لمولاه غَالِب بن عبد الرَّحْمٰن بالحشد من جنوده ومن بعد مسيره، فعجل إنفاذ صاحب الشرطة الوسطى عبد الرَّحْمٰن بن يَحْيَى بن مُحمَّد بن هَاشم التُّجيبي المقيم لديه بِقُرْطُبَة إلى سَرَقُسْطَة بلده قائداً وممدًّا، استدعاه الأمير أبو الوليد هِشَام ولده إلى مجلسه يوم الإثنين لأربع خلون من شعبان منه، فأمره عن أمير المؤمنين أبيه بتعجيل اللحاق إلى سَرَقُسْطَة قائداً، وبما يحتمل عليه آمراً، وحدَّ له في ذلك حدوداً يمتثلها، وخلع عليه خلعاً فاخرة، ففصل عبد الرَّحْمٰن سائراً إلى عمله يوم الثلاثاء بعده لخمسٍ خلون من شعبان، فكان خروجه ظاهر الزينة حسن التعبئة؛ ونفذ العهد إلى مُحمَّد بن فورتش بالخروج إلى ثغر سَرَقُسْطَة وذلك الفرج مطالعاً لحاله ومنهياً لمصالحه.

وفي يوم الخميس للنصف من شعبان منها خرج سَهْل الفتى الكبير إلى الثغر الأعلى بسؤال الوزير القائد غالب إرساله إليه مُمدًّا ليستعين به، فنفذ نحوه في جمهور من الحشم وطائفة من العبيد الخمسيين والرماة؛ وخرج مُحمَّد بن أحمد بن أمية بن شُهيد مستخزناً على الأموال الجمة المرسلة إلى الوزير القائد غالب للاستنفاق في عسكر الصائفة النافذ عنه لصائفة هذا العام.

وفي يوم الأربعاء لِستٍّ خلون من شعبان منها صعد الخليفة الحكم إلى السطح المُوفي على باب السدّة ومعه الأمير ابنه أبو الوليد منفرداً، فتجلى منه طوائف من أكابر

---

(١) هو أبو عبادة، الوليد بن عبيد البحتري الطائي: شاعرٌ، مُقدَّمٌ، مشهور. عاش في زمن العباسيين، ومدح جماعة منهم. توفي سنة ٢٨٤هـ/ ٨٩٨م. (طبقات الشعراء، ابن المعتز: ٣٥٨).

(٢) ديوان البحتري: ١/ ٤٢٧. والبيت من قصيدة طويلة، يمدح بها إسحاق بن كنداج، عندما تُوِّج، وَقُلِّد سيفين.

(٣) في الديوان: «أو صدق به».

طبقات الأجناد من الموالي والعرفاء وأشكالهم، اجتمعوا هنالك للاعتراض، تطلعت نفسه إلى معاينة تحركهم باللعب على خيولهم وملاعبتهم لأقرانهم، طالباً بذلك مسرَّة الأمير ولده، فأنفذ الأمر إليه بمعاناة ذلك تحت التحفظ من الأذى، وأن يصيِّروا محاولاتهم بالرماح إشارات لا تؤول إلى جراحات، وحفظوا من مخالفة ذلك وأوعدوا على تنكبه، فأخذوا في شأنهم مجتهدين، ودارت بينهم محاولات سالمة يطرد منها بعضهم لبعض ويحترس من الخطأ، إلا ما كان من افتراس وليد بن عبد الملك بن مُوسَى بن الطويل الثغري لِقِرْنه مدين بن الخير بن خَزر البربري بمركز رمح أصاب به ما بين كتفيه فسقط جريحاً واحتمل إلى داره، وقيذاً[١]، واعتداء مُنذر بن عَبد اللَّه بن هابل على قِرْنِهِ من الجند بمثلها. فأنكر الخليفة ذلك، فأمر بسجن الوليد وَمُنْذر أدباً لهما، وأمر للجريحين بصلتين وارتفع عن مجلسه ذلك قرب صلاة الظهر من يومه.

ذِكْرُ الظَّفَرِ بأبي الأَحْوَص

وفي يوم السبت لسبعٍ بقين من شوال منها ورد الكتاب بما مَنّ اللَّه به وصنعه على يدي رَشيق البرغواتي القائد بِلَارِدَة[٢] من ظفره بالمرتد المجرم معدّ بن عبد العزيز التُّجيبي المشتهر بكنيته أبي الأَحوص، وقبْضه عليه دون عهد ولا ميثاق؛ وكان قد أبق عن المصاف منذ ستة أعوام، ولحق بأعداء اللَّه المشركين مع رهط من أصحابه، فكان يظاهر المشركين على طروق أطراف[٣] المسلمين، ويدل على عوراتهم[٤]، وينتهز الفرص فيهم، ثم دخل حصناً من الحصون المعاهدة المؤدية، ـ كان يؤدي الجزية إلى قواد لَارِدَة القاصية يُدعى حصن الرشد ـ اعتصم به له وحمل أهله على النكث، وصار مالكاً للحصن، فلما حان وقت أداء الجزية على أهله أرسل إليهم رشيق القائد بِلَارِدة يسألهم أداءها له على عادتهم، فامتنعوا منه ولاذوا بالغويّ أبي الأَحوص وأسندوا إليه، فتهيأ رَشِيق لقصدهم وجمع الجند والمطوعة قبله، ومضى نحوهم، فنزل على الحصن وأخذ في قتاله، وقد أغلق أهله الأبواب عليهم ولاذوا بحصانته، وتسمع قومس كان بتلك الناحية بخبر محاصرته لهم فجمع خيله وسار نحوهم ممدًّا لهم، وقد سقط خبره على رَشِيق فقطع عليه طريقه قبل أن يصل

(١) الوَقِيذُ: الذي يُغْشَى عليه، لا يُدْرَى أَمَيِّتٌ هو أم حَيٌّ.

(٢) لاردة: مدينة تقع شرقي قرطبة، وتتصل أعمالها بأعمال طَرَّكونةَ منحرفة عن قرطبة إلى ناحية الجوف، ويُنسب إليها عدد من المدن والحصون. (معجم البلدان، الحموي: ٥/ ٧).

(٣) طَرَقَ القومَ طُروقاً: أتاهم ليلاً، وطرق الطريق: سلكه. الأطراف: الجوانب والنواحي.

(٤) العورات: جمع العورة: كل بيت أو موضع فيه خلل يُخْشَى دخول العَدُوّ منه.

إليهم، وواضعه الحرب فهزمه، وقتل له علوجاً بعث برؤوسهم إلى باب السُّدَّة، ونجا القومس مفلولا[1]، وتمادى رَشيق على حصار أهل الحصن والتضييق عليهم وسومهم الإفراج عن المارق[2] أبي الأحوص، فراسلوا رَشيقاً مذعنين بإخراج أبي الأحوص وصحبه على أن يكفّ عنهم ويقتنع منهم بأداء جزيتهم وإعلامهم بذمة سلمهم، عائذين إلى طاعتهم، فأعطاهم ذلك ووثق لهم، فأسلموا إليه أبا الأحوص وأصحابه، فتوثق منهم، وبادر الكتاب بإعلام أمره، فَجُووِب: يُتشكر فعله ويُحمد مقامه وَيُؤمر بإرسال الفاسق وأصحابه إلى باب السُّدَّة، وبعث إليه صلةً نفيسةً وخلعاً فاخرةً فيها سيف حالٍ رفيع القيمة، وقيد إليه فرس رائع بحلية مفرغة.

فلما كان يوم الأحد لثمانٍ خلون من شهر رمضان وصل إلى قُرْطُبَة أبو الأحوص مَعنّ بن عبد العزيز مكبولاً مع عشرة من أصحابه مكبولين أيضاً، وبين أيديهم رؤوس أعلام المشركين الذين قتلوا في المعترك من أجله، سبعة عشر رأساً مرفوعة فوق الرماح، فرفعوا بباب السُّدَّة من قصر قُرْطُبَة، ونفذ العهد إلى مُخلَّف المدينة مُحمَّد بن الوزير الكاتب جَعْفَر بن عُثْمان بسجنهم جميعاً في سجن المطبق، فضمهم إليه؛ ورفعت رؤوس المشركين مكانها بإزاء باب السُّدَّة، ونفذ العهد إلى رَشِيق البرغواتي بالتخلي عن عمله لَارِدَة ومنتشون وذواتهما لِهَشام بن مُحمَّد بن هِشَام التُّجيبي المُولَّى مكانه إثر قفوله من العُدْوَة، واللحاق بالعسكر والانضمام إلى القائد الأعلى ذي السيفين غَالِب بن عبد الرَّحْمٰن، فنفذ ذلك.

وفي يوم الثلاثاء لخمس بقين من شعبان منها قُدِّم عبد العزيز بن حَكَم التُّجيبي القائد من الشرطة الوسطى إلى الشرطة العليا وصيِّر ركوبه من على الحجر، ثم استدعاه الأمير أبو الوليد إلى مجلسه يوم الخميس لثلاثٍ بقين منه، فأمره عن أمير المؤمنين والده باستعجال الخروج إلى عمل دروقة وذواتها بشدة، ثم اللحاق بالوزير القائد الأعلى ذي السيفين غالب بن عبد الرَّحْمٰن بالعسكر المؤيد والكون معه.

وفي آخر شعبان منها وردت الأخبار من الثغر باحتلال الوزير القائد الأعلى ذي السيفين بحصن برهون يوم السبت لسبع بقين منه، وأنه تلوّم به حتى تلاحق به بعض مبطئي الجند، ثم تقدم إلى زلنقة، ثم إلى جبل الوسيط به بقبليّ حصن غَرْمَاج الحصور[3] على شفير[4] وادي دويرة الحاجز بين بلد الإسلام وحصن غَرْمَاج، فألفاه

---

(١) المفلول: المُنهَزِم، المُنْكَسِر.
(٢) المارق: الخارج على الدين أو الجماعة.
(٣) الحَصُور: المُمتنع.
(٤) شَفير الوادي: حَافَّتُه.

حاملاً ممتنع التقحم فيه، قد وعر المشركون المخائض بضفته قبالة مَجثمهم[١] على الحصن، محيطين به في جموع لا تُحصى وأعداد لا تُحدّ ولا تُقصى، ووضعوا على النهر طلائع في خيولٍ كثيفةٍ ورجل لفيف، فتوقف الوزير غالب عن الاقتحام مضطراً، وحطّ عسكره، وقابل أماكنَ المخائض إليهم بمثل أعدادهم من الخيل والرجل، وبلغ من شدّة الاحتراس الجهد.

وفي غرة شهر رمضان تسارب مطوعة أهل قُرْطُبَة بالخروج إلى الثغر الأعلى ممدين لأهله فانجفلوا راغبين في الجهاد بأموالهم وأنفسهم يوماً إثر يوم، وأَعجب السلطان ما كان من انبعاث مطوعتهم دون إلزام لهم وأثنى بصالح بلائهم.

وتجددت مدخل شهر رمضان صدقات الخليفة ونمت وزكت، فنفع اللّه بها خلقاً من محاويج الناس[٢] وضعفائهم، وأعلن فيه الهتاف على مستأخري الأجناد ذوي العلات المبطئين عن اللحاق بالعسكر المؤيد لتعجيل اللحاق به، وترك التلوّم عنه[٣]، ونُبذ[٤] إليهم بالوعيد الشديد في تَربُّصِهم[٥] فخرجوا مُستبقين.

ووافت الأخبار من العسكر بتلاقي حراس المسلمين والمشركين على شفير وادي دويرة يوم السبت لسبع خلون من رمضان، أنشأه فريقا الحافظين للمخائض من الأمتين، ينبري بعضهم إلى بعضٍ، ثم استطرد المسلمون لمن تشوف إليهم من المشركين، حتى اجتاز إليهم عدد عظيم منهم خالطوهم، فنزل بينهم قتال شديد وراء النهر حميت منه نفوس المسلمين فجلدوهم القتال، وهم أقل عدداً منهم، وعاركوهم مليًا، فاكتفوا بهم ونالوا منهم. واتصلت بالوزير القائد غالب هذه الناشبة[٦] وهو بمجلسه فأنكرها، وركب من فوره فيمن خفّ من رجاله وأوفى عليهم فزلزل اللّه بالمشركين، وولوا مقتحمين النهر والسيوف آخذة مأخذها من نحور الكفرة وظهورهم، فأثخن القتل فيهم ولم ينج منهم غير من ابتدر الترامي فيه، وصرع في المعترك من قواسيسهم[٧] خاصة نحو عشرين رجلاً،

---

(١) المَجْثَمُ: مكان الجثوم: الإقامة أو الثبات واللزوم، يقال: جثم الحيوان والإنسان جثوماً: لزم مكانه فلم يبرح، أو لَصِقَ بالأرض.

(٢) محاويج الناس: ذوو الحاجة منهم.

(٣) التَّلَوُّم: التَّلبُّثُ على الأمر، أو التَّمكُّثُ والانتظار فيه.

(٤) نُبِذَ إليهم بالوعيد: جُوهِروا به.

(٥) التَّربُّص: الانتظار والتَّرقُّب.

(٦) الناشبة: اسم من تناشب القوم: تضامُّوا، وعَلِق بعضهم ببعض، أو من ناشبه الحرب: نابذه إياها.

(٧) القواسيس: لعله أراد: القساوسة: جمع القِسِّيس: من رؤساء النصارى، أو هو الحاذق الخبير في الأمور.

حُزّت رؤوسهم وأُخذت عنهم دروع سابغة[١] وبيضات[٢] حصينة ومغافر[٣] وافية وسلاح شاكة[٤] صار جميعها فيئاً للمسلمين، وباء حزب الكفرة بخزيه مفضوحين.

ورأى الوزير القائد الأعلى غَالب أن النظر التام والحزم العام في تنقيل المحلة إلى برهون، وأن يضطرب العسكر في فحصه، ويقيم بهم حتى تتوافى الحشود لديه وتحتل الجنود به، إذ كان النفير قد عمّ كُوَر الثغر، وجرودها متسربة إلى العسكر، وهو يتوقع أن يكون لأعداء اللّه عيونٌ على متلاحقيهم ومكامن في طرقهم يرصدون لمكروههم، لبعد العسكر عن بلد الإسلام، فأنفذ عزمه في الانتقال إلى برهون، ووافق في ذلك الصواب بتوسطه البلد، فلزم محلة برهون مقلباً للرأي مرتقباً لغرّة ينتهز بها فرصة، كان احتلاله بمحلة برهون هذا يوم الأحد لثمانٍ خلون من شهر رمضان.

وفي يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر رمضان وصل قُرْطُبَة الفتى الكبير الجَعْفَرِي من قُرْطُبة بكتائب من بقايا صنوف الأجناد والعبيد والرماة والوفود غازياً مُمِدًّا للوزير القائد ذي السيفين غَالِب بن عبد الرَّحْمٰن، وقدّامه قطار من الزوامل محملة صنوف العدد والقوة وضروب الآلة والأهبة يحملها من قصر قُرْطُبَة، وقامت له المراتب ما بين بابي الجنان والسُّدّة، واحتفل لرؤيته النظارة، فاحتل يومه ذلك بفحص أرماط، ثم تحرك يوم الجمعة بعده يطوي المراحل[٥].

وفي يوم الخميس لأحدى عشرة بقيت منه خرج صاحب الشرطة قَاسِم بن مُحمَّد بن قَاسِم بن طُملس قائداً ومُمِدًّا للوزير القائد غَالِب، فكان خروجه فخماً ظاهراً في عسكر لجبٍ[٦] من طبقات الحشم الذين استجار حملانهم وممن وقع الاختيار عليهم من الوفد والرماة والمطوعة، فاحتل يومه هذا بفحص المنية المنسوبة إلى الأخ أبي الحكم بالشاعات، على النهر الأعظم، ونفذ من الغد لسبيله.

وفي يوم السبت لسبع بقين منه عُزل أحمد بن سَعْد الجَعْفَري عن الشرطة العليا ويَعْلَى بن أحمد بن يَعْلَى عن الشرطة الوسطى، عن عتب عليهما، وأُمرا باللحاق بالعسكر، فنفذا لسبيلهما، وعهد إلى بسيل وعبد الحميد وعُبيد اللّه بني صاحب الشرطة العليا أحمد بن عبد اللّه بن بَسيل باللحاق بالعسكر أيضاً والغزو مع الوزير

---

(١) سابغة: تامّةٌ.
(٢) البيضات: جمع البيضة: حوزة القوم وحماهم، أو الخُوذة.
(٣) المغافر: جمع المغفر: زرد يُنسج من الدروع على قَدْر الرأس، يُلبس تحت القلنسوة.
(٤) سلاح شاكّة: تامٌّ.
(٥) يطوي: يقطع، يجتاز. المراحل: المسافات، الواحدة: مرحلة.
(٦) عسكر لَجِبٌ: ذو صوتٍ وجلبة.

القائد الأعلى غَالِب، من غير عتب عليهم، فنفذوا لطيتهم، وأخرج معهم إلى أيام إسماعيل بن الشيخ إلى العسكر، وَوُلّي عبد الرَّحْمٰن بن أحمد بن مُحمَّد بن إلياس خزانة السفر، وأمر بإخراج المال المرسل إلى الوزير القائد ذي السيفين، فنفذ لوجهه.

وتوفر الاهتمام على أهل حصن غَرْمَاج والإشفاق عليهم، وأعلن الناس به في مساجدهم ومحافلهم، حتى لقام رجل من صالحي المسلمين خامل الذكر في جنازة الزاهد المعروف بالحضرمي إثر دفنه بمقبرة قريش يوم السبت لسبع بقين من شهر رمضان، وكانت مشهودة بطبقات الناس بإثر دفن الميت، فنادى رافعاً صوته للناس فقال: «عباد اللّه أخلصوا اللّه دعاءكم وارفعوا إليه أصواتكم بالنداء والابتهال في حقن دماء إخوانكم المؤمنين وأوليائكم المسلمين أهل حصن غَرْمَاج الذين قد أحاط بهم جمع المشركين وأخذوا بمخنقهم واستطالوا عليهم[1] بكثرتهم؛ اللهم أهلك الكفرة وما ابتدعوا، وأوهن كيدهم وما جمعوا، اللهم فرّق ملأهم[2] بعزتك، وبدد شملهم بعظمتك، وأيد المسلمين عليهم بقدرتك، وانصرهم نصراً عزيزاً، وافتح لهم فتحاً مبيناً». فأمَّن الحاضرون وأجهشوا بالبكاء، وعجلوا بالضراعة والدعاء، والابتهال والنداء، فلم تبطىء عنهم الإجابة والقبول من ربّ العزة تعالى.

ذكر عيد الفطر الكائن في هذه السنة

وفي يوم الإثنين غرة شوال الذي هو يوم عيد الفطر قام الترتيب بقصر قُرْطُبَة على أفضل التهذيب لقعود الخليفة الحكم على السرير للتهنئة على العادة، مختصًا بذلك الإخوة والوزراء وأكابر أهل الخدمة دون سواهم، وإجلاسه ابنه الأمير أبا الوليد المرشح لعهده ناحية عنه لكافة أهل المملكة والرعية، فانقسم الترتيب يومئذ على هذه الشركة، وصار جلوس الخليفة لتلك الخاصة في المجلس الغربي من دار الروضة، فتوصل إليه من الإخوة أبو القَاسِم الأَصْبَغ، وأبو المُطرِّف المُغيرة، وتخلف منهم الأخ أبو الأَصْبَغ عبد العزيز لعلة نالته. ثم توصل بعدهما الوزراء فسلموا، ثم تلاهم أصحاب الشرطة العليا والوسطى وأصحاب المخزول والخزَّان والعرّاض وطبقات أهل الخدمة، وتوصل إثرهم قاضي الجماعة مُحمَّد بن إسحاق بن السليم ولمته[3] من الحكام أصحاب الشرطة الصغرى والردّ، فسلموا وانثنوا إلى مجلس الأمير أبي الوليد، وقعد للخاصة والعامة في المجلس الزاهر بالحائر أتم قعود وأكمله. وقعد الأخ أبو

(١) استطالوا عليهم: اعتدوا عليهم، أو غالبوهم وباروهم.
(٢) المَلأُ: الجماعة.
(٣) اللُّمَةُ: الرِّفْقَةُ.

المُطرِّف المغيرة بن الناصر عن يمينه، وقعد عن يساره الأخ أبو القاسم الأصْبَغ بن الناصر، وحجبه عن ذات اليمين الوزير الكاتب جَعْفَر بن عُثمان، وتحته صاحب الشرطة العليا أحمد بن مُحمَّد بن عبّاس؛ وحجبه عن ذات اليسار صاحب الخيل والحشم ومدينة الزهراء زياد بن أفلح، وتحته صاحب الشرطة العليا يَحْيَى بن عُبيد اللَّه بن يَحْيَى بن إدريس، وتحته صاحب الشرطة والسكة والمواريث مُحمَّد بن عبد اللَّه بن أبي عَامِر، وبإثرهم أصحاب المخزول والخزّان والعُرَّاض وقوفاً حجاباً ومن يليهم من طبقات أهل الخدمة والوصفاء أصحاب الركاب وغيرهم ممن تقدمت عادتهم بالوقوف بين يدي أمير المؤمنين أيام قعوده للتسليم. وقام في هذا المجلس جميع فتيان أمير المؤمنين الأكابر ومن يليهم من الكتاب والوصفاء وغيرهم على مراتبهم. وقعد الوزراء بإثر الأعمام على منازلهم، وقعد في الصف الذي عن ذات اليمين بإثر الوزراء حَكَم بن مَسْعُود بن أبي القَاسِم الخال، وبإثرهم جَعْفَر بن عليّ الأندلسي، وحجبه في جملة الحجّاب آخر المجلس أخوه يَحْيَى بن عليّ، وقام في برطل هذا المجلس ترتيب الوصفاء ومَن دونهم من الصقالب، ثم اتصل بهم العبيد والرماة والمماليك فصيلاً إثر فصيل إلى دار الوزراء. وكان قعود الوزراء في هذا النهار قبل وصولهم في برطل دار الكامل. وقعدت قريش الصلب وسائر بني أمية مع بني مُحمَّد الحسنيين وفيهم أعاظمهم يَحْيَى وَحَسَن ابنا قَنُّون وسائر بني أحمد في بيت الوزارة، وقعد الموالي في بلاط الريح، وقعد الفقهاء أهل الشورى وأهل العدل وقضاة الكور في سقيفة بلاط الريح، وقعد سائر الأجناد في بيوت أهل الخدمة، إلى أن أذن لهم بالوصول. وكانت الخطباء والشعراء خلال ذلك ترتجل وتنشد بين يدي الأمير أبي الوليد فَتَسْحَنْفِرُ وتجتهد؛ فَمِمَّن قام من الشعراء يومئذ بين [يديه] منشداً شعره، مُحمَّد بن شخيص، أطال وأجاد، وكان أوله: [من الطويل]

أَرَى مَشْرِقَ الدُّنيا يُنافسُ مَغْرِبا ... على غُرّةٍ لَمْ تُبْقِ لِلظُّلْمِ غَيْهَبا[١]

بهِ صَفَتِ الدنيا وَدرّ نَعِيمُها ... وَطابتْ لياليها فأهلًا ومَرْحَبا[٢]

وَلَوْ آثرتْ باسمِ الخلافةِ غَيْرَهُ ... لَكانَ المُسَمَّى بالإمامِ مُلقَّبا

ألم تَرَ أنّ اللَّهَ أرعاءَ أرضَهُ ... فأخصبَ منها كلُّ ما كان مُجْدِبا

لَهُ عِنْدَ إكبابِ المحُولِ مَواهِبٌ ... تغيظُ الغوادي أَنْ تَدِرّ تَرهُّبا[٣]

---

(١) يُنافس: يُسابِقُ وَيُبَارِي. الغُرّةُ (من الرجل): وَجْهُهُ. الغيهب: الظلمة.

(٢) دَرَّ النَّعيمُ: كَثُر.

(٣) المُحول: جمع المَحْل: القَحْطُ والجَدْبُ.

يُـريـنـاهُ إفـراطَ الـهـوَى وَهْـوَ غَـائِـبٌ ... وَيَبْدو فَيَجْلو بالجلالِ مُغيَّبا[١]
دعـاهُ بـنـو الـدُّنـيـا مَـهـيـباً مُـحـبَّـباً ... كـمـا كـانَ نَـامِـيـه مَـهـيـبـاً مُـحـبَّـبـا
هُو العاشرُ الموجود في الكتب أنهُ ... يُـحَـمُّ بـه الأمـر الـذي قَـدْ تَـقـرَّبـا[٢]
شَـواهِـدُهُ تَـبْـقَـى بِـحَـمْـلِ لِـوائِـهِ ... إلـى بـابـلٍ بَـعْـدَ الـمُـرورِ بـيَـثْـرِبـا[٣]
إذا لَـمْ تُـولِّـفْـه مَـواكـبُ جُـنْـدِهِ ... غَـدَا حَـوْلـه جُـنـدُ الـمـلائِـك مَـوْكِـبَـا
مُنَى الخلقِ أَنْ يَرْقَى مَنَابِر قَدْ أنَى ... لِداعيه أنْ يَرْقَى عليها فَيَخْطُبَا[٤]
وَقدْ شَهِدوا من خاطبي آل هَاشِم ... لَدَى حِجُّهم أفعى تُساوِرُ عَقْرَبَا[٥]
لَقدْ حَان أنْ يَحظَوْا بِنُصْرَةِ مَنْ غَدا ... لـه نـاصـرٌ جَـدًّا وَمُـسـتـنـصـر أَبَـا
رَئـيـسُ مُـلـوكِ الـدولـتـيـن لأنَّـه ... أعزّ بني الدنيا نِصَاباً وَمَنْصِبَا[٦]
عَدَدْنَا بني مَرْوَانَ وَهي التي زَكَتْ ... وَطابتْ بوالي العَهْدِ في رَيِّقِ الصِّبَا[٧]
أَدَرْنـا زُلالَ الـمـاءِ إذ عَـذب إِسْـمـه ... فَـصـارَ عـلـى الأفـواهِ أحـلـى وأعْـذَبَـا
أَظُنُّكَ لَمْ تَلْحَظْ بِعَرْشٍ مَن اسْتَوى ... وَلَمْ تَدْرِ إذْ حلّى بِسَيفِ مَنِ اجْتَبى[٨]
يُـقَـيِّـد مِـنْ عـلـم الـحـلالِ لِـمَـالـكٍ ... رواية يَحْيَى وابن وَهْبٍ وَأَشْهَبا[٩]
أمـا إنّـه فـي الـخَـلـقِ أكـرمُ نَـثْـرةٍ ... لآلِ رَسُـولِ الـلّـه أَكـرمُ مُـجْـتَـبـى[١٠]
مُنِحْنَا بهِ في المهدِ يَقظانَ مُلهباً ... وقبل بلوغِ الحلمِ كَهْلاً مُجرِّبا[١١]
أرانـا بـحـذقِ الـطـبـعِ آلا مُـؤدّبٍ ... إذا لم يَكُنْ سنْخُ الطباعِ المُؤدِّبا[١٢]
إذا عـدّ مَـنْ يـعـلـيـه لَـمْ يَـعْـدُ عَـدُّه ... إمـامـاً تـقـيًّـا أو نـجـيـبـاً مُـقـرّبـا

(١) يجلو: يكشف. الجلال: العظمة.
(٢) يُحَمُّ به الأمر: يدنو.
(٣) بابل: مدينة في العراق. يثرب: المدينة المنورة.
(٤) أنى: حان وقَرُب.
(٥) تساور: تواثب.
(٦) النِّصابُ: الأصل والمرجع. المنصب: المقام، أو الأصل.
(٧) زكت: طابت. رَيِّقُ الصِّبا: أوّلُه.
(٨) اجتبى: اصطفى واختار.
(٩) مالك ويحيى وابن وهب وأشهب: من علماء المسلمين ورواتهم المشهورين.
(١٠) النثرة: عنقود من النجوم في صورة السرطان، وهو الثامن من منازل القمر.
(١١) في المهد: في سرير الطفولة. بلغ الحلم: بلغ مرحلة الشباب.
(١٢) السِّنْخُ: الأصل.

إذا أخضع الحقُّ الرقابَ لواجبٍ غدا حَقُّ مولانا أحقَّ وأوْجَبا
عَريق بني مَرْوَان في الحَسَبِ الذي غَدَا فَخْرُه لِلطّالبيين مُحسبا[١]
نَزَتْ في نواحي الغَرْبِ منهم أشابةٌ أُعِيدَ لها بَرْقُ الأماني خُلَّبا[٢]
يَعزُّ على داعي الرَّوَافضِ أنّهُ قَد اَنْشَبَ في أَوْداجِهِ الليثُ مِخْلَبا[٣]
أذاعتْ بلادُ القَيْرَوانِ بِحُبِّها بَني عَبْد شمسٍ طاعةً لا تَحزُّبا[٤]
بأيّ عنادٍ مِنْ مَعدٌ عَنِ الهُدى يقومُ بمصرٍ أو يؤُمُّ المُحصَّبا[٥]
نَوَى نيةً تَأبَى المَقاديرُ أنْ تَفي بإنجازها حتّى تُوافي هَبْهَبَا[٦]
عَفت صَبْرةٌ إلا صَوائفُ دَعْوَةٍ تَجخَّفَ في استدعائها المُرْهفُ الشَّبا[٧]
مَضَى عَنْ مَغَانِيه فَلمْ تَشْكُ وحْشَةً وَصَار بِها نَوْحُ الحمام تَطرُّبا[٨]
نَعَتْهَا النّواعي مِنْ زمانٍ مُؤنّبٍ وَكانَ معدٌّ يَستريثُ المؤنّبَا[٩]
بِهِ عالَ فَرْضُ الحج مَنْ كان مُسلماً إذا كانَ في إسْلَامِه مُتحوِّبا[١٠]
يَرى أنَّ تَرْكَ الحجِّ أنجى لِدينِهِ مِنَ الحجِّ باسْم الرَّافضيِّ الذي صَبَا[١١]
لَعَمْري لَقَدْ أَزْرَى بهِ وَبِحزْبهِ تَردُّدُ كُتْبِ المُنْتَمي لِطَباطبا[١٢]

---

(١) العريق: الأصيل، الكريم.

(٢) الأشابة: الأخلاط من الناس. بَرْقٌ خُلَّبٌ: بَرْقٌ لا مطر يتبعه.

(٣) الروافض: فرقة من المسلمين كانت تجيز ذمَّ الشيخين أبي بكر وعمر رضي اللّه عنهما. الأوداج: عروق العنق.

(٤) بنو عبد شمس: الأمويون.

(٥) المُحصّب: موضع رمي الجمار بِمنًى.

(٦) المقادير: الأقدار. هبهب: اسم وادٍ في جهنم.

(٧) عفت: امّحت وزالت. صَبْرَة: قرية قريبة من القيروان، وتُسمَّى المنصورية.
تَجخَّفَ: فَخَرَ وتكبَّر. المرهف: السيف الرقيق الحادّ. الشَّبا: جمع الشَّباة، وهي من السيف: حَدُّ طرفه.

(٨) المغاني: جمع المغنى: الموضع الذي يغنى به صاحبه عن غيره، لجماله، ولطف هوائه، وغير ذلك.

(٩) يَسْتَريثُ: يَسْتَبْطِيء.

(١٠) مُتَحوِّبٌ: من تحوَّب الرجل: تَعبَّد لِيُكَفِّر عن ذنوبه. ومنه: تحوَّب في دعائه: تَضرَّع، ومن القبيح: تَحرَّج.

(١١) الرافضي: المنتسب إلى الروافض الذين مَرَّ ذكرهم.

(١٢) أزرى به: تهاون به وقصَّر، أو حَقَّر.

هَوَتْ في مَهاوي الحَيْنِ أطماعهُ بهِ فَصَدَّقَ في مِصْرَ الرَّجاءَ المكَذّبا[١]
دَعتْهُ فَلبَّاها وَفارقَ ما بَنَى فَأَخْرَب مَبْنيًّا وَلَمْ يَبْنِ مُخرَبا
ألا قُلْ لِمَولايَ الإمامِ الذي غَدَا أبوه لِمَهْديِّ الأئمةِ مُنْجِبَا[٢]
عدادي تَميمي غَيْرَ أنّيَ دائنٌ لَكُمْ باعْتِقَادٍ فِطْرَةً لا تَعصُّبا[٣]
لَعَمْري لَقَدْ صارَ التَّشيّعُ والهَوَى لنا في بني مَرْوَان رأياً وَمَذْهَبا[٤]
يُريكَ قَريضي أنَّ رَأيِيَ لَمْ يَزَلْ أقلّبُ مِنْهُ في مَديحكَ قُلّبا[٥]
هَواجسُ أوطارٍ أنا بين مَوْجِها كذي البَحْرِ إذ حطَّ الشراعَ فَسَيَّبا[٦]
أما والذي أخذَى المطيعَ لِمُلكهِ فَأَذْكر في بغدادَ بلقيسَ في سَبَا[٧]
لَقدْ شَغلتْكَ الباقياتُ إذا اجْتَوَى مِنَ الشغلِ إلّا أَنْ يُغَنّى وَيشْرَبا[٨]
سَأُثني على دُنْيَايَ إذ ظَفرتْ يَدِي بِجَاهٍ فَكانَ الجاهُ لِلمال مُكْسِبَا[٩]
لم أذْكُر وَليَّ العهدِ باسمٍ ونسبةٍ وإنْ كانَ قَدْ نُصّ الثناءُ فَأَطْرَبا
أوائلُ أبياتي إذا هِيَ أُلّفَتْ على النَّسْقِ يَكْفي أَنْ تُسَمّى وتُنْسبا[١٠]
مَراتِبُ لا يَعْيَا الأريبُ بِوَضْعِهَا مِنَ النظم في بيتينِ وَضْعاً مُرتّبا[١١]

وفي يوم الإثنين لليلتين خلتا من شوال منها تجلّى الخليفة الحكم مع الأمير أبي الوليد ابنه بسطح باب السُّدّة، من قصر قُرْطُبَة المطلّ على العامة وقد تقدم في جمع المساكين والضعفاء والمحاويج أسفله في المحجّة، فلما تكاملت فرقهم هنالك أمر ببثّ المال [الذي] أعدّه للصدقة عليهم بمرأى منه، فجعل الفتيان الخدم الصقالبة

---

(١) هَوَتْ: سقطت. الحَيْنُ: الهلاك.
(٢) مُنجب: اسم فاعل من أنجب الرجل: وُلِدَ له وَلد نجيب.
(٣) دائن: اسم فاعل من دان فلان: اعتقد، أو أطاع، أو خضع وذَلّ. الفطرة: الطبيعة السليمة لم تُشَب بِعَيْبٍ، أو الخلقة التي يكون عليها كلّ موجود أوّل خَلْقِه. تعصّب له أو تعصّب معه: نَصَرَهُ، وتعصّب فلان: كان ذا عَصبيّة.
(٤) التَّشيُّع: الاتّباعُ والنُّصرة. المذهب: الطريقة، أو المُعْتَقدُ.
(٥) القريض: الشعر. القُلّبُ: الكثير التَّقلُّب، والمراد: القَلْب.
(٦) الهواجس: الخواطر والأفكار. الأوطار: الحاجات والمآرب.
(٧) أخذاه: أخضعه وأذلّهُ.
(٨) اجتوى القوم: أبغضهم، واجتوى الطعام: كرهه، واجتوى البلد: كره المقام فيه.
(٩) الجاهُ: المنزلةُ والقَدْرُ.
(١٠) النَّسَقُ: ما كان على نظام واحدٍ من كلّ شيء.
(١١) يَعْيَا: يتعب أو يعجز. الأريب: العاقل.

يجولون بينهم، وأكياس المال مفتوحة ومفرجة بأيديهم يحفنون[١] لهم، كل بحسب ما قدر له، فعمَّ جميعهم معروفه وعلت أصواتهم بالدعاء.

ذكر الصنع لأهل غَرْمَاج

وفي يوم الإثنين لعشرٍ بقين من شوال منها ورد الفتح العظيم والصنع الجسيم بخبر هزيمة أعداء اللّٰه المشركين المتألبين على أهل حصن غَرْمَاج ونكوصهم[٢] عنه خائبين ممّا رجوه، قد أذلهم اللّٰه وخذلهم، وأعزّ المسلمين ونصرهم، وإن إقلاعهم هذا جرى يوم الثلاثاء لأربع عشرة بقيت منه بعد انصرام أربعة وسبعين يوماً من يوم نزولهم عليه ومحاصرتهم له. وكان الذين تألبوا عليه وأحاطوا به من طواغيت الكفرة شانجه بن غرسية بن شانجه البشكنسي صاحب بنبلونة وصهره غرسية بن فرذلند بن غند شلب صاحب قشتيلة وعملها وفرذلند بن ألشور صاحب منه فريل (؟) وما والاها، وبنو غومس أصحاب ألبه والقلاع وغيرهم، أحاطوا بالحصن في زهاء ستين ألفاً، وقيل: أكثر من ذلك من أصناف الكفرة عن ابتعاث ملكهم رذمير بن شانجه بن رذمير ملك جماعتهم لهم لذلك، وإمداده إياهم، وقد استبطأ سعيهم فعجزهم واستقصرهم حين أعيى عليهم فتحه، فصار نحوه من قاعدته مدينة ليون ـ دمرها اللّٰه ـ في عسكر لجبٍ، ومضت معه عمته الكافرة حلويرة وعمته ناكثة للعهد الذي كانت لا تزال تؤكده وتسأل إمضاءها عليه، فسولت لها نفسها ظهور حزبها، وجاءتهم مع ابن أخيها حتى احتل بهم في جمعهم، فقويت به نفوسهم وأخضعوا رقابهم وجددوا له بيعتهم، فتولى اللعين قتال أهل غَرْمَاج أياماً في خاصته المستطيلين به فكان اللّٰه يهزمه ويكبه لوجهه ويغيظه بقتل حُماته. ثم اجتمعت كلمتهم يوم الإثنين للنصف من شوال على مناهضة أهل غَرْمَاج ومناجزتهم[٣]، وأداروا الرأي بينهم على التصميم إليهم، وألا يرفعوا يداً عنهم حتى يقتحموا عليهم، أو يغلبوهم، أو يقضي اللّٰه قضاءه فيهم؛ فنهضوا عند ذلك إلى الحصن في معظم جيشهم، وأكبّوا عليه وهم لا يشكون في فتحه، ولا يرتابون في دخوله، فبرز إليهم المسلمون متوكلين على اللّٰه ومستنصرين به، فدارت بينهم حرب عظيمة كأشد ما يكون بين المُتجادِّين استحرت في الجلبة وتلظت[٤]، وصار المسلمون في صليها كرجل واحد في الارتماء على المشركين

---

(١) حَفَنَ الشيءَ حَفْناً: أخذه براحته أو براحتيه، والأصابع مضمومة، يقال: حَفَنَ لهم: أعطى كلّ واحدٍ منهم حَفْنَةً. والحَفْنَةُ: مِلْءُ الكفّ من الشيء.

(٢) النكوص: التراجع والإحجام.

(٣) ناجزه الحرب ونحوها: نازله وقاتله، وتناجز القوم: تقاتلوا وتسافكوا الدماء.

(٤) تَلظَّتْ: تَلهَّبتْ.

والتنزي إلى قتالهم، قد وطّنوا على الموت، وأخلصوا للّه نياتهم، فأنزل اللّه صبره عليهم، وأيدهم بملائكته، وقذف الرعب في نفوس الكفرة، فخذلهم اللّه وهزمهم وفرّق ملأهم وبدد جمعهم، فوضع المسلمون رماحهم وسيوفهم في نحورهم وظهورهم وقد ولوا فراراً عنهم لا يلتفتون إلى شيء، حتى بلغوا في هزيمتهم إلى أقصى محلتهم وأجازوا موضع مُضطربهم، وقد بدد اللّه شملهم، وقذف الرعب في قلوبهم، وهيأ للمسلمين في ساقة عسكرهم[١] وميمنتهم وميسرتهم وقائع عظيمة ومعارك جسيمة مكّنهم اللّه منها بقدرته وصنع لهم بعزّته، على أنهم لم يمعنوا في اتباعهم أخذاً بالحزم وتوقعاً للمكيدة. ووقف المشركون عند انحيازهم على جليل ما حلّ بهم من أهل الحصن وأراهم اللّه من نصرهم، فأجمعوا على الانتقال عنهم والترك لهم فرفعوا عنهم من فورهم ذلك وفارقوا محلتهم مذعورين قد غادروا فيها من أبنيتهم وأثقالهم وأزودتهم كثيراً تخففاً عنها، وأقبل بعض رؤسائهم على بعضٍ يتعاذلون ويتلاومون وتفرقوا أيدي سبأ لطيتهم، وخرج أهل الحصن المنصور بنصر اللّه إثر ساقتهم مُنْقَضّين على مبطئيهم فقتلوا وغنموا وانتهبوا ما غادروا بمحلتهم الملعونة، وأضرموا فيها النار، وعادوا إلى حصنهم سالمين أعزة، وخاطبوا الوزير القائد ذا السيفين غالباً، المصحر قربهم لنصرهم، بما صنعه اللّه لهم وفتحه عليهم، فأنفذ الخليفة الوزير الخبر به إلى الخليفة المستنصر باللّه صبيحة يوم الأربعاء لثلاث عشرة بقيت من شوال، وركب من فوره في عظم الجيش فاحتل بحصن غَرْمَاج. ثم ورد كتابه عشي الخميس [. . .] خلون من شوال يذكر صلاح أحوال أهل غَرْمَاج وأحوال أهل العسكر قبله، وأنه مفترصٌ غرّة، وعاملٌ على الدخول إلى بلد الخنزير الناكث الخاسىء غرسية بن فرذلند بن غند شلب بجمعه والإيغال فيه إن شاء اللّه.

فلما كان يوم الخميس لثلاثٍ خلون من ذي القعدة ورد الخبر بالفتح على عدو اللّه غرسية بن فرذلند وكتاب الوزير القائد ذي السيفين غَالِب بن عبد الرَّحْمٰن بتفسيره لخبر الوقيعة وبدخوله أرض الكفرة وخروجه عنها ظافراً. وأدرج كتابه بعشية يوم الجمعة لأربع بقين من شوال ساعة مُنصرفِهِ من غزو عدو اللّه غرسية بن فرذلند ـ أهلكه اللّه ـ وذكر أنه أداخ بسيطه فانتسف زروع الكفرة وغزا نعمهم وحرث ديارهم وقتل من ظفر به في البسيط[٢] الذي وطئه منهم، وحكى أن العسكر احتوى على زروع مدينة شنت أشتيبن ـ دمرها اللّه ـ في دخوله وخروجه، إذ كان نزوله في حين توجهه على قرب من ربضها، وكان الطاغية غرسية بن فرذلند ـ أهلكه اللّه ـ بالقرب

---

(١) ساقة العسكر أو الجيش: مُؤَخَّرُه.

(٢) البسيط من الأرض: المنبسط، الواسع.

منه في جيشٍ كثيرٍ وحشدٍ حافلٍ، فتوهم ـ قبَّحهُ اللَّه ـ أنه صامدٌ له وقاصد نحوه ليلقاه في خروجه عن بسيط أبرلنقه وذواتها، فقدَّم خيلاً إلى المخائض بنهر دويرة يبغي انتهاز فرصة، فقطع اللَّه به دون أمله، وغشي المسلمون من كان أرسله إلى هناك من كفرته، فصدقوهم اللقاء ولم يثبتوا للضراب، وانهزموا أقبح هزيمة، وقُتلوا أبرح قتل، ولجأ فلُّهم[١] إلى الشعاري[٢] والشعاب[٣]، وقد صرع من أعلام[٤] رجالهم، وأعيان فرسانهم عدد كثير، واحتل العسكر بغربي شنت أشتيبن، والخنزير غرسية في جمعه مشرفٌ منه على ما يُسْخِنُ عينه وعيونهم، من نسف زروعهم وإحراق مساكنهم واستئصال معايشهم. وصدر المسلمون سالمين غانمين بهجين، والحمد للَّه رب العالمين. فقرىء كتاب الوزير القائد ذي السيفين بذلك في الجامعين بِقُرْطُبَة والزهراء يوم الجمعة لأربعٍ خلون من ذي القعدة منها.

وَرَدفَ[٥] هذا الفتح فتح ورد به كتاب صاحب الشرطة القائد بِسَرَقُسْطَة عبد الرَّحْمٰن بن يَحْيَى بن مُحمَّد بن هَاشِم التُّجِيبي يذكر أنّه عند انصرافه من العسكر يوم الثلاثاء لسبعٍ بقين من شوال وقع على أثرٍ للخنزير رذمير بن شانجه أثاره، فأتاه على إثره فأرسلَ من الطلائع المرتبين بجبل بردينه بِعُدْوَة نهر أبره يقول له: اطلع على خيل جمة قاطعة في السحر إلى النهر، فلم ينشب أن ثارت الصيحة بظهور العدو بجانب قرية استركور بقبلي مدينة تُطِيلَة، على فرسخ منها على الطريق المسلوك عليه من سَرَقُسْطَة، وامتدت بعض الخيل المغيرة بالناحية يمنةً ويسرةً، فاكتسحت ما ألفته من السوام وسبت خمسة رجال من الصيادين بالناحية، فتحركَ في من معه إلى ناحية الكفرة، وقدَّم خيلاً للتطلع عليهم فوافوهم على رأس المخاضة من جانب المدينة، فالتقوا ودارت الحرب بينهم فاستحرت[٦]، وتلاحق بهم صاحب الشرطة عبد الرَّحْمٰن بن يَحْيَى في عظم الجيش، فلما بصر به أعداء اللَّه ولّوا مُنهزمين مُولِّين، وتركوا ما كانوا غنموه، وصرع منهم خمسة أعلاج عند خروجهم من المخاضة، اسْتُبْقِيَ أحدهم ليستنطق عن عددهم، فذكر أن رذمير بن غرسية ـ أهلكه اللَّه ـ خرج من حصن شوس مستقره في خمسمائة فارس وهو يظن أن صاحب الشرطة،

---

(١) الفَلُّ: المُنهزمون.
(٢) الشعاري: جمع الشعار: المكان ذو الشجر، أو الشجر المُلْتفُّ.
(٣) الشِّعابُ: الطُّرق، الواحد: شِعْبٌ.
(٤) الأعلام: المشهورون.
(٥) رَدَفَ: تَبعَ.
(٦) استحرت الحرب: اشتدت.

عبد الرَّحْمٰن بن يَحْيَى، لم ينفصل بعد عن عسكر غَالِب، فقدم مائتي فارس مغيرةً وبقي في مكمنه قرب النهر، فقفا صاحب الشرطة عبد الرَّحْمٰن . . . . ونهض فلما نظر الخنزير من موضع مكمنه إلى حركته نحوه وعاين فرسان مغيرته يجولون، خرج بمن معه وتلاقى الفريقان فدارت الحرب مليًا، وصليها فرسان الفريقين صلياً، فهيأ اللّٰه انهزام المشركين ومنح أكتافهم المسلمين، وذلك صدر النهار، فتمادى المسلمون في آثارهم متبعين لهم إلى ما بعد صلاة العصر حتى أشرفوا على مزارع القشتيل معقلهم، ونجا قائدهم رذمير بن شانجه مذموماً قد أخزاه اللّٰه وأذله وفجعه بمقاتلته، فلولا الأوعار التي لاذ بها والشعاري التي لبسها لأمكن اللّٰه تعالى منه، ولن يفوته. وانصرف المسلمون عشيّ يومهم ظافرين مؤيدين قد تكنفت السلامة جميعهم. وحُزّ من رؤوس أعلامهم على تضايق الوقت وتفاوت النهار ثلاثة وثلاثون رأساً في جملتها رأس فرتون بن لبّ، مخلف رذمير بحصن شوس، ورأس سميه فرتون محونس ورأس ينقة بن بلشك الدليل ورأسا صاحبيه ينقة بن غلند الدليل وغرسية بن سليط الدليل. وحِيزَ من خيولهم سبعة وأربعون فرساً سوى ما عقر. وأخذ من عدة الخنزير: بند رفيع القدر وقرن بفخ مُفضّض، أرسل بهما عبد الرَّحْمٰن مع الرؤوس المحتزة إلى باب السلطان، واستشهد في المعركة ثلاثة من المسلمين أحدهم من الجند والاثنان من أهل مدينة تُطِيلة، فقرىء كتاب هذا الفتح في الجامعين بِقُرْطُبَة والزهراء يوم الجمعة [. . . . . .] صاحب الشرطة العليا القائد عبد الرَّحْمٰن بن يَحْيَى إلى قُرْطُبَة مع البند والقرن فرفعت فوق الخشب بإزاء باب السُّدَّة من قصر قُرْطُبَة على العادة، والحمد للّٰه على ذلك لا ربّ سواه.

تم كتاب المقتبس في أخبار بلد الأندلس

فهارس الكتاب

فهرس الأعلام

حرف الألف

حرف الباء

حرف التاء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الدال

حرف الراء

حرف الزاي

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الضاد

حرف الطاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الياء

فهرس الأشعار

كلمة القافية	اسم الشاعر	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
		الراء المفتوحة		
وتخيَّرا	محمد بن حسين الطبني	الكامل	١١	٤٢
يخسَرا	البحتري	الكامل	١	١٧٤
		الراء المكسورة		
لِجَعْفَرِ	يوسف بن هارون الرمادي	الكامل	٢	٣٩
		قافية الطاء		
		الطاء المفتوحة		
أبسطا	محمد بن حسين الطبني	الكامل	١٤	٧٠
		قافية العين		
		العين المرفوعة		
بلاقعُ	ابن شخيص	الطويل	١٠	١٠٤
يَقَعُ	عبيد اللّه بن يحيى	البسيط	١	١٤٣
دافعُ	محمد بن محاسن الإستجي	الكامل	٨	٤٤
		العين المكسورة		
واقعِ	محمد بن شخيص	الطويل	٤٤	٣٧
		قافية الفاء		
		الفاء المكسورة		
يشتفي	يحيى بن هذيل	الكامل	١٥	١٦٠
		قافية القاف		
زهوقُ	عبد العزيز بن حسين القروي	الطويل	١٧	١٢٥
		قافية اللام		
		اللام المفتوحة		
اجتلى	أحمد بن عبد الملك	الطويل	٢٧	١٤٤
أَوْلَى	محمد بن شخيص	الطويل	٢٤	٤٣
تَعالَى	ابن مجاهد الإستجي	الرجز	٣٧	١٢٨
أسبالَها	طاهر بن محمد البغدادي	المتقارب	٢٨	١١٩

كلمة القافية	اسم الشاعر	البحر	عدد الأبيات	الصفحة
		اللام المكسورة		
بقابلِ	محمد بن شخيص	الطويل	٢٦	٩٢
لِمقْوَلِ	طاهر بن محمد بغدادي	الكامل	٨	٢٠
		قافية الميم		
		الميم المرفوعة		
وَتَمامُ	أحمد بن سليمان الكاتب	الكامل	٣٤	١٦٧
		الميم المكسورة		
والكَرَمِ	عبد القدوس بن عبد الوهاب	البسيط	٢٢	١٢٦
قَسَمِهْ	طاهر بن علي البغدادي	المنسرح	٢٢	٩١
		قافية الياء		
		الياء المضمومة		
النَّدِيُّ	محمد بن شخيص	الخفيف	٣٣	٦٢

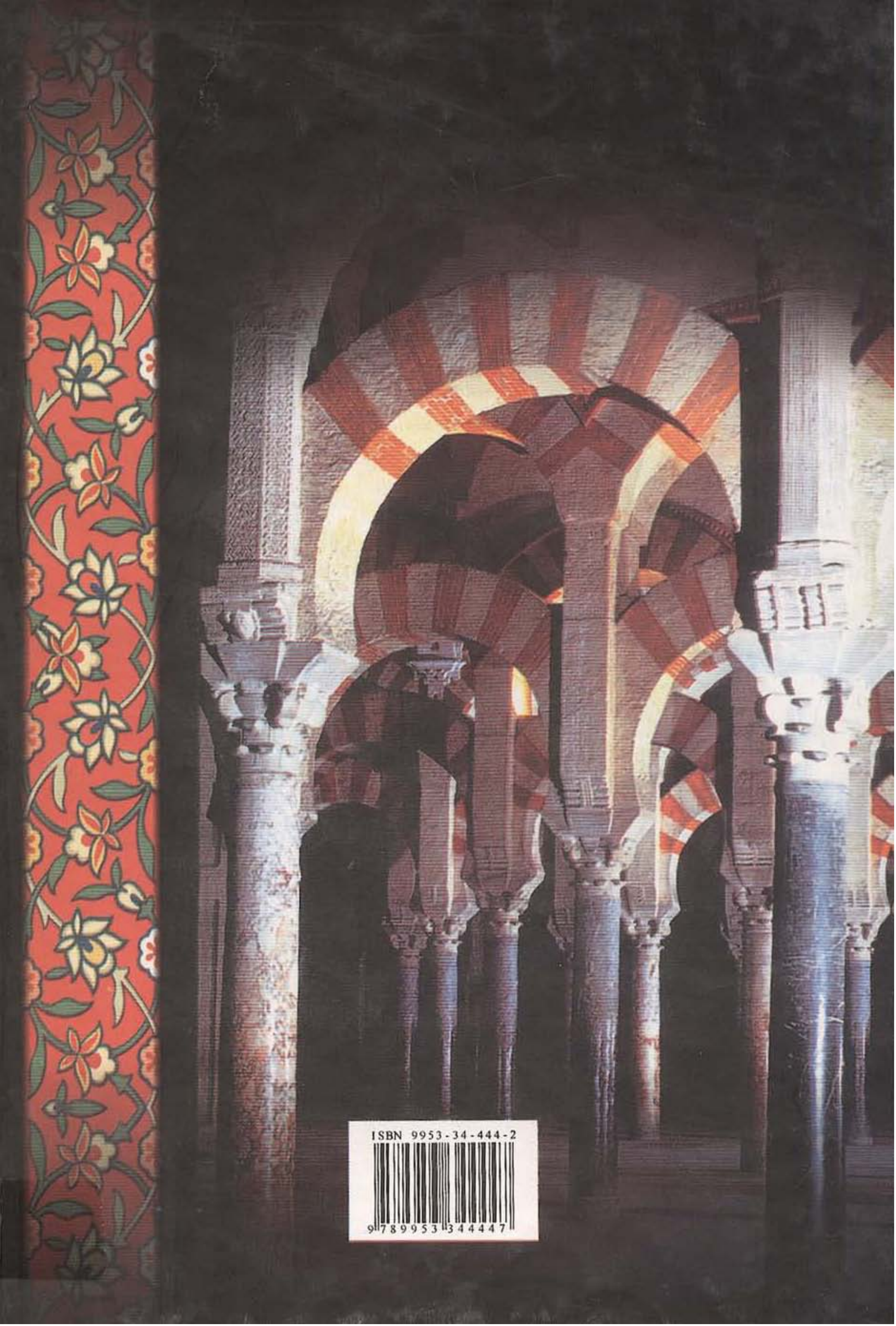
فهرس المصادر والمراجع

ـ القرآن الكريم.
ـ الأعلام: خير الدين الزركلي. دار العلم للملايين، بيروت، ط٦، ١٩٨٤م.
ـ البداية والنهاية: ابن كثير الدمشقي. تحقيق أحمد أبو ملحم وغيره. دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٥م.
ـ بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس: ابن عميرة الضبي. تقديم وشرح د. صلاح الدين الهواري. المكتبة العصرية، صيدا ـ بيروت. ط١، ٢٠٠٥م.
ـ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: جلال الدين السيوطي. مصر، ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٧م.
ـ البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب: ابن عذاري المراكشي. ليدن، ١٩٤٨م، باريس ١٩٣٠م.
ـ تاريخ الأدب العربي: عمر فروخ. دار العلم للملايين، بيروت، ط٥، ١٩٨٤م.
ـ تاريخ الأدب العربي: كارل بروكلمان. تعريب عبد الحليم النجار وغيره. دار المعارف، مصر، ط٤.
ـ تاريخ علماء الأندلس: عبد الله بن الفرضي. الهيئة المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة.
ـ تاريخ الفكر الأندلسي: آنخل بلانثيا. مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط١، ١٩٥٥م.
ـ جذوة المتقبس في ذكر ولاة الأندلس: أبو عبد الله الحُميدي. تقديم وشرح د. صلاح الدين الهواري. المكتبة العصرية، صيدا ـ بيروت، ط١، ٢٠٠٤م.
ـ ديوان البحتري (الوليد بن عبيد الطائي): دار صادر، بيروت، لاتا.
ـ ديوان المتنبي (أحمد بن الحسين الجعفي): شرح ناصيف اليازجي. دار الهلال، بيروت، ط١، ١٩٩٥م.
ـ ديوان النابغة الذبياني (زياد بن عمرو): تحقيق كرم بستاني. دار بيروت، بيروت، ١٩٨٢م.
ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب: ابن العماد الحنبلي. تحقيق لجنة إحياء التراث العربي. دار الآفاق الجديدة، بيروت، لاتا.

- الشعر والشعراء: ابن قتيبة الدينوري. دار الثقافة، بيروت، لاتا.
- الصلة في تاريخ علماء الأندلس: عبد الملك بن بشكوال. تقديم وشرح د. صلاح الدين الهواري. المكتبة العصرية، صيدا ـ بيروت، ط١، ٢٠٠٣م.
- طبقات الشعراء: ابن المعتز العباسي. تقديم وشرح د. صلاح الدين الهواري. دار ومكتبة الهلال. بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: حاجي خليفة. دار الفكر، ١٩٨٢م.
- لسان العرب: ابن منظور الإفريقي المصري. جروس برس، طرابلس، لبنان، لاتا.
- المطرب من أشعار أهل المغرب: ابن دحية (عمر بن حسن). تحقيق إبراهيم الأبياري، وحامد عبد المجيد، وأحمد بدوي. المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٥٤م.
- معجم البلدان: ياقوت الحموي. دار صادر، بيروت، ١٩٦٤م.
- معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة. دار إحياء التراث العربي. بيروت، لاتا.
- المقدمة في التاريخ: عبد الرحمن بن خلدون. دار العلم للجميع، بيروت، لاتا.
- هدية العارفين (أسماء المؤلفين وآثار المصنفين): إسماعيل البغدادي. دار الفكر، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: شمس الدين بن خلكان. دار الثقافة، بيروت، ط١، ١٩٦٨م.

فهرس المحتويات

فهارس الكتاب


ISBN 9953-34-444-2
9 789953 344447